الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قسنطينة02

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

الرقم التسلسلي.......................

رقم التسجيل........................

ريف المغرب الأوسط
في القرنين 5و6هـ/ 11و12م
_ دراسة اقتصادية واجتماعية _

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ

تخصص: تاريخ الريف والبادية.

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

عميور سكينة إبراهيم بكير بحاز

تاريخ المناقشة:

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د:عبد العزيز فيلالي	أستاذ محاضر	جامعة قسنطينة 02	رئيسا
أ.د: إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
أ.د: علاوة عمارة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا
د: يوسف عابد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1433_ 1434هـ/ 2012_ 2013م.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى:

﴿ ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾

النمل: الآية 19.

قال تعالى:

﴿ له معقّبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال ﴾

الرعد: الآية 11.



وفاءا، تقديرا واحتراما لسراج أضاء بنوره درب

كل طالب علم، إلى أستاذي؛ الأستاذ الدكتور: **إبراهيم بكير بحاز**

الذي تفضل بالإشراف على هذا العمل، برعايته وتشجيعه وتوجيهه الدائم لي على المثابرة والجد، فكان لي خير موجه ومعين؛ لإنجاز هذا البحث المتواضع، وتعهد هذا البحث منذ أن كان مجرد مشروع، إلى أن صار إلى ما هو عليه اليوم.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى

أعضاء لجنة المناقشة ولهم مني فائق الاحترام والتقدير.

الطالبة: **عميور سكينة.**

إهـــــــــداء

إلـى

علتا كياني

"**أمي وأبي**"

ربّ احفظهما وارحمهما كما ربياني صغيرا

أخواتي وإخوتي الأعزاء

إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

في هذا العمل.

رموز البحث ومصطلحاته:

د_ت: دون تاريخ.

د_ط: دون طبعة.

ط : طبعة.

م : ميلادي.

مج : مجلد.

و : وجه المخطوط.

ظ : ظهر المخطوط.

/ : إشارة بين التاريخين الهجري وما يقابله من التاريخ الميلادي، وبين الجزء والصفحة من المصدر.

<<......>>: قول المؤلف بعد لفظ: قال، يقول، يذكر،...إلخ.

"......." : اقتباس مباشر.

خطة البحث

خطة البحث

مقدمة

الفصل التمهيدي

أولا: ضبط مصطلح الريف والبادية.

ثانيا: : إشكالية حدود المغرب الأوسط (الجزائر حاليا).

ثالثا: تضاريس ومناخ المغرب الأوسط.

رابعا: العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع في ريف المغرب الأوسط (الجزائر حاليا).

خامسا:. لمحة عن الاقتصاد والمجتمع في ريف المغرب الأوسط قبل القرن 5هـ/11م، والظروف العامة المحيطة بالريف خلال القرنين 5و6هـ/11و12م.

الفصل الأول: اقتصاد ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الأول: الأرض ومصادر المياه بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: الأرض والنظام العقاري بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: الري ومصادر المياه والسقاية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الثاني: الزراعة والرعي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: الزراعة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: نشاط الرعي وتربية الحيوانات بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الثالث: النشاط الحرفي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: المواد الأولية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: الصناعات الحرفية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الرابع: المبادلات التجارية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الخامس: الضرائب بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

الفصل الثاني: مجتمع ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الأول: البربر والعرب المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: البربر المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: العرب المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الثاني: مناطق الاستقرار السكاني والعوامل المؤثرة على المجتمع الريفي بالمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

مقدمــــة

يندرج موضوع "**ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م**"، بشقيه الاقتصادي والاجتماعي ضمن التأريخ للعامة والطبقات الدنيا، وهذه الدراسة ليست عرضا تاريخيا بقدر ماهي صورة قلمية "**portrait**" لواقع اقتصادي ومجتمعي بمقدماته وتناقضاته ونتائجه، ذلك أن الأرياف والبوادي كانت محركا لكثير من الأحداث عبر فترات التاريخ الطويلة، لأن تاريخ الشعوب لا يُعرف إلا من دواخل البلاد وأحوالها.

وهذه الدراسة هي رؤية جديدة، تابعة لركب الدراسات التاريخية التي ظهرت في السنوات الأخيرة التي باتت تبتعد عن الأسطغرافيا[1] التقليدية، التي جعل أصحابها من التاريخ ساحة للصراعات العسكرية والقبلية، مهملين بذلك الجوانب الاجتماعية والاقتصادية من جهة، ومركزين على الحواضر ومراكز السلطة، متجاهلين دور الأرياف والبوادي في مسار التاريخ من جهة ثانية.

صحيح أن ثمة إشارات خجولة إلى الأرياف والبوادي، المتناثرة هنا وهناك في المؤلفات الجغرافية على الخصوص، وكتب النوازل والمناقب وبعض كتب التاريخ العام، لكنها تتميز "بالشح والتقتير مقارنة بالكم المعلوماتي الذي تتضمنه حول المدن، كما أنها وردت عرضا في سياق الحديث عن الحملات العسكرية لهذا الأمير أو ذاك"[2].

وبهذا فقد ظل التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد المغرب قليلا من حيث التأليف، بالرغم من ترسيخ الاعتقاد لدى غالبية المؤرخين بضرورة دراسة هذين الجانبين، على مستوى القاعدة "العريضة للشعوب الإسلامية" بعامة والمغربية على وجه الخصوص[3]، وبالرغم من أن ابن خلدون(ت 808هـ/ 1406م)، قد أشار إلى أهمية الريف والبدو وأنهما أصل للعمران

---

[1] _ يذكر عبد الله العروي أن **الأسطغرافيا** بمعناها الضيق، هي مجموع النتائج التي توصل إليها الدارسون للكتابات التقليدية مثل الحوليات والمذكرات والأخبار الجزئية، والطبقات والسير،...إلخ، وفي معناها الواسع؛ هي دراسة طرق البحث والاستقصاء في شؤون الماضي، وأكد بأن الأهم هو المظهر المنهجي، إذ أن الهدف من استعراض طرق الكتابة التاريخية هو استنباط مفهوم التاريخ عند المؤرخين، لذلك جاء التميز بين أنواع الكتابة التاريخية بأنواع الشواهد المعتمدة. (**أنظر: مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول**، ط 4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص: 97).

[2] _ إبراهيم القادري بوتشيش: **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2002م، ص: 32.

[3] _ عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411هـ/ 1991م، ص: 6.

وميلاد الدول[1]، إلا أنه من المؤسف أن يكون لأوروبا السبق في الاهتمام بدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وكان لمدرسة الحوليات أثر في هذا التوجه[2].

إن دراسة تاريخ ريف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، بطريقة علمية وموضوعية من شأنه أن يزيل الكثير من الغموض عن جوانب مهمة للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي للريف خلال العصر الوسيط، خصوصا إذا علمنا أن الأرياف كانت دائما؛ هي المحرك للنشاط الاقتصادي، بما تنتجه من منتوجات نباتية وحيوانية وحرفية.

كما يظهر جليا تشابك العلاقة بين الريف والمدينة، واعتماد هذه الأخيرة على الأول بالرغم من أنها كانت المقر الرئيسي للمؤسسات والمنتج الأساسي للثقافة الكتابية التي كثيرا ما أهملت الحديث عن "المُزارع والبدوي"[3]، وانطلاقا مما ذكرناه آنفا؛ فهذه الدراسة ستبرز الدور الاقتصادي والنشاط المجتمعي لريف المغرب الأوسط، والعوامل المؤثرة فيه وكيف أثر هو الآخر على مختلف مناحي الحياة وجزئياتها سواء في الأرياف أو المدن.

ولهذا فإن **أهمية دراسة ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م**، تكمن في محاولة الكشف عن جوانب هذه الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ومعرفة أن الأرياف كان لها دور جوهري خلال الفترة قيد الدراسة مما يمكننا من تغيير نظرتنا للريف.

كما تمكننا هذه الدراسة من إماطة اللثام عن جوانب غامضة من تاريخ ريف المغرب الأوسط، الاقتصادي والاجتماعي خلال الفترة قيد الدراسة، وتوسيع معرفتنا للأحداث والحقائق التي كانت معيشة، وإبراز خصائص العلاقة التي تكونت بين سكان الريف والمدينة.

ومن هنا فقد كان اختياري لموضوع:

ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م،

لعدة أسباب منها:

---

[1] _ عبد الرحمان: **المقدمة**، دار الجيل، بيروت، 1/ 132_ 133.

[2] _ بوتشيش: **المرجع السابق**، ص: 63.

[3] _ محمد حسن: **المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي**، جامعة تونس الأولى، 1999م، 1/ 8_ 9.

1_ اهتماماتي الخاصة بهذين الجانبين بالذات، كما أجد أن تاريخ الريف الجزائري في العصر الوسيط يعاني من نقص في مجال الدراسات التاريخية الأكاديمية، وبالتالي المساهمة بتوفيق الله تعالى في توفير مرجعية علمية، والعمل على إثراء البحث العلمي في هذا المجال.

2_ محاولة تصحيح أو إعادة النظر في الأطروحات الغربية، والتأثيرات الإيديولوجية المتعلقة بالبنى القبلية للمجتمعات الريفية؛ ونفي الأصالة عنهم، وإلصاق التهم التي لا أساس لها من الصحة (قطاع طرق، برابر، همج،...إلخ).

3_ معرفة تأثير الريف وتأثره بالظروف الطبيعية والسياسية والعسكرية المحيطة، وإبراز نظامه المحكم من جميع النواحي مع إبراز ارتباطه بالمدن وإن اختلف عنها في بعض الهياكل (المنازل، الأسواق، المتاجر،...إلخ).

4_ إبراز الازدهار الاقتصادي الذي عاشته أرياف المغرب الأوسط خصوصا وأن هذا التطور استمر حتى بداية العهد الموحدي، بالرغم من حالة اللأمن التي سادت آنذاك على حد تعبير "**كلوداث فاناكار**"، "**Claudette Vanacker**"[1]، وبالتالي فالريف يمثل مصدرا أساسيا لتمويل المدن، فثراؤه هو إثراء للمدن وفقره يؤثر على هذه المدن بالطبع.

5_ إلقاء الضوء على المجتمع الريفي للمغرب الأوسط كبنية متجانسة (بربر وعرب)، لها عادات وتقاليد تتميز عن المدن والحواضر في نوع الغذاء، اللباس، والسكن، مع معالجة هذا الجانب بشكل موضوعي بعيدا عن تأثيرات الأسطغرافيا الغربية.

ولذلك فدراسة الحالة الاقتصادية والاجتماعية لريف المغرب الأوسط لها فائدة كبيرة، وتفتح المجال لدراسة موضوعات كثيرة على صلة بهذا الموضوع من قريب أو من بعيد.

وفيما يتعلق **بالإطار الزماني والمكاني لهذا الموضوع**، فقد اخترت القرنين الخامس والسادس الهجريين، الموافق للحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وتمتد فترة دراستي بالضبط من 405هـ إلى 595هـ/ 1014م إلى 1199م، أي قرنان من الزمن: من تأسيس الدولة الحمادية في المغرب الأوسط إلى وفاة الخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور

---

[1] _ **Gèographie èconomique de l' afrique du nord, selon les autours arabes du 9 siècle au milieu du 12 siècle**, Annales èconomiques, sociètès, civilisations, Annèe 1973, Vol 28, N=°3, PP: 659_ 680.

الموحدي(580_595هـ/1184_1198م)، وهذه الفترة قد شهدت فترات استقرار ورخاء تارة، وفترات اضطراب وفوضى تارة أخرى، عاشت خلالها أرياف المغرب الأوسط مختلف التحولات الاقتصادية والاجتماعية بشقيها السلبي والإيجابي.

أما الإطار المكاني فيشمل المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، وإن كان من الصعوبة آنذاك ضبط إطاره الجغرافي نتيجة للحركات القبلية من جهة، وهيمنة هذه الدولة على تلك من جهة ثانية، ولذلك ارتأيت أن أتعامل مع حدود الجزائر الحالية، واستنبط المعلومات المتعلقة بها من هنا وهناك.

وفيما يتعلق **بالإشكالية الرئيسية** التي يطرحها موضوع ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، باعتباره موضوعا مهما كان له بالغ التأثير والتأثر بالعوامل المحيطة به ضمن إطار المغرب الأوسط؛ هي: كيف كانت حالة ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م؟ وما هي مساهمة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إعطاء صورة لهذا الفضاء الجغرافي.

وتندرج ضمن هذه الإشكالية الرئيسية، عدة **إشكالات فرعية** منها:

- ماهي العوامل المتحكمة في الاقتصاد الريفي، والركائز التي قام عليها هذا الأخير؟
- ما هي أهم منتوجات الريف؟
- كيف تؤثر مختلف القطاعات الاقتصادية الريفية على بعضها البعض خلال هذه الفترة؟
- ما هي أهم مناطق الاستقرار الريفي؟
- كيف ساهمت كل من القبيلة والأسرة، وسائر العناصر الاجتماعية الأخرى في تنظيم المجتمع الريفي؟
- كيف كانت حالة المجتمع الريفي من ناحية المستوى المعيشي(غذاء، سكن، لباس، صحة)؟
- ما هي عادات وتقاليد هذا المجتمع؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، فقد عالجت دراستي هذه وفقا **للخطة المنهجية** التالية:

مقدمة؛ التي تطرقت من خلالها للموضوع والتعريف به، والأسباب الكامنة وراء اختياره، مع طرح بعض الإشكالات الأساسية والخطة المراد من خلالها معالجة الموضوع، ثم المنهج

المتبع والدراسات السابقة، لأنتهي إلى عرض لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها فالصعوبات التي واجهتني خلال إنجاز هذا البحث.

وعرضت في الفصل التمهيدي مختلف المفاهيم المتعلقة بالموضوع؛ كالريف والبادية، ثم تناولت إشكالية حدود المغرب الأوسط، وتضاريس ومناخ هذه البلاد، بالإضافة إلى العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع في المغرب الأوسط، لأختم هذا الفصل بإعطاء لمحة عن الاقتصاد والمجتمع الريفي للمغرب الأوسط قبيل القرن 5هـ/11م.

وفي الفصل الأول المتعلق باقتصاد ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، فقد قسمته إلى خمس مباحث؛ قمت في المبحث الأول بالتعرف على وضعية الأرض ومصادر المياه في ريف المغرب الأوسط، وفي الثاني تناولت وضع الزراعة والرعي بريف وفي المبحث الثالث النشاط الحرفي وفي الرابع المبادلات التجارية لأختم المبحث الخامس بالتعرض للضرائب الريفية في المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، وقد تناولت هذه الجوانب بشيء من التفصيل مع الإحاطة بمختلف العوامل المؤثرة على هذه الأنشطة الاقتصادية الهامة من الناحيتين الإيجابية والسلبية.

أما الفصل الثاني الذي بعنوان "مجتمع ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م"، فيتكون هو الآخر من خمس مباحث، قمت في المبحث الأول برصد لأهم القبائل البربرية والعربية المستقرة في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وفي المبحث الثاني قمت بالتعرف على أهم مناطق الاستقرار السكاني والعوامل المؤثرة على هذا النوع من المجتمعات، وفي المبحث الثالث كان عرضا للفئات المكونة للمجتمع الريفي، والمبحث الرابع يحتوي على المستوى المعيشي لسكان الريف خلال هذه الفترة، وفي نهاية هذا الفصل تناولت ضمن المبحث الخامس، العادات والتقاليد التي تميز بها سكان ريفنا خلال الفترة قيد الدراسة.

وفي الخاتمة رسمت مختلف النتائج التي توصلت إليها، فيما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لريف المغرب الأوسط خلال القرنين5و6هـ/11و12م، والتي كانت حوصلة لمجموعة من الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة وألحقت دراستي بمجموعة من الملاحق التي رأيت أنها تسهم في إثراء هذا الموضوع أكثر.

هذا وقد اعتمدت في هذا البحث على **منهجية علمية**، قائمة على استقراء وتحليل النصوص التاريخية المستقاة من المصادر العديدة التي اضطلعت عليها، فتعددت **المناهج** التي اعتمدت عليها تبعا لتعدد تلك المصادر.

لقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج الوصفي اعتمادا على كتب الجغرافيا والرحلات لأنه من المصادر اللاإرادية التي لم تؤلف بقصد التأريخ، لكن اعتمادها على الوصف قد وفر لي مادة غزيرة عن ريف المغرب الأوسط، خاصة في الجانب الاقتصادي مع بعض الإشارات القليلة إلى الجانب الاجتماعي.

كما اعتمدت أيضا على المنهج النقدي التحليلي والمنهج المقارن بين ما جاء في كتب الجغرافيا والرحلات، وبين ما ورد في المصادر الإرادية (كتب التاريخ العام والحوليات)، وكذا مع المصادر غير التاريخية مثل كتب النوازل والطبقات والتراجم، وكتب التصوف والمناقب، التي تعتبر من الذخائر المهمة لإلقائها الضوء على العامة والسواد بمختلف تفاصيلها، بعيدا عن بلاطات الملوك وأصحاب الجاه والسلطة.

هذا وقد اعتمدت في هذه الدراسة كذلك؛ على المنهج الكمي(الإحصائي) فيما يتعلق بكمية الإنتاج الزراعي والحيواني، لإبراز مدى ثراء الريف أو تراجعه، بالإضافة إلى إحصاء القرى ومعرفة الكثافة السكانية بها، من حيث الكثرة والقلة، كما اعتمدت على المنهج الاستردادي(الاسترجاعي)، للفترات ما قبل القرنين 5و6هـ/11و12م وما بعدها، لاستقاء ومعرفة التطورات الحاصلة وفي ذات الوقت؛ عمل مقارنة بين حالة الريف الاقتصادية والاجتماعية لمختلف مناطق المغرب الأوسط، خلال الفترة قيد الدراسة وباقي فترات العصر الوسيط.

والدراسات السابقة التي تناولت موضوع الريف في الجزائر عموما محدودة وقليلة، في الحقب الثلاث (القديمة، الوسيطة والحديثة)، وما تم إنجازه كان في إطار الحديث عن المدينة تارة أو إطار مغاربي شامل تارة أخرى.

بالنسبة للفترة القديمة ظهرت دراسات اهتمت بالجانب الاقتصادي والاجتماعي للمغرب، ولكن في إطار تمجيد روما، ففي مقال لـ" Raymond Thovenout " بعنوان:

L' afrique romaine aux 3 premier siècles، ذكر قوة روما وتحكمها حتى في اقتصاد الأرياف وسيطرتها عليها[1]، بدليل ارتباطها بمعايير المجتمع الاستعماري على حد تعبير " Philipe Leveux "[2].

وللرد على هذه الكتابات برزت صفوة من الباحثين الجزائريين الذين أرادوا إبراز الدور الأهلي للمنطقة وأصالة السكان في هذه البلاد مثل محمد البشير شنيتي[3] ويوسف عيبش[4]، والقائمة طويلة، هذه المؤلفات وإن كانت بعيدة عن فترة دراستي إلا أنها أفادتني كثيرا فيما يتعلق بالفوارق بين المدن والأرياف، والعلاقة القائمة بينهما.

أما الفترة الوسيطة فالإنتاج التاريخي لهذه الفترة المتعلق بالريف والبادية ضئيل جدا، ما عدا بعض المؤلفات القليلة، فقد تناولت الدراسة الموسومة بـ"**النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6هـ إلى القرن 9هـ/ 12_ 15م**"[5]، عديد الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب بأقسامها الثلاث، وبينت تفاعل أحوال المجتمع بمختلف مكوناته وفعالياته، قمنا باستقاء بعض المعلومات القيمة فيما يتعلق بالمغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/ 12م.

كما تناول محمد حسن في مؤلفه "**المدينة والبادية في العهد الحفصي**"، موضوع الاقتصاد والمجتمع، مشيرا إلى أن اقتصاد الريف له تأثير بالغ على ازدهار المدينة، وكذلك المجتمع الذي يتأثر إيجابا وسلبا بالوضع القائم بالمدينة، هذه الدراسة لم تغط كامل فضاء المغرب الأوسط بحكم تخصصها، وإنما شرق الجزائر فحسب، ولكنها أفادتني فيما يتعلق بضبط مصطلح الريف والبادية ونقاط التمفصل بينهما.

ونظرا للإطار الزماني الذي تغطيه فترة دراستي، وهي القرنين5و6هـ/11و12م، والتي شهدت خلالها المناطق الريفية ظاهرة كبيرة أثرت عليها تأثيرا بالغا، فيما يتعلق بالاقتصاد

---

[1] _ journal des savant , annèe 1960, vol 3, n= 3, PP: 130_ 139.

[2] _ **Les paysaneries antique du Magreb**, Annales èconomiques, sosiètès, civilisation, Annèe 1978, vol 33 , n= 4, P: 91.

[3] _ **التغيرات الاقتصادية والجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني**، م، و، ك، الجزائر، 1984م.

[4] _ **الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية**، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، 2010م.

[5] _ محمد فتحة: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999م.

والمجتمع الريفي خلالها، وهذه الظاهرة هي الهجرة الهلالية لبلاد المغرب، والتي أدت إلى انقسام المؤرخين ما بين مؤيد ومعارض لها، ومن المؤلفات التي تناولت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لجزء من المغرب الأوسط في إطار تأثرهما بهذه الهجرة، بصفة كارثية نجد تاريخ إفريقية في العهد الحفصي لروبير برنشفيك[1]، والدولة الصنهاجية للهادي روجي إدريس[2].

وفي المقابل فقد ردّ الأستاذ علاوة عمارة في مقاله الموسوم بـ"**عودة لإشكالية الانحطاط الاقتصادي للعالم الإسلامي الوسيط، حالة المغرب الحمادي في القرن 11و12م**"، ببراهين موضوعية وجد مقنعة مشيرا في مقاله إلى أن العوامل المحيطة ببلاد المغرب الأوسط هي الساهمة في تراجع مكانة المغرب الأوسط الاقتصادية والاجتماعية، وليست فقط الهجرة الهلالية[3].

ومن الدراسات التي اهتمت بريف المغرب الأوسط أيضا، وإن تناولت هذا الموضوع بشكل جزئي إلى جانب المدن، نجد مؤلف جودت عبد الكريم يوسف[4]، والذي استعرض من خلاله لمختلف الحيثيات المجتمعية والعوامل الاقتصادية التي أسهمت في ازدهار الجانبين مع الإشارة إلى مختلف العوامل المثبطة أو المشجعة للاقتصاد وحركية المجتمع.

ومن جانبها اهتمت مخابر البحث في التاريخ المغربي، بالريف من خلال عديد الأبحاث التي تقام في الملتقيات العلمية، ونشرها ضمن مجلات علمية أكاديمية مثل الملتقى الذي أقيم في وهران أيام 26_ 27_ 28 نوفمبر 1983م، بعنوان "**العالم الريفي المغربي،**

---

[1] _ **من القرن 13م إلى القرن 15م**، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988، 2ج.

[2] _ **تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10م إلى القرن 12م**، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، 2ج.

[3] _ Allaoua Ammara: **Retour à la problematique du dèclin èconomique du monde musulman mèdièval, le cas du magrab hammadide (11_12 s°)** , the magreb review, Vol 28, 1, 2003, P: 25.

[4] _ **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في لمغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هـ/ 9و10م**، د، م، ج، الجزائر، د_ت.

الجماعات والبنى المجتمعية"[1]، وقد تناول هذا الملتقى دور المجتمعات الريفية في التاريخ المغربي، منذ القديم إلى الفترة الحديثة قمنا باستقاء معلومات مهمة فيما يتعلق بريف المغرب الأوسط، والتي سنعالجها عند التعرض لمختلف النقاط التي تعالج موضوع دراستنا.

وهناك ملتقى آخر بعنوان "**مناهج لمقاربة العالم الريفي**"[2]، الذي جمع باحثين جزائريين على الخصوص بالإضافة إلى باحثين أجانب، وتم عقد هذا المؤتمر عام 1976م، ومن بين المداخلات التي عالجت موضوعنا مقال محمد بوخبزة الذي تحدث فيه، عن التكامل الاقتصادي بين مختلف القطاعات وأثره على الجانب الاجتماعي[3].

ومقال آخر لعمر سارني، الذي تناول فيه أثر الوسط الجغرافي ومورفولوجية السطح، في بروز علاقات اقتصادية واجتماعية مميزة، وهو ما يثمن ما جاء به جغرافيو الفترة الوسيطة[4]، وأكد أحمد نذير في مقاله إلى أن نجاح التصوف كظاهرة اجتماعية في بلاد المغرب ابتداء من القرن 12م، ناتج عن بساطة التفكير واستمرار نفوذ المتصوفة في أوساط الأرياف مما أدى إلى بروز الحركة المرابطية كحركة اجتماعية ، مهيمنة على الجزائريين والتي استمرت حتى الفترة الاستعمارية[5]، بل إلى اليوم.

عرض لأهم مصادر البحث ومراجعه

لقد تعددت وتنوعت المصادر والمراجع التي عدت إليها لإثراء هذه الدراسة، كما تنوعت اتجاهاتها من مصادر تاريخية وجغرافية وفقهية ومنقبية، بالإضافة إلى كتب التراجم

---

1 _ **Le monde rural magrèbin, communautés et stratifications sociales** , Actes 3 =éme congrès d' histoire et de la civilisation du magreb , Tome 1, O, P, U, Alger.

2 _ **Mèthodes d' approches du monde** rural, O, P, U, Alger, 1984.

3 _ Mohamed Boukhabza : **Quelques problèmes mé thodologiques qui pose la collecte d' information en vue d' une recherche sosio_ économique** , P: 14.

4 _ Amir Sarni : **Les aspect méthodologiques de l' approche géographiques du milieu rural , a travers l' étude du réseeau de commercialisation des produit agricoles dans l' agglomiration Algeroise** , P: 50.

5 _ Ahmed Nadir : **Le moraboutisme , supertition ou revolution** , PP: 195_ 206.

والطبقات، لأن موضوع اقتصاد ومجتمع ريف المغرب الأوسط، نجده متناثرا هنا وهناك ولا نجد مصنفا يجمع كل هذه المعلومات ، وأهم هذه المصادر هي:

1_ كتب الفقه والأحكام والنوازل:

أفادتني هذه الأنواع من المصادر في رسم صورة اقتصادية واجتماعية جد مهمة، من خلال معرفة أشكال التملك والمعاملات، ضمن النشاط الاقتصادي والحراك المجتمعي، وكانت الخلفية النظرية والتشريعية الأولى لهذه القضايا هي"**المدونة الكبرى**"[1]؛ لمالك بن أنس برواية سحنون(ت290هـ/902م)، التي جاءت جامعة لكافة المسائل الشرعية المتعلقة بالجانبين الاقتصادي والاجتماعي.

ومن كتب **الفقه والخراج** التي اعتمدت عليها هي"**كتاب الخراج**"[2]؛ ليحي بن آدم القرشي(ت 203هـ/ 818م)، و" **الأحكام السلطانية** "[3]؛ للماوردي(ت450هـ/ 1058م)، أما **كتب الأحكام** فقد تضمنت ملخصات مجردة للأحكام التي استعملها القضاة في عملهم وكانت أهمها"**النوادر والزيادات**"[4]؛ لابن أبي زيد القيرواني، كما اعتمدت على المصنفات الإباضية مثل"**القسمة وأصول الأراضين** "[5]؛ لأبي العباس أحمد بن أبي بكر.

واعتمدت أيضا على"**ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**"[6]؛ لأبي الأصبع عيسى بن سهل الجياني(ت486هـ/ 1093م).

أما فيما يتعلق **بكتب النوازل والفتاوى**؛ فهذا النوع من المصادر مفيد جدا فيما يتعلق بدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لريف المغرب الأوسط، لكن يبقى من سلبيات هذا النوع من المصادر غياب التسلسل الزماني وإهمال التواريخ، وأهم هذه النوازل هي:

---

[1] _ ط1_ دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ/ 1994م، 4ج.

[2] _ حققه حسين مؤنس، دار الشروق، د_ت.

[3] _ تحقيق الأستاذ محمد الأمين بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، د_ت.

[4] _ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان: **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، دار الغرب الإسلامي، د_ت، 14ج.

[5] _ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي: **القسمة وأصول الأراضين، كتاب في فقه العمارة الإسلامية**، تحقيق وتعليق وتقديم محمد صالح ناصر، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، جمعية التراث، الجزائر، 1414هـ/ 1993م.

[6] _ تحقيق يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.

"**جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**"[1]؛ لأبي القاسم بن أحمد البرزلي(ت841هـ/1437م)، و"**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**"[2]؛ لأحمد بن يحي الونشريسي(ت914هـ/ 1508م)، وما يجمع هذين المؤلفين أنهما كانا مرجعية أساسية لنوازل كثيرة فيما يتعلق بأشكال التملك والمغارسة والمزارعة والغصب والمهر،...إلخ.

والملاحظ على البرزلي أنه يمتاز بنظرته المستهجنة للأعراب ومواقفه الشديدة من المجموعات الريفية، على غرار باقي الفقهاء المغاربة(ابن عرفة، أبو العباس المعروف بالمريض،..)[3].

أما الونشريسي فبالرغم من اعتماده على الموطأ والمدونة وتكراره لنوازل المازوني، إلا أن"نوازله تمتاز بالرتابة والتطور البطيئ، إلى درجة أن الصورة التي قدمتها نوازله عن الريف بقيت ثابتة طوال قرون عديدة ولم تتغير إلا مع وصول المستعمر الأوروبي"[4]، كما أنها كانت تعتمد على العرف الجاري، والذي كان مستندا لأغلبية التشريعات المغربية[5]،وقد أفادتني هذه المعطيات في تعميم بعض الحقائق والتي لاتزال مستمرة حتى اليوم، في بعض المناطق الريفية لبلادنا الواسعة.

2_ كتب الجغرافيا والرحلات

هذا النوع من المصادر اللاإرادية(لم تؤلف بقصد التأريخ)، مفيد جدا في موضوع اقتصاد ومجتمع الريف في المغرب الأوسط، وقد أعانتني في رسم صورة متكاملة عن الحياة الاقتصادية(زراعة، مواشي، حرف،...)، كما ساعدتني في تحديد أماكن العمران الريفي والمقارنة مع بعضها البعض، لاستخلاص التغيرات الحاصلة وأهم هذه الكتب:

---

[1] _ تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، 6ج.

[2] _ باشراف محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/ 1981م، 12ج.

[3] _ سعد غراب: **موقف الفقهاء المغاربة من المجموعات الريفية من خلال نوازل البرزلي**، مقال ضمن ملتقى" Le monde rural"، ص، ص: 82، 85.

[4] _ محمد حسن: **الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط، مدخل لدراسته من خلال نوازل المعيار للونشريسي**، مقال ضمن نفس الملتقى، ص: 93.

[5] _ **المرجع نفسه**، ص: 95.

"**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**"[1]؛ لأبي عبيد الله البكري(ت487هـ/1094م)، الذي أفادنا بمعلومات هامة عن ريف المغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/ 11م، خصوصا في الجانب الاقتصادي مع إشارات لابأس بها عن المجتمع، خصوصا استقرار القبائل، والملاحظ على هذا المؤلف أنه لم يذكر لفظ البادية في عصره، مما يدعونا إلى التساؤل عن ازدهار الريف خلال هذه الفترة، والتغيرات التي طرأت على الريف بعد الهجرة الهلالية.

"**القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس عن نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**"[2]؛ لأبي عبد الله محمد الشريف السبتي المعروف بالإدريسي(ت حوالي 548هـ/1154م)، بالرغم من أنه أعاد صياغة ما قاله ابن حوقل إلا أنه أعطانا صورة واضحة عن اقتصاد الأرياف والبوادي، وكذلك ما يتعلق بالجانب المجتمعي من عادات وتقاليد المغرب الأوسط والمستوى المعيشي، كما وصف لنا أهم القرى الريفية للمغرب الأوسط، وحالتها الاقتصادية والمجتمعية بشكل مفصل، وكذلك استقرار الأعراب واندماج المجتمعين معا في بعض المواضع.

"**كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**"[3]؛ لكاتب مراكشي من كتاب القرن6هـ/12م، الذي كان تكملة لمؤلف البكري وكان ناقلا عنه في كثير من الأمور، وهذا الكتاب ينقسم إلى ثلاث أقسام آخرها خاص ببلاد المغرب والسودان، وصاحب الكتاب كان معاصرا للمنصور الموحدي، وقد أعطانا معلومات في غاية الأهمية عن هذه البلاد (اقتصاد ومجتمع).

"**وصف إفريقيا**"[4]؛ للوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي المتوفي بعد سنة 957هـ/ 1559م، بالرغم من أن هذا المصدر كان متأخرا عن الفترة إلا أنه أفادني بمعلومات هامة عن الاقتصاد والمجتمع الريفي، وساعدني على المقارنة بين الفترات، كما تحدث عن مناخ البلاد وتأثيره على النشاط الاقتصادي والاستقرار المجتمعي في ريف المغرب الأوسط.

---

[1] _ بغداد، مكتبة المثنى، د_ت.

[2] _ تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر، د، م، ج، 1983م.

[3] _ نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د_ت.

[4] _ ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، 3ج.

3_ كتب المناقب والتصوف

يركز هذا النوع من المصادر على تمجيد الأولياء والمتصوفة، كما أنه يفيدنا بمعلومات هامة عن الحياة الريفية البسيطة خصوصا إذا علمنا بأن هذه الشريحة كانت قريبة من العامة، لذلك استقينا منها بعض المعلومات فيما يتعلق بالغذاء، اللباس، المشاكل الأسرية،...إلخ، وكانت أهم المصادر التي اعتمدت عليها هي:

"**التشوف إلى رجال التصوف**"[1]؛ للتادلي يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات(ت617هـ/1226م)، وبالرغم من أن هذا المصدر قد أورد تراجم لمتصوفة المغرب الأقصى، إلا أنه أدرج بعض التراجم الخاصة بالمغرب الأوسط، التي استقينا منها بعض الشذرات عن حالة الاقتصاد والمجتمع، وكيف كان للأداء الكرامي لمتصوفة المغرب الأوسط، الأثر الكبير في نفوس أهل الريف.

" **أنس الفقير وعز الحقير**"[2]؛ لابن قنفذ أبي العباس أحمد الخطيب القسنطيني(ت 810هـ/1408م)، تناول المؤلف التعريف بشيخ الأولياء أبي مدين شعيب وبعض أصحابه بناء على طلب صديق له، وقد تناول بعض القصص عن جده لوالده وبعض الصلحاء من القرن 5و6هـ/11و12م، التي استقينا منها بعض المعلومات القليلة مثل إكرام الضيف، الغذاء، الأسرة في الريف،...إلخ.

4_ كتب الطبقات والتراجم والسير والأنساب

لئن ترجمت هذه الكتب لشريحة اجتماعية ضيقة؛ تقتصر على العلماء والمشايخ، فإنها لا تخلو من مادة ثرية خاصة بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والذهني، لمختلف فئات المجتمع وأهم هذه المصادر هي:

"**طبقات المشايخ بالمغرب**"[3]؛ لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(توفي حوالي 670هـ/1272م)، الذي أفادني كثيرا في معرفة الحياة في الواحات الصحراوية كوارجلان وسوف وأريغ، وأطعمتهم وأهم المنتوجات الحيوانية والنباتية، والحركة العلمية.

[1] _ تحقيق أحمد توفيق، ط2، الرباط، منشورات الآداب، جامعة محمد الخامس، 1997م.

[2] _ اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.

[3] _ حققه وقام بطبعه الشيخ محمد طلاي، ط2، جمعية التراث، الجزائر، د_ت، 2ج.

"**عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**"[1]؛ للغبريني البجائي(ت704هـ/ 1304م)، قام المؤلف في هذا الكتاب بالترجمة لعلماء بجاية، والوافدين عليها من علماء وصلحاء الأندلس، وهذا المؤلف يقدم لنا صورة واضحة عن الحياة اليومية للفقهاء والصلحاء ونمط أكلهم ومعيشتهم ودورهم في المجتمع أثناء المجاعات والجفاف، وكذلك حال الأسر وواقع المرأة في هذا النوع من المجتمعات.

هذا وقد اعتمدت أيضا على مصادر أخرى والتي استنبطت من خلالها بعض المعلومات القليلة والمفيدة، عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، مثل ترتيب المدارك[2] ومعالم الإيمان[3] ووفيات الأعيان[4].

5_ كتب الطب والفلاحة

تفيدنا كتب الطب في معرفة مختلف أنواع الأمراض وطرق العلاج، وبعض الأغذية التي يتناولها سكان ريف المغرب الأوسط؛ وإن كانت هذه الكتب تتحدث في غالب الأحيان عن كامل الغرب الإسلامي أو المغرب العربي، وكذلك الأعشاب الطبية التي زخرت بها الأرياف والتي كانت المنتج الأول لهذا النوع من الحشائش، والتي مكنت سكان الريف من استخلاص بعض الأدوية لعلاج مرضاهم، وأهم هذه المؤلفات هي:

"**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**"[5]؛ لابن البيطار المالقي(ت646هـ/1248م)، هذا الكتاب عبارة عن معجم ذكر فيه المؤلف مختلف الأعشاب والنباتات الطبية ومنها تلك التي تنبت في المغرب الأوسط، مع ذكر فوائدها الطبية.

---

[1] _ تحقيق رابح بونار، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1971م.

[2] _ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، الجزء 1و2**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، **الجزء 3**، تحقيق عبد القادر الصحراوي، **الجزء 4_ 8**، تحقيق محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، د_ت.

[3] _ أبو زيد عبد الرحمان بن خلدون بن محمد الأنصاري الأسيدي: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة، تونس، 4ج، د_ت.

[4] _ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، دار صادر بيروت، د_ت، 8ج.

[5] _ ط1، دار الكتب العلمية، 1991م، 2ج.

أما كتب الفلاحة فهي تقدم لنا معلومات ونصائح عن أنواع التربة وفوائدها وملاءمتها لكل نوع من أنواع المزروعات، وكذلك أنواع الفواكه والأشجار والأشهر الملائمة لقطافها، تقليم الأشجار، أوقات الزرع والبذر وفترات الحرث،...إلخ، وأهم هذه المصادر هي "**كتاب الفلاحة**"[1] لابن العوام الذي أفادني كثيرا في هذا الجانب.

6_ كتب الحوليات والأخبار

هذه المؤلفات مفيدة جدا ولا يمكن الاستغناء عنها، لأنها تعطينا زمنية الأحداث خصوصا فيما يتعلق بتواريخ الدول، فترات الحروب والاضطراب، فترات الازدهار وكذلك الجفاف والمجاعات والأوبئة، لكنها في المقابل شحيحة فيما يتعلق بالمعلومات عن الريف من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها:

"**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**"[2]؛ لابن عذارى المراكشي(كان حيا سنة 712هـ/1311م)، الذي أفادني أيضا فيما يتعلق ببعض الأحداث والحروب، والمجاعات والأوبئة خلال الفترة قيد الدراسة، وآثارها السلبية على الاقتصاد والمجتمع على حد سواء.

"**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**"[3]؛ لابن أبي زرع الفاسي(كان حيا سنة729هـ/1328م)، وقد أفادني هذا المصدر في جوانب عديدة عن الريف خصوصا عند حديثه عن عبد المؤمن بن علي فيما يتعلق بالأرض والخراج، بالإضافة إلى حديثه عن المجاعات والأوبئة وغلاء الأسعار،...إلخ.

"**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**"[4]؛ لعبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ/1406م)، الذي اعتمدت عليه كثيرا خاصة فيما يتعلق بالقبائل العربية والبربرية، حيث أفرد الجزأين السادس والسابع لتاريخ قبائل المغرب على حد سواء، وكذلك الحروب التي عاشتها المنطقة وكل ما يتعلق بالدول التي حكمت فترة دراستي خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

---

[1] _ أبو زكريا يحي بن أحمد الإشبيلي، مدريد، 1802م.

[2] _ **الجزء 1، 2، 3:** تحقيق ج.س كولان وليفي بروفنصال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م_ **الجزء 4:** تحقيق إحسان عباس، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م _ **القسم الموحدي**، تحقيق إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1406هـ/ 1985م.

[3] _ دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.

[4] _ ضبطه خليل سعادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1421هـ/ 2001م، ج6، ج7.

وفضلا عن المصادر الآنفة الذكر؛ فقد اعتمدت في هذه الدراسة أيضا على مصادر كثيرة لا تقل أهمية عن الأولى، أما المراجع التي اعتمدتها في هذه الدراسة كذلك؛ فهي كثيرة ومتنوعة ومهمة، وقد تناولت بعضا منها عند الحديث عن الدراسات السابقة، مثل كتاب "**الدولة الصنهاجية**"؛ للهادي روجي إدريس، و"**دولة بني حماد**"؛ لعبد الحليم عويس، "**المدينة والبادية**" لمحمد حسن، و"**تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**" لروبير برنشفيك، وهذه المراجع أفادتني كثيرا وأمدتني بأفكار ومنهج للعمل، التي اتخذتها وعرفت من خلالها التوجه الصحيح لدراستي.

صعوبات الدراسة

لقد واجهت في دراستي هذه مصاعب جمّة أهمها:

_ قلة المادة المصدرية المتعلقة بهذا الموضوع، نظرا لكون معظم الدراسات متعلقة إما ببلاد المغرب ككل، أو بتونس والمغرب الأقصى، وبقيت الجزائر وللأسف متأخرة في مجال التأليف في هذا المجال (مجال الريف بالأساس)، فلعل دراستي هذه ستكون مساهمة مفيدة في تاريخ الريف لمغربنا الأوسط.

_ عدم توفر الكثير من المراجع التي تخدم الموضوع، وما وجد فهو إشارات بسيطة وشذرات من المعلومات غير متعمق فيها، بالإضافة إلى تشابه المعلومات الواردة في هذه المراجع، والتي استمدت معلوماتها من نفس المصادر(البكري، الإدريسي،...).

_ جل الدراسات التي كتبت عن القرنين5و6هـ/11و12م، تشير إلى أنها فترة خراب ودمار المقترن بالهجرة الهلالية، فوقعنا في فخ الغموض خاصة في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي لريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

_ كثرة التعميم عن الوضع السائد آنذاك (ريف المغرب الأوسط)، وصعوبة التصنيف للمادة العلمية، والرجوع إلى عشرات المصادر والمراجع من أجل الحصول على عدة أسطر قد تمت بصلة للموضوع قيد الدراسة.

وفي الأخير أتقدم بالشكر والعرفان الخالص إلى المشرف الأستاذ الدكتور **إبراهيم بكير بحاز**، على نصائحه القيمة وصبره الطويل عليّ، إلى غاية إتمام هذه الدراسة، كما أتوجه بالشكر لجميع من درّسني في الفترة الجامعية الأولى ليسانس والثانية ماجستير.

الفصل التمهيدي

أولا: ضبط مصطلح الريف و البادية.

ثانيا: إشكالية حدود المغرب الأوسط.

ثالثا: تضاريس ومناخ المغرب الأوسط (الجزائر حاليا).

1_ تضاريــــس المغرب الأوسط.

2 _ منــــاخ المغر ب الأوسط.

رابعا: العلاقة بين الاقتصاد و المجتمع في ريف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا).

خامسا: لمحة عن الاقتصاد و المجتمع في ريف المغرب الأوسط قبل القرن 5هـ/11م، والظروف العامة المحيطة بالريف خلال القرنين 5و6هـ/11و12م.

1_ لمحة عن اقتصاد و مجتمع ريف المغرب الأوسط قبل القرن 5هـ/11م.

2_ الظروف العامة المحيطة بريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

أ_ الظـــروف الداخليــــــــة.

ب_ الظــــــروف الخارجيـــــــة.

أولا: ضبط مصطلح الريف والبادية:

فرضت الظروف الطبيعية المناخية، لسكان المغرب الأوسط ازدواجية في نمط المعيشة، بين بدو رحل و مزارعين مستقرين[1]، أو حسبما قسمه العرب الى مجموعتي البتر و البرانس، إذ اختلف هذا التقسيم تبعا لأساليب الحياة، و المظهر الخارجي للباس، وكذلك على الأساس الثقافي و اللغوي[2].

وعليه فإن التصاق الشمال الإفريقي، القديم والوسيط بالبداوة، يعد من الخرافات الجارية عند كثير من المؤرخين[3]، وهذه النظرة قد روجت لها الكتابات الاستشراقية، التي اعتمدت على ما كتبه ابن خلدون في مقدمته، الذي جعل لفظ البادية يشتمل على سكان الجبال و الضواحي البعيدة عن المدن، وكل من يعيشون على حياة الترحال، فيذكر في الفصل الأول من الباب الثاني للمقدمة: << **اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم ، إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون من أجل تحصيله والابتداء بما هو ضروري وبسيط قبل الحاجي والكمالي، فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة و الزراعة ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والماعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها، وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان، تدعوهم الضرورة ولابد الى البدو لأنه متسع لما يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك، فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا، وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفاءة إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش غير مزيد عليه للعجز عما وراء ذلك>>[4]**.

---

[1] _عبد المجيد مزيان: **النظريات الإقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي، والواقع المجتمعي،** ش،و،ن،ت، الجزائر،1981م، ص:123.

[2] **_لمزيد من التفصيل، أنظر**: موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن 5هـ**، سلسلة الدراسات الكبرى، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1979م، ص:93_94.

[3] _عبد المجيد مزيان: **المرجع السابق**، ص: 123.

[4] _ص ص:132_133.

والملاحظ أن المفهوم الخلدوني للبداوة كنمط عيش، غير مرتبط بقضية الاستقرار أو التنقل وإنما بمجموعة من عوائد الحياة، لذلك قسم البدو إلى ثلاثة أصناف، دقق في وصفها وتفصيل أحوال كل منها:

1_ أهل الزراعة الميّالون الى الإقامة ويسكنون المدر والقرى والجبال، وهم عامة البربر والأعاجم.

2_ الشاوية لقيامهم على الشاه والبقر.

3_ أهل الإبل وهم أكثر ظعنا في القفار وأكثر توحشا وهؤلاء العرب وظعون البربر وزناتة المغرب[1].

والواقع أن هذه النظرة التي تبناها ابن خلدون، ليست وليدة الصدفة وإنما كانت نتيجة لتأزم الأوضاع السياسية وتفشي الحروب في عصره، بالإضافة الى صراعات العرب فيما بينهم، وهذا ما جعل البداوة تسود جلّ مناطق بلاد المغرب عامة، والأوسط كجزء منه، وبالتالي فقد هيمن النشاط الرعوي على غيره من الأنشطة الفلاحية[2]، وقد بدا التأثر بما ساقه ابن خلدون؛ فيما تناوله المستشرقون: **أندري نوشي، إيف لاكوست**، و**أندري برنيان**، الذين أعطوا تصورا قاسيا عن البدو[3].

ولم تكن هذه النظرة مقتصرة على ابن خلدون والمستشرقين من بعده فحسب، بل حتى الحقبة الإسلامية الأولى حيث كان المهاجرون الأوائل يستعيذون من التعرب أي سكن البادية[4]، ولهذا فإن عدم وجود دقة في ضبط مفهوم الريف والبادية،؛ يستلزم العودة الى معاجم اللغة للتعرف على أصل كل كلمة على حدى.

---

[1] _**المصدر نفسه**، ص:133.

[2] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص: 454.

[3] _**الجزائر بين الماضي والحاضر**، ترجمة رابح استنبولي، د،م،ج، الجزائر، 1984م، ص: 118.

[4] _ محمد حسن: **المرجع السابق**، ص: 87.

1 **_الريف:** يذكر ابن منظور[1] في لسان العرب أن الريف لغة؛ يعني الخصب والسعة في المآكل، والجمع أرياف فقط، والريف ما قارب الماء من أرض العرب وغيره، والجمع أرياف وريوف، والريف أرض فيها زرع وخصب، ورافت الماشية أي رعت الريف، وفي الحديث تفتح الأرياف فيخرج إليها الناس، وهي جمع ريف، وهو كل أرض فيها زرع ونخل.

ويذكر ابن العوام عند حديثه عن الفلاحة كنشاط أساسي، يمس الريف ويقوم على الاستقرار بأن:<< **فلاحة الأرض هو إصلاحها وغراسة الأشجار فيها وتركيب ما يصلح للتركيب منها، وزراعة الحبوب المعتاد زراعتها، وإصلاح ذلك... ومعرفة نوع المياه التي تصلح للسقي... ومعرفة الزبول وإصلاحها... وأن فلاحة الحيوانات التي لا غنى عنها في فلاحة الأرض، وبعض الأطيار التي تتخد في الضياع وفي المنازل للانتفاع بها...>>** [2].

فنجد إذن؛ بأن الريف مرتبط بالزراعة والخصب في المعاش، وهو الذي يحدد النشاط الاقتصادي، والوضع المجتمعي لأي منطقة من المناطق؛ لذلك نجد أن الطبيعة الجغرافية لبلاد المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، والتي تمتاز بالتنوع، قد فرضت على السكان الضاربين بين السهول الفسيحة، كسهول متيجة، ووهران، وبونة، والسفوح الشمالية لسلسلة الأطلس التلي، حيث تسود التربة الخصبة والمناخ المعتدل، والأمطار الغزيرة والغابات الكثيفة، حياة رغدة نتيجة ملائمة الظروف الطبيعية، فمارسوا الزراعة وامتهنوا صناعات متنوعة، واستقروا في بيوت مبنية من الطين والحجارة[3]، فشكلوا بذلك النواة الأولى لنشأة القرى والمدن في المنطقة.

وفي هذا الصدد يذكر الإدريسي[4] عن بني مزغنة؛ بأن زراعتهم الحنطة والشعير، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم وكانت لهم أخصاص يسكنونها[5].

---

[1] _أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الخزرجي: **لسان العرب**، ط1، المطبعة الميرية، بولاق مصر، 1301هـ، **مادة ريف**، 68/11.

[2] _ **كتاب الفلاحة**، ص ص: 7_8.

[3] _عبد الحميد الفهري: **البربر الجبالية في العصور الوسطى**، مقال ضمن أعمال ملتقى التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة قسنطينة، 2001م، ص: 143.

[4] _ **نزهة المشتاق**،ص:159.

[5] _ جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، ص: 249.

2_ **البادية**: في اللغة خلاف الحضر، وهي اسم للأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الناس من الحضر الى المراعي في الصحاري، قيل قد بدوا والاسم البدو[1].

وبهذا فالبادية تشكل المجال الحيوي للقبائل البادية والظاعنة، في حلها وترحالها، ذلك أن البداوة هي نمط من أنماط الحياة المجتمعية، وهي بداية تكيف الفرد والجماعة مع الظروف البيئية الصعبة، مرتكزين على مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والنظم[2]، كما اقترن مفهوم البادية، بمفهوم الأعراب الذي ذكر في العهد الاسلامي الأول دون أن يكون ذا أهمية آنذاك، لسيطرة العمران الحضري في بلاد المغرب، لكنه طفح على السطح من جديد ابتداء من القرن5هـ/11م، بعد الهجرة الهلالية لبلاد المغرب[3].

وانطلاقا من تحديد مفهوم كلا المصطلحين؛ يتضح أن الريف يقوم على الاستقرار وممارسة الزراعة وتربية الحيوانات (بقر، غنم، خيول، دواجن،...)، والبادية تقوم على الترحال والظعن، ولا ترتبط بالزراعة، ويعيش ممتهنها على تربية الأغنام والإبل على نطاق واسع.

وعليه فإنني بدراستي هذه سأركز على الريف، في المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، كنمط عيش يقوم على الاستقرار، ويعتمد أساسا على النشاط الفلاحي من ممارسة الزراعة وتربية الحيوانات.

ثانيا: إشكالية حدود المغرب الأوسط

إن تحديد وضبط حدود المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة من الإشكالات التي يجد الباحث نفسه أمامها، نظرا لعدم استقرار حدوده على وضع معين نتيجة لعدة اعتبارات منها: الحركة القبلية الغير مستقرة، بالإضافة إلى حالة القوة والضعف للدول التي تعاقبت على حكم

---

[1] _إبن منظور: **المصدر السابق، مادة بدو**،72_71/18.

[2] _إبن عمار الصغير: **التفكير العلمي عند ابن خلدون**، ش، و، ن، ت، الجزائر، ص ، ص: 8، 30.

[3] _محمد حسن : **المدينة والبادية**، ص: 89.

هذه البلاد وتأثرها بالأحداث السياسية، العسكرية والمذهبية[1]، خصوصا ونحن نعلم أن هذه الأوضاع ميزت حال بلاد المغرب منذ بداية العصر الوسيط إلى نهايته.

والملاحظ أن صعوبة ضبط حدود البلاد راجعة إلى كون مفاهيم السيادة والحدود بالنسبة لتلك الفترة، تختلف عن المفاهيم المعمول بها اليوم، كما لا يمكن آنذاك الاهتمام بضبط الحدود الجغرافية بين الدول بصورة مدققة ومتواصلة[2]، كما أن لفظي أوسط وأقصى ظهرا ابتداء من القرن 5هـ/11م، عندما دعت الحاجة للمسلمين للتمييز بين أقاليم المغرب الواسع، فظهر لفظ المغرب الأوسط وعني به البلاد الجزائرية الحالية تقريبا مع الاختلاف فيما يدخل ضمن هذا التقسيم شرقا وغربا[3].

أما التعبير الفني أدنى، أوسط، أقصى، فقد جاء انطلاقا من بعد أو قرب هذا الإقليم أو ذاك من المشرق وبالتحديد عاصمة الدولة الإسلامية هناك[4]، وبالرغم من حالة المد والجزر

---

[1] _ هذه النقطة بالذات كثيرا ما أشار إليها المؤرخون في سياق عرضهم التاريخي، فكثيرا ما كانت توسعات الدول وتراجعها في خلق حالة من المد والجزر بالنسبة لحدود المغرب الأوسط أنذاك، فبلكين بن زيري وصل في مطاردته لزناتة حتى فاس(**أنظر في هذا الشأن: ابن خلدون:العبر، 6/ 229**)، وعندما عزم المعز على الرحيل إلى المشرق، حرص على استبقاء ما حازه من ملك المغرب بإفريقية وما إليها إلى أحواز تلمسان وصقلية.....، لبلكين بن زيري،(**انظر: لسان الدين السلماني الغرناطي المعروف بابن الخطيب: أعمال الأعلام(القسم المغربي)، طبع باسم تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط**، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م،**3/ 319، ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، نشر المكتبة العتيقة، تونس، 1967م، ص ص: 67_69**)، وأصبحت الدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس تشمل واركلان، وأخضع بسكرة ونواحيها وأصبحت هذه المملكة تشمل صفاقس، قسطيلية والقيروان وغيرها(**انظر: محمد الطمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، د،م،ج، الجزائر، 2007م، **ص: 107، رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م،ص: 211**)، وفي عهد علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي، وصل حتى بجاية (**انظر: ابن الخطيب: المصدر السابق، 3/ 253**)، وقبلها فتح يوسف بن تاشفين أعمال الشلف إلى الجزائر وفي 544هـ، ملك الوحدون مدينة مليانة، كما سيطروا على بجاية عام 546هـ(**انظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ص، ص: 168_191، 193، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1383هـ/1963م، **ص: 273**)، والأمثلة كثيرة والمصادر أكثر لا يتع المجال لذكرها هنا.

[2] _ روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 1/ 313.

[3] _ يوسف أحمد حوالة: **الحياة العلمية في إفريقية، المغرب الأدنى منذ اتمام الفتح حتى منتصف القرن 5هـ/ 90_450م)** ، ط1، جامعة أم القرى، 1421هـ/ 2000م، 1/ 49.

[4] _ **المرجع نفسه:** ص: 50.

وعدم الدقة في ضبط حدود المغرب الأوسط، غير أنه يمكننا استقاء جملة من المعلومات حول هذه الحدود انطلاقا مما مثلته الكتابة التاريخية، ضمن مصنفاتها الجغرافية والتاريخية.

1_ المغرب الأوسط ودلالته في المصنفات الجغرافية

كما سلف الذكر فقد قلنا بأن مصطلح المغرب الأوسط، لم يكن له وجود في الكتابة التاريخية قبل القرن 5هـ/11م، وبالضبط قبل عصر البكري فما كتب عنه قبل هذا كان مستندا على معيار سياسي محض، فيذكر الأصطخري(ق 4هـ/10م) بأن المغرب يمتد على طول بحر الروم(البحر المتوسط اليوم)، ويقسمه إلى قسمين: شرقي وغربي، فالشرقي يضم برقة، إفريقية وتاهرت وطنجة، والسوس، وزويلة، والغربي يشمل الأندلس[1]، ويغلب على هذا التقسيم الجانب المذهبي، ذلك أن إمارة تاهرت لم تكن قاعدة إقليمية غير أنها كانت تتمتع بإشعاع ديني كالقيروان[2].

وفي هذا السياق يذكر اليعقوبي بأن مدينة أوربة:<<**آخر مدن الزاب مما يلي المغرب آخر عمل بني الأغلب**>>[3]، أما المقدسي فقد جعل من المغرب والأندلس كبلد واحد:<<**قد جعلنا المغرب مع الأندلس كيهطل وخراسان، غير أننا لم ندخل الأندلس وكورها**>>[4]، وجعل من بلاد المغرب كور وقسمها إلى عدة مناطق: برقة، إفريقية، تاهرت، سجلماسة، السوس، صقلية، ثم الأندلس[5]، وجعل من المسيلة حد إفريقية[6]، وكان الحد الفاصل بين الأدارسة في المغرب الأوسط والأغالبة في وادي الشلف، هذا الأخير الذي ذكره القزويني ضمن أراضي إفريقية، عند حديثه عنها بقوله:<<**بإفريقية نهر الشلف**>>[7].

---

[1] _ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي: **مسالك الممالك**، وهو معول كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، مطبعة بريل، ليدن، 1927م، ص: 36.

[2] _ عبد القادر جغلول: **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، ترجمة فضيلة الحكيم، ط2، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1988م، ص ص: 71_72.

[3] _ أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: **كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ليدن، 1860م، ص: 131.

[4] _ أبو عبد الله أحمد بن أحمد: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل، ليدن، 1877م، ص: 179.

[5] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[6] _ **المصدر نفسه**: ص: 189.

[7] _ زكرياء بن محمد بن محمود: **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ص:148.

ونجد ابن حوقل هو الآخر قد قسم بلاد المغرب إلى قسمين: شرقي يمتد من برقة إلى نواحي إفريقية، وغربي يمتد من إفريقية إلى المحيط، وهذا القسم بلاد مسكونة ومدن متصلة الرساتيق والمزارع والضياع والمياه والولاة والسلاطين والملوك والحكام والفقهاء وكل ذلك في جملة صاحب المغرب وحوزته وقبضته في يد خليفته[1]، ويذكر مجهول من القرن 4هـ/ 10م، أن تاهرت كورة منفصلة عن أعمال إفريقية[2].

هذا ونجد البكري(ت487هـ/1094م)، وهو أول من استعمل مصطلح المغرب الاوسط بعد تحديده لفضاءات المغرب الممتدة من برقة إلى طنجة، الذي قسمه إلى ثلاث مناطق هي: إفريقية وقاعدتها القيروان، المغرب الأوسط وقاعدته تلمسان التي قال عنها: <<**هذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط، لها أسواق ومساجد**>>[3] ، والمغرب الأقصى الذي يمتد من غرب تلمسان إلى البحر المحيط، والملاحظ أن إشارته إلى أن تلمسان هي دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر[4]، دليل على تقسيمه واصطلاحه هذا؛ لبلاد المغرب الأوسط قائم على معيار قبلي.

أما الإدريسي(ت560هـ/ 1164م)، فيذكر أن المغرب الأوسط يقع في الجزء الأول حتى الإقليم الثالث وقاعدته بجاية، ويذكر بأن: <<**مدينة بجاية في وقتنا هذا، مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد....، وأن تلمسان هي قفل بلاد المغرب**>>[5]، والملاحظ أنه لم يدرجها ضمن مدن المغرب الأوسط.

وانطلاقا من إشارته للدولة الحمادية، نجد أن تقسيم الإدريسي اعتمده على أساس المعيار السياسي، في حين يقسم الزهري(ت أواخر القرن 6هـ/12م)، بلاد المغرب إلى ثلاث أصقاع وهي: إفريقية الممتدة من جبال برقة إلى جبال نفوسة وجبال الونشريس، وغرب هذا

---

[1] _ أبو القاسم النصيبي: **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص ص: 83_ 84.

[2] _ **حدود العالم من المشرق إلى المغرب**، تحقيق يوسف الهادي، الدر الثقافية للنشر، القاهرة، 1419هـ/ 1999م، ص: 134.

[3] _ **المغرب**: ص: 76.

[4] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[5] _ **نزهة المشتاق**، ص: 161.

الصقع في البر مدينة مليانة، زواوة، قسنطينة، القلعة ومدينة برشك، والمغرب الأقصى من جبل وانشريس وفي أول هذا الصقع: تنس، وهران، هنين، المزمة، بادس وتاهرت[1].

وانطلاقا من تقسيم الزهري فإننا لم نجد أي أثر للمغرب الأوسط في مؤلفه هذا، ولعل هذا يعود إلى حالة المغرب السياسية ، إذ باتت هذه البلاد خاضعة للسلطة الموحدية ابتداء من القرن 6هـ/ 12م، وبالضبط عام 555هـ.

أما صاحب كتاب الاستبصار (القرن 6هـ/12م)، فيقسم بلاد المغرب بدوره إلى عدة أقاليم هي: إفريقية وأول مدنها طرابلس، والمغرب الأوسط وقاعدته تلمسان التي يجعل منها حدا للمغرب الأوسط، وينتهي إلى مدينة أجرسيف على وادي ملوية، والمغرب الأقصى الذي يمتد من وادي ملوية حتى البحر المتوسط عند مرسى أزمور[2].

ونجد ياقوت الحموي(ت626هـ/1228م)، الناقل عن البكري، الذي جعل من بجاية حدا فاصلا بين إفريقية والمغرب الأقصى[3]، وهذا معناه أن المغرب الأوسط غير موجود في تقسيمه ، وقد جعل من مليانة آخر حدود إفريقية[4]، ودرج الكثير من مدنه المشهورة ضمن إفريقية مثل أرجكوك، باغاية، بونة[5]، تلمسان[6]،..إلخ..

استمر تقسيم الحدود على الأساس السياسي، عند كل من أبو الفدا(ت732هـ/1331م)، وابن فضل الله العمري(ت749هـ/1348م)، فالأول قسم بلاد المغرب إلى ثلاث قطع: الأولى تعرف بالمغرب الأقصى من ساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا، وشرقا حتى تبسة إلى مراكش ثم إلى سجلماسة، والقطعة الثانية تعرف بالمغرب الأوسط وهي من شرقي وهران، عن تلمسان مسيرة يوم في شرقيها إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق، والقطعة

---

[1] _ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: **كتاب الجغرافيا**، اعتنى بتحقيقه: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، د_ت، ص ص، ص: 106_ 108، 113.

[2] _ مجهول: ص، ص، ص: 110، 176، 179.

[3] _ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله: **معجم البلدان**، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/1990م، 1/ 403.

[4] _ **المصدر نفسه**، 5/ 227.

[5] _ **المصدر نفسه**، 1/ 173، 386، 607 على التوالي.

[6] _ **المصدر نفسه**، 2/ 52.

الثالثة بشرق إفريقية وتمتد إلى برقة إلى حدود ديار مصر[1]، وهذا المؤرخ الجغرافي المشرقي قد أخذ عن الإدريسي وابن سعيد المغربي، وقد أقر بذلك صراحة[2].

ومن جهته العمري قد قسم هو الآخر بلاد المغرب إلى ثلاث ممالك هي: إفريقية التي أضيف إليها مملكة بجاية ومملكة تدلس ومملكة بر العدوة المجموع لسلطان واحد أيام أبي الحسن المريني، وفيه ثلاث ممالك أعظمها مملكة تلمسان[3]، وجعل من مدن المملكة تلمسان، وجدة، مديونة، ندرومة، هنين، وهران، تميزغران، برشك، وشرشال، مستغانم، تنس، والجزائر[4]، وتقسيمه هذا يعبر عن حالة مغرب القرن8هـ/14م، الذي كان في مد وجزر بين حكام الدول آنذاك.

هذا ونجد الحميري(القرن8هـ/14م)، الذي قسم المغرب إلى ثلاث أقسام هي: إفريقية، المغرب الأوسط، المغرب الأقصى، ويذكر بأن كلا من بونة، تبسة، الزاب، وقسنطينة من إفريقية[5]، أي أن المغرب الأوسط لا يشملها، أما تلمسان فهي قاعدة المغرب الأوسط[6]، والملاحظ أن هذا الجغرافي غير واضح في تقسيمه للحدود، إذ أنه يجعل من بجاية أيضا قاعدة للمغرب الأوسط[7]، لأنه ناقل عن الإدريسي وفي ذات الوقت فهو يعبر عن الحالة السياسية لمغرب القرن 8هـ/ 14م.

أما القلقشندي(ت821هـ/ 1418م)، الذي نقل عن كل من البكري، ابن سعيد، أبو الفدا، والعمري، إذ يذكر بأن مملكة تونس من جهة غرب جزائر بني مزغنة، ومن الجنوب آخر

---

[1] _ عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماه: **تقويم البلدان**، اعتنى بتصحيحه رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار صادر، دار الطباعة السلطانية، بيروت ، 1830م، ص: 122.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 3، وكذلك في هوامش معظم صفحات الكتاب.

[3] _ **الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا، أو ما يعرف بمسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 2001م، السفر الرابع، ص ص: 86، 107.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 116.

[5] _ محمد بن عبد المنعم الصنهاجي: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق احسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص: 115، 129، 281، 480، على التوالي.

[6] _ **المصدر نفسه**: ص: 135.

[7] _ **المصدر نفسه**: الصفحة: 80.

بلاد الجريد، ومن مدنها بونة، المسيلة، وبسكرة[1]، أما بلاد بجاية فجعلها من مدن الغرب الأوسط في أول الإقليم الرابع ومن أعمال بجاية: قسنطينة، سطيف، تاهرت[2]، أما مملكة تلمسان فحدها من الشرق؛ مملكة إفريقية وما أضيف إليها، ومن الغرب حدود مملكة فاس[3].

والملاحظ من تقسيم القلقشندي أنه يغلب عليه عدم الدقة، فتارة يجعل عمل بجاية مستقل وتارة يدرجه ضمن مملكة إفريقية التي ذكر في البداية أنها تونس، ولعل هذا يعود إلى كثرة النقل والاقتباس عن سابقيه.

وفيما يتعلق بجغرافيي القرن10هـ/16م، فالحسن الوزان(ت بعد957هـ/1550م)، فقد جعل من مملكة بجاية كإقليم مستقل[4]، وتلمسان كذلك ممتدة من وادي زا ونهر ملوية غربا حتى الوادي الكبير(الصمام)، وصحراء نوميديا جنوبا[5]، وتقسيمه أيضا كان على أساس سياسي، ونجد مارمول كربخال قد قسم هو الآخر بلاد المغرب إلى: مملكة تلمسان(إقليم تلمسان، تنس، الجزائر، وبجاية)، ومملكة تونس التي تضم إقليم قسنطينة، قرطاجنة، طرابلس الغرب، وإقليم الزاب[6]، الذي يحده غربا تخوم المسيلة، وشمالا جبال مملكة بجاية، وشرقا بلادا الجريد[7].

والملاحظ أن الصراع الدائم بين الزيانيين والحفصيين حول المناطق الشرقية، هو الذي جعل الوزان يضع بجاية كإقليم مستقل[8]، ومارمول جعلها ضمن مملكة تلمسان[9]، وهذه الحالة

---

[1] _ أبو العباس أحمد: **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م، 5/ 99_107.

[2] _ **المصدر نفسه**: ص ص: 109_ 111.

[3] _ **المصدر نفسه**: ص ص: 150_151.

[4] _ **وصف إفريقيا**: 2/ 51.

[5] _ **المصدر نفسه**: ص: 7.

[6] _ **إفريقيا**: ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، د_ت، 1/ 27.

[7] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 138، مارمول: **المصدر السابق**، 3/ 168.

[8] _ الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 51.

[9] _ مارمول: **المصدر السابق**: 2/ 375.

ميزت الفترة الأخيرة من العصر الوسيط، بالإضافة إلى أن الأطماع التوسعية للدول التي حكمت بلاد المغرب، هي التي جعلت هذه البلاد ككيان سياسي غير معروف الحدود.

2_ المغرب الأوسط ودلالته في المصنفات التاريخية:

لم تعتن المصنفات التاريخية هي الأخرى بضبط حدود المغرب الأوسط، ككيان جغرافي وسياسي معلوم الحدود، ما عدا بعض الإشارات المحتشمة هنا وهناك، كما كانت هذه الأخيرة متأخرة، فباستثناء ابن خلدون لم ترد إلا إشارات محتشمة عند بقية المؤرخين، فابن عذاري المراكشي(ت بعد712هـ/ 1312م)، لم يذكر لفظ المغرب الأوسط، وإنما قسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام، وجعل من بلاد الزاب الأسفل إلى مدينة تاهرت كقسم ثاني، وختمها ببلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها ومدينة سلا وهي آخر بلاد المغرب[1].

أما عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/ 1248م)، فلم يستعمل مصطلح المغرب الأوسط في مؤلفه، وذكر بأن بجاية هي دار ملك بني حماد الصنهاجيين[2]، إذ قسم بلاد المغرب إلى قسمين هما: إفريقية والمغرب، فجعل من الزاب وبسكرة ضمن إفريقية[3]، وحد هذه الاخيرة من جهة الغرب مدينة قسنطينة[4]، وأول بلاد المغرب بليدة صغيرة قبلي بجاية تسمى ميلة[5].

هذا ويذكر في موضع آخر أنه لما"**حاصر عبد المؤمن بن علي بجاية عام 540هـ، هرب بن العزيز إلى بونة وهي أول حدود إفريقية.....، ثم هرب حتى أتى قسنطينة الغرب**"[6]، وهنا نلمح غياب المجال الجغرافي للمغرب الأوسط على حد قول المؤلف، أضف إلى أن هذا المؤرخ قد عاش خلال الفترة الموحدية، لذلك فنظرته تعبر عن الحالة السياسية التي عاشتها بلاد المغرب تحت حكم الموحدين، والتي كانت عبارة عن كتلة واحدة لا تفصل بينها أية حدود سياسية.

---

[1] _ **البيان**: 1/ 5_6.

[2] _ **المعجب**: ص: 442.

[3] _ **المصدر نفسه**: ص: 440.

[4] _ **المصدر نفسه**: ص ص: 440_ 442.

[5] _ **المصدر نفسه**: ص: 442.

[6] _ **المصدر نفسه**: ص: 273.

كما نجد نظرة الحاج النميري لا تختلف عما ذكره عبد الواحد المراكشي، فيذكر بشأن السلطان الأكبر أبي الحسن علي(697هـ_752هـ)، أنه:"**سلطان مراكش وسجلملسة ودرعة...، وتلمسان، ووهران، وهنين، ومليان، والمدية، والجزائر، وجبل الفتح، ورندة**"[1]، غير أننا نجد أن هذه النظرة تختلف عند ابن خلدون، الذي اعتمد على تجمعات القبائل البربرية والعربية، كون أن الكيان الجغرافي يستند أيضا على الأرض والسكان.

كما كان لخضوع أجزاء المغرب الثلاث لسلطة الموحدين أن ساعدهم على تلاحم هذه الأقاليم بعناصرها القبلية من بربر وعرب فيما بينهم، حيث انتشرت القبائل الهلالية في القرن 6هـ/12م، من بونة شرقا إلى ما وراء تلمسان غربا إلى الصحراء جنوبا نواحي بسكرة والزاب[2].

يقول ابن خلدون في هذا الشأن بأن قاعدة المغرب الأوسط هي تلمسان، ويذكر بعض مدن هذا الجزء مثل: هنين، وهران، الجزائر، متيجة، بجاية، بونة، تاهرت، طبنة، الزاب، جبل أوراس، واركلي، بلاد ريغ وقاعدتها بسكرة[3]، ومن تجمعات القبائل القاطنة بهذا الإقليم نجد: قبيلة زناتة التي كانت ديارها بالمغرب الأوسط، إذ استقرت في المنطقة الممتدة ما بين وادي ملوية غربا إلى وادي الشلف والزاب شرقا ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تاهرت جنوبا[4].

أما صنهاجة فكانت تقطن بالأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا[5]، بالإضافة إلى كتامة وعجيسة وهوارة التي كانت مضاربها ببلاد بجاية وقسنطينة والقل وجيجل من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة[6]، ولعل هذه النظرة الخلدونية التي جعلت من بلاد المغرب الأوسط كموطن لاستقرار القبائل البربرية، تعود لخبرته بأحواله

---

[1] _ إبراهيم بن عبد الله: **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب**، تحقيق محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص: 16.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 45_ 47.

[3] _ **المصدر نفسه**: ص: 131، 132، 134.

[4] _ **نفس المصدر والصفحات**.

[5] _ **المصدر نفسه**: ص: 134.

[6] _ **المصدر نفسه**: ص، ص: 134، 195.

وأوضاعه القبلية والسياسية، وبغض النظر عن فترات القوة والضعف التي عاشها المغرب الأوسط من بداية العصر الوسيط إلى نهايته، إلا أنه ظل موجودا أرضا وشعبا بحدوده الشرقية والغربية، دون وجود سلطة سياسية موحدة.

ومن جهته علي الجزنائي قسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أصقاع، وكان الصقع الثاني هو المغرب المتوسط، الذي يمتد من تاهرت إلى سبتة إلى جبل درن[1].

والملاحظ أن بداية الشعور القومي نلمحها من قول الفقيه أبو العباس أحمد الغبريني، في عرض ترجمته للصوفي أبي محمد عبد الحق بن الربيع البجائي(ت675هـ/1277م)، بقوله:<<**لم يكن في وقته بمغربنا الأوسط مثله**>>[2].

مما تقدم نخلص إلى أن مفهوم المغرب السياسي قد اختلف من عصر إلى آخر، فقد قسمه العرب إلى أدنى وأوسط وأقصى، وذلك بالنسبة إلى شرقهم، كما شارك في تقاسمه خلال القرن 5هـ/ 11م، ثلاث دول ساهم فيها الفاطميون في التقسيم وبعض القبائل الهلالية، وخلال القرن 6هـ/ 12م، وحّد الموحدون بلاد المغرب لينقسم مجددا بانحلال سلطتهم، ليبقى في حالة من المد والجزر حتى العهد العثماني.

لقد كان لزاما علينا التطرق إلى إشكالية حدود المغرب الأوسط ضمن المصنفات الجغرافية والتاريخية، وأن ضبط هذا المصطلح كان ضرورة ملحة قبل الشروع في دراسة الموضوع، كون أن أي حراك اقتصادي ومجتمعي يكون ضمن إطار جغرافي محدد، لذلك فدراسة اقتصاد ومجتمع ريف المغرب الأوسط خلال القرنين5و6هـ/11و12م، ونحن نقصد بالمغرب الأوسط؛ الجزائر حاليا بحدودها الشرقية والغربية، والشمالية والجنوبية.

---

[1] _ **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1421هـ/ 1991م، ص: 6.

[2] _ **عنوان الدراية** ص: 88.

ولاستكمال رؤيتنا الواضحة للموضوع لابد من الاشارة إلى تضاريس ومناخ المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، لبناء رؤية واضحة وإبراز تأثيرها على الاقتصاد والمجتمع الريفي خلال الفترة قيد الدراسة.

ثالثا: تضاريس ومناخ المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)

1_ تضاريس المغرب الأوسط

من الحقائق المعروفة والمسلم بها، أن بلاد المغرب العربي تؤلف ابتداء من خليج السرت حتى المحيط الأطلسي بأقاليمها المختلفة، وحدة جغرافية وحتى بشرية مميزة عن بقية أجزاء القارة الإفريقية[1].

كما أن منطقة الوسط في المغرب العربي تشكل منطقة مرتفعات ونجود تكاد تكون بدورها واحدة في المغرب العربي كله، وكما أن البحر المتوسط وسيلة للمواصلات، كانت الصحراء وسيلة أخرى للمواصلات، وليست الجبال عقبة بين بلدان المغرب العربي، بل هي عوامل وحدة تضاريس بينها[2].

والواقع أن الخصائص الجغرافية للجزائر لم تتعرض تضاريسها لتغيرات عميقة، فيما بين العهدين الروماني ووقتنا الحاضر، فبالنسبة للمظاهر التضاريسية المميزة للسطح الجزائري نجد أنها لم تنشأ مرة واحدة، وهي مختلفة من حيث أنها تحمل طابع الجبال، والأحواض، والسهول، والنجود، والهضاب التحاتية[3].

ويمكن تقسيم الجزائر إلى خمسة(5) أقاليم تضاريسية متباينة، من الشمال إلى الجنوب كما يلي: إقليم الشواطئ، إقليم الأطلس التلي، إقليم النجود، إقليم جبال الأطلس الصحراوي، والإقليم الصحراوي، وسنحاول خلال العرض الموالي أن نفصل كل إقليم من الأقاليم.

---

[1] _ يقول ابن خلدون: << **إن المغرب قطر واحد مميز بين الأقطار** >>، أنظر: **العبر**: 6/ 128.

[2] _ أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والاندلس**، دار المعرفة الجامعية، ل: ط، ن، ت، الإسكندرية، 1425هـ/ 2005م، ص: 19.

[3] _ عبد القادر حليمي: **جغرافية الجزائر (الطبيعية، البشرية، والاقتصادية)**، ط1، الجزائر، 1968م، ص:38.

أ_ إقليم الشواطئ

وهي المنطقة الفاصلة بين اليابس والماء، أو ما يسمى بسيف البحر وهي شواطئ صخرية متماشية مع الاتجاه العام لسلسلة الأطلس التلي من الغرب إلى الشرق، ولا تسمح هذه الشواطئ الصخرية بظهور الموانئ الطبيعية، كما أن السهول المجاورة للشواطئ لا تميل كلها في انحدارها العام نحو البحر، ولكن أغلبها يميل نحو الداخل، كما يمتاز إقليم الرصيف القاري وهـو إقليم الحياة الحيوانية والنباتية، بالضيق في الجزائـر[1]، وهـو ما يـؤكده الإدريسي بشأن ثراء القل وبونة بالمرجان[2].

ب_ إقليم الاطلس التلي

ينقسم هذا الإقليم إلى سهول وسلاسل جبلية ممتدة من الغرب إلى الشرق وموازية للساحل الجزائري.

- **السهــول:**

فمنها الساحلية المنخفضة والداخلية المرتفعة، وهي سهول متقطعة ومحصورة بين الجبال، وترجع في تكوينها إلى الزمن الرابع وهي أنواع منها:

❖ **السهول الساحلية**

مثل سهـل وهران[3]، المتصل بغـور الشلف الساحـلي المتصل بسهــل سيغ[4]، سهــل متيجة[5] بضواحي الجزائر حيث ينبت القمح الجيد بكثرة[6]، والتي كانت ذات مزارع ومسارح[7]، وهذا دليل على الخصب والوفرة، وقد كانت هذه السهول في القرون الأولى مستنقعات[8]،

---

[1] _ **المرجع نفسه:** ص ص: 41_ 42.

[2] _ **نزهة المشتاق:** ص: 191.

[3] _ **عبد القادر حليمي:** المرجع السابق: ص: 46.

[4] _ شارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)**، من البدء إلى الفتح الإسلامي عام 647م، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969م، ص: 23.

[5] _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 46، شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 24.

[6] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 33.

[7] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص ص: 523.

[8] _ Stephane Gsell: **Histoire ancienne de l'afrique du nord**, hachette, Paris, 1928, Vol 11, P:5.

بالإضافة إلى سهل عنابة[1]، وهو بشرق الجزائر الممتد على شكل هلال في جنوب جبل هدوق[2]، وهذا السهل أيضا كان كله مستنقعات، ويمتد بالقرب من البحر المتوسط[3]، وهو جِد خصيب والوحيد في أقصى شرقي الجزائر[4].

كما أشار الرحالة والجغرافيون إلى ثراء الساحل الجزائري بالسهول الخصبة والتي سموها بالفحوص[5]، مثل فحص بجاية[6]، فحص مليانة وفحص أرشجول[7]، هذا وكانت المدية تقع في سهل خصيب جدا تحيط بها جداول الماء[8].

❖ **السهول الداخلية**

وهي سهول متقطعة ومحصورة بين السلاسل الجبلية، توجد في داخل التل وترتفع عن سطح البحر بمقدار 400م، تمتد من شرق ملوية حتى معسكر[9]، بالإضافة إلى سهول سطيف[10]، ونقاوس التي كانت حولها سهول كلها تصلح لزراعة القمح[11]، ومن هذه السهول أيضا نجد سهل تلمسان الذي يرتفع عن البحر ب800م[12]، والذي ذاع صيته منذ القدم، إذ يذكر يحي بن خلدون[13] بشأن هذه السهول:<<**كريمة المنبت....تطل على فحص أفيح معد للفلح**>>.

---

[1] _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 46.

[2] _ شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 24.

[3] _ Stephane Gsell: **OP_SIT**, P: 6

[4] _ ليلى الصباغ: **عنابة بين اسمها ، موقعها، علاقاتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي**، مجلة الأصالة، السنة 5، العدد 34_35، جمادى الثانية، رجب 1396هـ/ يونيو، يوليو 1976م، ص: 135، روبير برنشفيك: المرجع السابق، 1/ 319.

[5] _ الفحص في اللغة من الأرض المبسوطة، وهو ما استوى من الارض والجمع فحوص، أنظر: **ابن منظور**: **لسان العرب، مادة فحص**، 8/ 331.

[6] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 403.

[7] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 135، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 386، الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 52.

[8] _ **المصدر نفسه**، 2/ 41.

[9] _ Stephane Gsell: **OP_SIT**, P: 7.

[10] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 403.

[11] _ الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 52.

[12] _ **المصدر نفسه**: ص: 41.

[13] _ Stephane Gsell: **OP_SIT**: P: 8

وبالرغم من أن الحسن الوزان قد أشار إلى أن معظم مملكة تلمسان بها أقاليم جافة وقاحلة، لاسيما في جزئها الجنوبي لكن السهول القريبة من الساحل منتجة جدا لخصبها، والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل في بعض المفازات[1]، ومن السهول الداخلية أيضا نجد سهل سيدي بلعباس المغطى بأراض خصبة، وكذا سهول غريس بشمال معسكر المحيطة بالظهرة، بسلسلة من المسارح الكبرى[2].

لقد ظلت أرياف المغرب الأوسط ثرية بهذا النوع من السهول، من ذلك ما ذكره جغرافيو العصر الوسيط، مثل فحص زيدور لحرث القمح وهو مبارك مشهور البركة، وهذا السهل يقع بين تلمسان وأرشجول[3]، كما كانت البطحاء في سهل فسيح أيضا[4]، بالإضافة إلى فحص عجيسة بالقرب من الغدير[5]، وكذا فحص باغاي والذي كان ذا مسارح[6].

ولم تكن السهول الداخلية متواجدة في البلاد فحسب، بل إن المناطق الشرقية هي الأخرى قد احتوت على هذا النوع من السهول؛ فتبسة كانت واقعة في وسط سهل عال بشرقي وادي شبرو[7]، كما أن الحصن الذي أقامه حماد كمركز لسلطته في جبل المعاضيد بشرقي المسيلة، كان محاطا بسهول[8]، بالإضافة إلى السهول الفسيحة التي كانت محاطة بالقلعة بجبال كيانة[9] المشهورة بسمو علوها.

- **السلاسل الجبلية التلية**

يمتاز هذا النوع من الجبال بكثرة الالتواءات، والتقلبات العظيمة في الأرض، وكثيرا ما

---

[1] _ الوزان: **المصدر السابق**: 2/ 10.

[2] _ Stephane Gsell: **OP_SIT**: P 9.

[3] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 135.

[4] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 27، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 326.

[5] _ مجهول: المصدر السابق، ص: 167.

[6] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 76.

[7] _ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 1/ 81.

[8] _ عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ط7، د.م.ج، الجزائر، 1415هـ/1994م، 1/ 254.

[9] _ عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ص: 91.

تنتصب هذه الجبال على حافة البحر بالذات[1]، والملاحظ أن هذه الجبال قد لفتت نظر الكثير من الرحالة، من ذلك ما ذكره البلوي عند وصفه للطريق ما بين الجزائر إلى بجاية بقوله:<<**وأخذنا طريقا غير مستقيم تصعد على البهائم وتغور في النجود، وتسلك كل مخدع لم يكن بالمألوف ولا بالمعهود، ولا كان مسلكا إلا للذئاب واللصوص،...**>>[2].

لقد تكونت سلسلة الأطلس التلي من سلاسل متراصة لعصور مختلفة، تمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وتصل حتى بونة أين يُلاحظ هناك انقسام واضح في سهول سيبوس[3]، ويبدأ امتدادها من جبال تلمسان من الغرب وينتهي بجبال سوق اهراس بالحدود الجزائرية التونسية[4]، ويمكن تقسيم الجبال التلية إلى:

- **جبال الكتلة الغربية**

تتكون صخور أغلب جبال القسم الغربي من الجير[5]، وأهم ما يميز الجهة الغربية هي **جبال تلمسان**، والتي ذكرها معظم الرحالة والجغرافيون عند حديثهم عن إقليم تلمسان[6]، وأهم جبال تلمسان هي: جبل ولهاصة المجاور لهنين[7]، جبل أغبال بالقرب من وهران، جبل مغراوة قرب مستغانم، جبل بني بوسعيد[8](زانمة أو أبي سعيد)، بجوار تنس[9]، بالإضافة إلى جبل زناتة بشرق تلمسان وجبل مطغرة[10]، وقد كانت هذه الجبال تربط كلا من هنين، ندرومة، وتنس[11].

---

[1] _ شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 23.

[2] _ أبو البقاء خالد بن عيسى الغرناطي: **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**_ نسخة إلكترونية_، ص: 8.

[3] _ Stephane Gsell: **OP_SIT**, P: 5.

[4] _ عبد القادر حليمي: **جغرافية الجزائر**، ص: 47.

[5] **_ المرجع نفسه:** ص: 48.

[6] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 177، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 135.

[7] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 44_ 46.

[8] **_ المصدر نفسه:** ص: 46.

[9] _ مارمول: **إفريقيا**، 2/ 360.

[10] **_ المصدر نفسه:** 2/ 351.

[11] _ عثمان الكعاك: **تلمسان ونشأة الدولة الموحدية**، مجلة الأصالة، السنة 4، العدد 26، ص: 122.

أما **جبال الونشريس** والتي كانت على مسافة ثلاثة أيام بجنوب مليانة، يسكنه قبائل من البربر، وينتهي طرف هذا الجبل إلى قرب تاهرت، وطول هذا الجبل أربعة أيام[1]، وبشمالها جبال الظهرة وجبال زكار[2]، وهذا الجبل يتصل بجبال يسر التي ينبع منها نهر يسر، بشرق جبال مدغرة بالمغرب[3].

والملاحظ أن غرب البلاد حتى الوسط كانت تحتوي على كتل جبلية عديدة، بشهادة الإدريسي[4] الذي ذكر بأن الطريق من تنس إلى المسيلة كلها جبال وعرة وشواهق متصلة.

❖ **جبال الكتلة الشرقية**

من أهم الجبال المكونة لهذه الكتلة نجد:

جبال الأطلس المتيجي التي تتكون من جبال البليدة وجبال بوزريعة[5]، وهذه ربما تلك الجبال التي لجأ إلى ناحيتها زاوي عام 390هـ/ 1000م، عندما هزمه حماد وطلب السلم، فعقد له حماد على أن يرحل إلى الأندلس[6].

جبال جرجرة الناتئة، الكلسية[7]، في القمم الوعرة المسننة نتيجة علوها الذي يتجاوز 2300م[8]، وقمم هذه الجبال كانت معاقل وقرى للسكان الأصليين عبر جل الفترات التاريخية، وقد كانت بجاية محمية بجبال القبائل المحيطة[9]، وهذه البلاد كانت كلها جبال وعرة مكسوة بالغابات[10]، وهذه الجبال منحرفة في الجو وعرة، تقطع الأسباب وتخلع الألباب[11]، وبشمال بجاية يوجد

---

[1] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 154، الحميري: **المصدر السابق**: ص: 604، الحموي: **معجم البلدان**، 5/ 409.

[2] _ محمد مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تصحيح محمد الميلي، د،م،ج، الجزائر، د_ت، 1/ 49.

[3] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص ص: 141_ 142.

[4] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 154، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 123.

[5] _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 48.

[6] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[7] _ عبد الحليم عويس: **المرجع السابق**، ص: 58.

[8] _ شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 24.

[9] _ إسماعيل العربي: **دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية**، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1980م، ص: 188.

[10] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 51، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 375.

[11] _ البلوي: **تاج المفرق**، ص: 8.

جبل ميسون، وهو جبل سامي العلو صعب المرتقى[1]، بالإضافة إلى جبل الزان[2]، المسمى غورية[3].

جبال البابور بشرق جبال جرجرة، الممتدة من رأس بوقرعون إلى رأس الحديد[4]، بالإضافة إلى جبال القل المجاورة لجبال الرحمان، الواقعة بين مرسى الزيتونة(شرق مرسى جيجل)، ومرسى القل[5]، وهي جبال عالية مشرفة على البحر[6]، ومن جبال هذه الناحية أيضا نجد جبال إيدوغ[7]، ناحية بونة.

جبال التيطري وهي جبال موازية لجبال عنابة من الجنوب[8] ما بين منعطف وادي الشلف إلى الغرب وسهل وادي الساحل[9]، وإلى شمالها سهول متيجة التي كان بها موقع أشير، عاصمة الزيريين.

ومن جبال الكتلة الشرقية أيضا نجد **جبال إيكجان،** ما بين سطيف وقسنطينة فيه قبائل كتامة[10]، **وجبال قسنطينة** الممتدة من تخوم بجاية حتى عنابة[11]، وكان بالطريق الرابط بين قسنطينة وبجاية، جبل سحاو وهو من أعظم الجبال علوا وأسماها ارتقاءا وأصعبها مسلكا[12]، وجبال كزول(جزول) بشرق تاهرت[13]، وجبال سوق اهراس[14].

---

1 _ الإدريسي: **نزهة المشتاق:** ص:160، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 80.

2 _ ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق عبد الهادي التازي، ط1، المطبعة الأزهرية، مصر، 1436هـ/ 1928م، 2/ 5.

3 _ روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 2/ 412.

4 _ شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 24.

5 _ الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 49.

6 _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 174.

7 _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 48.

8 **_ المرجع نفسه:** ص: 49.

9 _ الميلي: **المرجع السابق:** ص: 49.

10 _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 170، الحميري: **الروض المعطار**، ص ص: 71_ 72.

11 _ الوزان: **وصف إفريقيا**،2/ 104، مارمول: **إفريقيا**، 3/ 16.

12 _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 167_ 168، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 71_ 72.

13 _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 50.

14 **_ المرجع نفسه**، ص: 49.

هذا ونجد أن هذه الجبال التلية خاصة القريبة من الساحل، كانت دائمة الخضرة نتيجة لكثرة التساقط، وأراضي زراعية خصبة، وسنتعرض للغابات والأراضي الزراعية في الفصل الموالي، عند حديثنا عن اقتصاد الريف خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

جـ_ إقليم الهضاب العليا

وتسمى أيضا النجود أو السهوب، وهو منطقة انتقالية بين الشمال والجنوب وهو يمتد من جبال التندرارة غربا إلى منخفض الحضنة شرقا، حيث يتسع من الأطلس التلي ويمتد إلى الجنوب مع الأطلس الصحراوي[1]، والملاحظ أن هذه السهوب ليست منبسطة إلا نادرا، على أن تضاريسها تختفي تحت كتلة مهولة من رواسب التل الأطلسي التي غمرتها[2].

هذه السهول العليا تنخفض من الغرب إلى الشرق مع ارتفاع عن سطح البحر بين 1200م إلى800م، وتحتوي على سهول واسعة، قريبة الجفاف في الصيف وباردة في الشتاء[3]، وأرض النجود أشبه بمثلث قاعدته الحدود الجزائرية المراكشية وقمته شط الحضنة، وأهم هذه الشطوط: شط الحضنة وتتصرف إليه مياه جبال تيطري والحضنة من الشمال، والشط الشرقي الذي تنصرف مياه السفوح الجنوبية لجبال الضاية[4]، وجبال الحضنة هي التي تجمع ما بين الأطلسين[5].

د_ الأطلس الصحراوي

تمتد جبال الأطلس الصحراوي على طول700كم، من فجيج غربا حتى إقليم الزاب شرقا، وتعود في التوائها إلى أواخر الزمن الثاني وأوائل الثالث، وهي حاجز للرمال الصحراوية ولولاه لاكتسحت الرمال مناطق النجود، وتتخلل الأطلس الصحراوي ممرات ودروب تتبعها الأودية المنحدرة نحو الصحراء، وهو في جملته أعلى من الأطلس التلي[6].

---

[1] _ الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 49.

[2] _ شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 23.

[3] _ Stephane Gsell: **OP_SIT**, PP: 13_ 14.

[4] _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص ص: 50_ 52.

[5] _ الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 50.

[6] _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 53.

من جبال الأطلس الصحراوي نجد جبال عمور[1]، جبال اولاد نايل[2]، جبل الأوراس هذا الأخير الذي ذكره البكري[3]، بأنه بالقرب من تبسة وهو المتصل بالسوس، وهو جبل جليل يقع عليه الثلج[4]، وامتـداد هذا الجبل كـاللام منحنـي الأطراف وطوله نحـو 12 ميلا، وميـاهه كثيرة[5]، وتوجد بهذا الجبل أعلى قمة في الجزائر بجبل شلية بحوالي 2338 م[6]، وينفتح بين الأوراس من جهة وبلازمة وجبال الزيبان من جهة ثانية، ممر إلى الجنوب من "**واد قنطرة**"، الواصل بين التلال العليا والصحراء[7].

إن احتواء أطلس التل على هضبة الشطوط في الجهة الغربية، تتخللها جبال عالية مثل جبال الونشريس، لذا لم يحجبها أطلس التل عن الأمطار فأصبحت منطقة استبس واسعة، تمتد من أطلس التل إلى العرق في الجنوب، ومن وادي ملوية في الغرب إلى نهر الشلف في الشرق، بينما حجبت قمم الأوراس ما خلفها فبدأت الصحراء مع سفوح الأوراس، فتجاوز أطلس التل والصحراء التي تكثر فيها الواحات والشطوط[8].

لذلك أثرت هذه المظاهر التضاريسية على الحياة الاقتصادية والاجتماعية لبلادنا، وفرضت أنماطا خاصة للعيش على سكان الأرياف، ليس خلال الفترة قيد الدراسة فحسب وإنما عبر كل الفترات التاريخية، منذ العهد القديم وإلى وقتنا الحالي.

هـ_ إقليم الصحراء

---

[1] _ الميلي: **المرجع السابق**،1/ 50.

[2] _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 54، شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 24.

[3] _ **المغرب**، ص: 50.

[4] _ اليعقوبي: **البلدان**، ص: 130.

[5] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 165، مجهول: **الإستبصار**، ص: 163، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 65، روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 1/ 323، 325.

[6] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 102، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 390، شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، ص: 25، الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 50.

[7] _ شارل أندري جوليان: **المرجع السابق**، 25.

[8] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ**، ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ/1983م، ص: 52.

تحتل الصحراء مساحة كبيرة من أرض الجزائر، والصحراء في تركيبها الجغرافي أبسط من المنطقة التلية إذ لا توجد بها الجبال المنقطعة، ولا المرتفعات المعقدة، ولا السهول الضيقة المحصورة.

والصحراء الجزائرية تحتوي على ثلاث مظاهر تضاريسية متباينة هي الحمادة، العرق، والرق[1]، وبالرغم من اشتهار هذا الإقليم بطابع القحط والجفاف، إلا أنه على ينابيع المياه والواحات المنتشرة في أغلب المواضع، وكانت القوافل تجتاز هذه الأقاليم من مصر حتى المغرب الأقصى لقصره عن الطريق الشمالي بحوالي ثلث المسافة[2].

إن دراستنا ستكون بعيدا نوعا ما عن هذا الإقليم إلا في القليل النادر؛ إذا ما تعلق الأمر ببعض مناطق الواحات والارياف المحيطة بأغلب المدن الصحراوية الكبرى، مثل بسكرة، وارجلان،...إلخ، وبعدما تطرقنا لأهم المظاهر التضاريسية التي تحتوي عليها الجزائر، سنتناول أيضا خلال العنصر الموالي مناخ المغرب الاوسط(الجزائر حاليا)، كمؤشر آخر أثر على أرياف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة.

2_ مناخ المغرب الأوسط.

تقع أراضي المغرب الأوسط حسب جغرافيو العصر الوسيط ضمن الإقليم الثالث الذي يبتدئ من المشرق ويمر بعدة مواضع منها إفريقية وينتهي إلى البحر المحيط[3]، وهذا الإقليم الثالث غير كامل الاعتدال ولكن حافاته التي هي بجانب الإقليم الرابع هي المعتدلة، لاعتدال هذا الأخير لأن حافاته من الثالث والخامس، فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه، بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال[4].

---

1 _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص ص: 56_ 58.

2 _ عبد الواحد دنون طه وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، ط1، دار المدار الإسلامي، طرابلس، 2004م، ص: 16.

3 _ القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص: 137.

4 _ ابن خلدون: **المقدمة**، ص: 91.

ويستكمل ابن خلدون بقوله إن:<<**سكان هذا النوع من الأقاليم من أهل المغرب والشام والحجاز واليمن والعراقيين والهند والسند**>>[1]،أما الجزنائي فيجعل بلاد البربر ضمن الإقليم الرابع، في أقصى الغرب فلاعتداله اعتدلت أبدان أهله، وهذا الإقليم كريم البقعة طيب التربة قليل الهوام ذوات السموم، معتدل الهواء في الفصول الأربعة على قدر من الاعتدال تتصل فوائده وفواكهه في كل الازمنة[2].

والواقع أن مناخ أي منطقة على وجه الأرض يتأثر بالتضاريس المميزة لها، وبالنسبة للمغرب الأوسط(الجزائر حاليا) فهو واقع بالمنطقة المعتدلة ولقربه من خط الإستواء كانت برودته أضعف من حرارته، وقد تأثر جوه بالبحر شمالا والصحراء جنوبا[3]، لذلك كانت الجهة الشمالية معتدلة الهواء لاسيما الأراضي المروية بالمياه، وأنها في غاية الخصب وأما الأرض الواقعة اتجاه الجنوب فهي براري وليس بها إلا سهول محرقة[4].

وفي العموم فإنه لم يحدث تغير كبير لمناخ المنطقة ما بين العهد القديم وأيامنا هذه، غير أنه يتسم بالتذبذب في مختلف عناصره، مع تخلله بفترات الجفاف من حين إلى آخر، ولما كان المغرب الأوسط يشتمل على مساحة واسعة، فإن عناصر المناخ من رياح وأمطار وحرارة، تظهر بها متباينة من الشمال إلى الجنوب، ويمكن تقسيم الجزائر إلى ثلاث مناخات هي على التوالي: مناخ البحر الأبيض المتوسط، مناخ الإستبس(القاري)، مناخ الصحراء، وسنتناول بشيء من التفصيل خصائص كل مناخ على حدى خلال العرض التالي.

أ_ مناخ البحر المتوسط

يسود هذا المناخ المنطقة الشمالية فوق سلسلة الأطلس التلي، من تلمسان حتى سوق أهراس، ويتميز بفصلين متباينين أحدهما مطير دافئ وطويل وهو فصل الشتاء، والثاني حار وجاف وقصير وهو فصل الصيف[5]، والملاحظ على الجهات التي يسودها هذا المناخ على

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 92.

[2] _ **زهرة الآس**، ص: 6.

[3]_ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 72.

[4] _ الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 47.

[5] _ يوحنا أجندي أبو كاريوس: **قطف الزهور في تاريخ الدهور**، ط2، بيروت، 1885م، ص ص: 227_ 228.

غاية من الاعتدال إذ أن البحر يضعف حرارة الصيف بمياهه ويخزنها، فإذا كان الشتاء قاوم برودته بأبخرته الساخنة، فيعتدل الجو تقريبا صيفا وشتاءا[1].

وبالنسبة للأمطار، نجد التساقط يشهد تكرارا ووفرة نتيجة للرياح القادمة من الشمال الغربي، وتبدأ أشهر التساقط من أكتوبر ونوفمبر حتى شهر أفريل، ليقل التساقط خلال الفترة الممتدة من ماي إلى أكتوبر، ويصبح نادرا خلال هذه الفترة.

لقد شكلت القمم الجبلية خزانا للثلوج مثل جرجرة التي تحتفظ بها حتى شهر ماي[2]، وهو ما يؤكد على ما قاله البكري[3]، فيما يتعلق بكثرة الثلوج والبرد بجبل زغوغ المطل على بونة، كما أن اعتدال المناخ في هذه المنطقة جعلها تعج بالغابات والأشجار، بشهادة معظم الرحالة والجغرافيين الذين تحدثوا عن هذه المنطقة[4]، خاصة بالجهات الشرقية التي تشهد كميات كبيرة من الأمطار عكس الجهات الغربية، وهذا راجع للطابع التضاريسي المميز لهذه البلاد.

ب_ مناخ الإستبس(القاري)

يمتد هذا المناخ إلى الجهات الجنوبية من المناخ السابق ويشمل أراضي النجود والأطلس الصحراوي، وهنا يظهر بوضوح المناخ القاري من فوارق حرارية يومية وشهرية متطرفة، وأمطار قليلة ورطوبة نسبية[5]، ففي فصل الشتاء تنخفض درجة الحرارة في المنطقة ليلا ونهارا إلى درجة الصفر والبرودة الليلية، والتي تؤثر على مساحات التربة وتقضي على كل ما هو حي حتى فصل الربيع، وهذا التجمد يؤثر على الزراعة، وفي فصل الصيف فإن الحرارة والتبخر منتشرة كثيرا لكن نسمات الليل تنعش الإنسان والحيوان[6].

ومن الامثلة على هذا نجد قسنطينة كانت شديدة البرد والثلج، كثيرة الرياح لعلوها وارتفاعها[7]، وكذلك بالقرب من الغدير فحص عجيسة الشديد البرد والثلج[8]، بالإضافة إلى

---

1 _ الميلي: **المرجع السابق،** 1/ 47.

2 _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق،** ص ص: 93_ 94.

3 _ **المغرب،** ص: 55.

4 _ حول كثرة الغابات والأشجار في المغرب الأوسط أنظر التفصيل في **الفصل الأول الخاص بالاقتصاد، ضمن مبحث الحرف** ص: 164_166، من المذكرة.

5 _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق،** ص: 94.

6 _ Stephane Gsell: **OP_ SIT**: P: 42.

7 _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 166.

8 _ **المصدر نفسه،** ص: 167.

تيهرت التي كانت أيضا كثيرة الأمطار والغيوم والثلج والبرد[1]، حتى قال فيها أبو عبد الرحمان بكر بن حماد، أبياتا من الشعر:

مـــا أخشـــــن البـــرد وريعانـــه	وأطـــرف الشمـــــس بتاهـــــرت

تبــــدو من الغيــــم إذا ما بدت	كأنهـــــا تنشـــــر مـــــن تخـــت

فنحـــن في بحـــــر بلا لجــــــة	تجــــــري بنا الريـــح على السمـت

نفـــــرح بالشمس إذا مــــا بــدت	كفرحــــــة الدمـــــى بالســـــبــت[2].

هذا وتساهم الرياح التي تهب على الشمال الغربي للجزائر في التأثير على التربة وبالتالي على المناطق الصالحة للزراعة وعلى الأشجار، ويكون مصير هذه المناطق في النهاية هو التصحر[3]، لكن أراضي المناطق الداخلية التي تدخل في نطاق هذا المناخ ملائمة لزراعة الحبوب والزيتون وعموما فهي مناطق ملائمة للنشاط الزراعي وتربية الحيوانات[4]، لأن مناخ الإستبس تسود به الحشائش القصيرة والفقيرة، تتخللها الشجيرات المتباعدة مثل: الشيح والحلفاء[5].

وما ساعد على توفير هذه الحشائش الرعوية، هو انخفاض الاطلس التلي وارتفاع هضبة الشطوط في الجزء الغربي، عكس الجزء الشرقي إذ أن ارتفاع جبل أوراس وهضاب أطلس التل حالت دون توفر مناخ مشابه، فجاءت الصحراء مجاورة للأوراس كما قلنا آنفا.

جـ_ مناخ الصحراء

يحتل هذا المناخ أكبر مساحة من القطر الجزائري، إذ يمتد من شمال الأطلس الصحراوي شمالا حتى هضاب الهوقار جنوبا، وتقل الأمطار التي تنزل في فصل الصيف على هضاب الهقار والهوامش الجنوبية، وفي فصل الشتاء على الهوامش الشمالية، كما أن الرطوبة بها منخفضة والفوارق الحرارية مرتفعة جدا، لذا كانت الصحراء بلاد الفلاة والبيداء،

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 178، البكري: **المغرب**، ص: 67.

[2] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ** ، 1/ 42.

[3] _ Stephane Gsell: **OP_ SIT**: P: 43.

[4] _ **Ibid**: P: 44

[5] _ عبد القادر حليمي: **المرجع السابق**، ص: 94.

ومناخها متطرف للغاية[1]، وهذا راجع لأن الصحراء تدفع حرارة الصيف ولا تخزنها، وإذا جاء البرد لم يجد ما يقاومه فيشتد أيضا[2].

وباستثناء بعض الواحات المنتشرة هنا وهناك والمتوفرة على مصادر الحياة من مياه ونخيل، وغالبا ما يلجأ السكان إلى صلاة الاستسقاء طلبا لنزول المطر[3]، فلطالما كانت المناطق الصحراوية تعاني من قلة المياه، لذلك كان سقوط المطر بمثابة العيد بالنسبة للسكان المقيمين بها، نظرا لارتباط حياة الإنسان والحيوان بهذا المورد الحيوي، وعلى الخصوص سكان الأرياف والبوادي.

إن اختلاف البيئة الجغرافية من تضاريس ومناخ أسهم في تباين نمط المعيشة وشدة التمرس على أساليب العيش، وهو ما كان له الدور الأكبر في اختلاف وتفاوت النشاط الاقتصادي والاستقرار المجتمعي، لدى سكان أرياف المغرب الأوسط، وأعطى خصوصية لهذين الجانبين في حياة السكان.

رابعا: العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع في ريف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا).

إن للبيئة الطبيعية تأثير كبير على حركية الاقتصاد والمجتمع، في أي بقعة على سطح الأرض، ذلك أن العلاقة بين السكان والإقليم يولد علاقات فيما بين الجماعات التي تعيش فيه، ومع جماعات أخرى ضمن مجال آخر[4]، والملاحظ أن التنظيم الاقتصادي يميل الى تقوية الارتباطات في داخل المجتمع بجميع أقسامه؛ من العائلة الى القبيلة، خاصة إذا علمنا بأن المجتمع العائلي في الوسط الجزائري، لا يمثل الجانب الاقتصادي فيه عامل تماسك اجتماعي فحسب؛ ولكنه ضمان للجماعة نحو كل عضو من أعضائها[5].

---

[1] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[2] _ الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 47.

[3] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، 2/ 294.

[4] _ Patrick Champagne: **L'èspace et les groupes**: Article dans le roncontre <<**Methodes d'approche du monde rural** >>, op_sit: p: 56.

[5] _مصطفى بوتنفوشت: **العائلة الجزائرية، التطور و الخصائص الحديثة**، ترجمة: أحمد دمري، د، م، ج، الجزائر، 1984م، ص ص: 47_48.

وبهذا فالنشاط الاقتصادي لمجتمع المغرب الأوسط ، كان يتراوح بين الزراعة والنشاط الفلاحي عموما ونشاط الرعي بصفة أساسية عند أهل البداوة، وبالرغم من إصرار **روبير برنشفيك**[1] على أن "نطاق الترحال قد زاد من جراء الغزو الهلالي خلال القرنين 5و6هـ/11و12م"، غير أننا نلاحظ أن القبائل العربية بنشاطها الاقتصادي وحركيتها المجتمعية، كانت تخضع للتضاريس أكثر من الأوضاع السياسية والعسكرية، بدليل الاندماج الاجتماعي بين الجنسين في كثير من مناطق المغرب الأوسط.

إن العلاقة بين الاقتصاد والمجتمع تتضح من خلال تحديد الأنماط الإنتاجية والطبقات والفئات الاجتماعية، والهياكل التنظيمية والمؤسسية[2]، وأن مقاربة الاستقرار المجتمعي ونشاطه، يمكن قياسه ومقارنته بالملكية العقارية، المشاركة السياسية، الاستقرار والتوطين والحركية المجتمعية[3].

ويوضح لنا عبد المجيد مزيان طبقات العمران البدوي حسب نوع الاقتصاد والمعاش في الجزائر وفقا للبيئة الطبيعية كما يلي:

1_ رحل القفار الذين يعيشون على تربية الإبل(لمتونة وباقي صنهاجة الصحراء_المرابطون_).

2_ رحل الهضاب والأنجاد، والمناطق النصف صحراوية(زناتة وبنو هلال).

3_ أنصاف الرحل من السكان الذين يعتمدون أساسا على تربية الشاة، مع قليل من الزراعة (زناتة من أهل الزاب).

4_ المزارعون الذين يعيشون على زراعة الحبوب، وغراسة الأشجار، وزراعة الخضر والقليل من المواشي، وكلهم مستقرون بالقرى وضواحي المدن(كتامة وبعض بطون صنهاجة)[4].

---

[1] _**تاريخ افريقية في العهد الحفصي**، 314/1.

[2] _محمد نجيب بوطالب: **سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2002 م، ص: 30.

[3] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[4] _**النظريات الاقتصادية**: ص ص: 361_362.

والملاحظ أن كل جماعة تتسم من حيث طبيعة عملها ما بين التطرف والتوسط، وهذا يعني أن الطبقة الوسيطة تقع بين طبقتين من الزراع، تتمثلان أساسا في سكان الواحات والقرى المتخصصون في التشجير، وطبقتين من البدو ، هم رعاة الغنم ثم رعاة الإبل[1].

وأمام هذا الطرح، يمكن القول بأنه بالرغم من ترويج ابن خلدون لفكرة انتشار نمط الترحال، وحذو المدارس الإستشراقية حذوه، والفرنسية بالخصوص، غير أن عدم ورود لفظ البادية عند البكري في مؤلفه، وأيضا في نوازل ابن الحاج الذي عاش خلال الحقبة المرابطية (القرن 5و6هـ)، الذي ذكر في نوازله مصطلح قرية فقط[2]، فهذه المعطيات تجعلنا نتبنى فكرة الريف، ومحاولة اثبات أن المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)عاش خلال هذه الفترة كمجال جغرافي تمتد فيه كل من الحواضر، الأرياف والبوادي، في إطار حركية تاريخية لا تخلو من تغلب قسم على آخر، تبعا لظروف داخلية وخارجية من جهة، وأخرى طبيعية، اقتصادية وبشرية من جهة أخرى.

كما أن تواجد هذه النطاقات ضمن مجال جغرافي لا ينفي عدم وجود علاقة بين هذه الأطراف؛ بل بالعكس فإن العلاقة بين بعضهم البعض ظلت متواجدة ومتواصلة، ومستمرة عبر كل الفترات التاريخية، ولعل إشارة ابن خلدون لنشأة المدينة من الريف أو الانتقال من العمران البدوي إلى العمران الحضري خير دليل على ذلك[3]، إذ نجد أن هذا الانتقال يتم بتدرج دونما وقوع نزاع، وهي تبرز خطأ الباحثين الذين ارتكزوا على نظرية ابن خلدون بشأن التناقض بين البدو والحضر، والتي لا تعدو أن تكون ظاهرة محدودة زمانا ومكانا، ومقترنة بالأزمات وفترات التوتر والأزمات[4].

والعلاقة بين المدينة والريف والبادية تتحدد في عدة أوجه، منها امتداد سلطة الدولة أو المدينة إلى الريف والبادية، وهذه العلاقة حددها ابراهيم حركات في ثلاث جوانب هي ممارسة الشعائر وما يرتبط بها من تحديد الإلتزامات الضريبية وحماية الأموال والممتلكات[5].

---

[1] _الطاهر عمري: **دور بني المجتمع في مقاومة الإستعمار(1830_1900م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، اشراف أحمد صاري، قسنطينة، 1998/1999م، ص: 36.

[2] _ابراهيم القادري بوتشيش: **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي**، ص: 36.

[3] _**المقدمة**: ص:135.

[4] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص: 91.

[5] _**المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط**، إفريقيا الشرق بيروت، 1998م، ص: 159.

لقد تصرف سكان الأرياف في كل الحقب التاريخية، بما فيها الأزمات من موقع الوعي بالذات، واستطاعوا بعث اقتصاد محلي يقوم على دورة متناسقة ومتكاملة بما توفر لديهم من وسائل[1]، ولاشك أن هذا الاقتصاد قد متن العلاقة بين المدينة والريف بشكل متكامل بينهما، وفي صورة تتجلى باحتياج كل طرف للآخر، وعليه فلا يجوز اعتبار مناطق الجبال والصحراء في المغرب الأوسط بمثابة البقاع النائية إذ أن نظرية انعزال الصحراء والجبال على المناطق المغربية لا أساس لها من الصحة[2]، لكن هذا لا ينفي تمتع هذه المناطق بسلطة مستقلة في حالة ضعف الدول، رغم انتماء أهلها رمزيا إلى الدولة المسيطرة في الشمال.

ومما يؤكد على تنوع هذه العلاقة هي استمرارها بشكل دائم ومعقد، وتتجلى أساسا في الهجرات من الجنوب إلى الشمال لأسباب اقتصادية، والهجرات من الشمال إلى الجنوب لأسباب سياسية بالإضافة إلى العلاقات الثقافية؛ إذ لا تخلو أية قرية أو واحة من فقهاء ومعلمين سبق لهم وأن درسوا بكبريات العواصم الثقافية في الشمال، وهي علاقة انتماء شديد الحماس إلى الأمة الإسلامية مع تمسك قوي بروح الجماعة[3].

نخلص مما تقدم إلى أنه بالرغم من تأثير البيئة الطبيعية على تحديد مناطق الاستقرار والترحال في المغرب الأوسط، والنشاط الاقتصادي الملائم بالإضافة إلى تركيز أغلب الكتابات على التناقض بين المدينة والريف، غير أنه توجد عوامل أخرى تراكمت عبر مختلف الفترات التاريخية والتي أثرت على الريف ببنيتيه الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما سنعالجه بالتفصيل بإذن الله في العنصر التالي.

---

[1] _عبد الحميد الفهري: **المرجع السابق**، ص: 146.

[2] _عبد المجيد مزيان : **النظريات الاقتصادية**، ص: 183.

[3] _**المرجع نفسه، الصفحة نفسها.**

خامسا: لمحة عن الاقتصاد والمجتمع في ريف المغرب الأوسط قبل القرن 5هـ/11م، والظروف العامة المحيطة بالريف خلال القرنين 5و6هـ/11و12م.

1_ لمحة عن الاقتصاد والمجتمع في ريف المغرب الأوسط قبل القرن 5هـ/11م.

لقد احتلت الجزائر ولا تزال موقعا جغرافيا ممتازا، وكان لتنوع مناخها وتضاريسها الأثر الكبير في جعلها بلدا غنيا عبر مختلف الفترات التاريخية، وبدون شك أن هذا الثراء كان مصدره الأرياف التي كانت تعيش ازدهارا اقتصاديا، وتنظيما مجتمعيا أضفى عليها خصوصيات لم تتوفر لكثير من المناطق والبقاع.

خلال **الفترة القديمة**، وأثناء العهد النوميدي استطاع الملك ماسينيسا أن يطور اقتصاد الجزائر، وينمي الفلاحة كما شجع على الاستقرار وحثّ البدو الرحل على خدمة الأرض[1]، وقد زخرت الجزائر خلال هذه الفترة بالثروات النباتية والحيوانية[2]، وتدل الأسماء البربرية لمختلف الأصناف النباتية على أصالتها بهذه البلاد، مثل الزيتون البري والحمص،....إلخ[3].

وأثناء العهد الروماني، ازداد التوسع الزراعي في أرياف الجزائر، حيث سمي القرن الأول الميلادي بقرن القمح والقرن الثاني بقرن الزيتون والكروم[4]، وقد أشار **فيليب**

---

[1] _ الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 257/1، محمد العربي عقون: **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم**، د، م،ج، الجزائر، 2008م، ص ص: 186_190.

[2] _ Stephan Gsell: **OP_SIT** , p: 15.

[3] _ **Massinissa aux dèbuts de l'histoire**, Libyca, t8, 1960, pp: 86_90.

[4] _ Raymond Thoventot: **L'afrique romaine aux 3 premiers siécles**, journal des savants, Année 1960, Vol: 3, N=° 3, PP: 130_139.

لوفو(Philipe Leveau) إلى أن ثراء الأرياف من ثراء المدن، ذلك أن هذه الأخيرة تعيش من إنتاج الريف وخيراته[1].

بالرغم من هذا الثراء إلا أن اقتصاد الأرياف كان موجها لخزينة روما، إذ أن المجتمع الريفي كان يعيش حالة من الفقر المدقع، حيث كانوا يعملون كأجراء في أراضي الرومان[2]، وقد ظلت الأرياف مركزا للثقل الاجتماعي، غير أنها كانت ضمن مجتمع له أعرافه وتقاليده[3]، وظل هذا المجتمع رافضا للسلطة الوندالية والبيزنطية، وظلت الأرياف متقوقعة على نفسها، متمركزة بالجبال ورافضة لحضارة الوافد، الذي كان دائما يسعى لفرض سيطرته عليها واستغلال خيراتها[4].

عند **الفتح العربي**، كانت أغلب مناطق استقرار البربر في الأرياف، حسبما قدمته المصادر الأدبية التي تتحدث عن أرياف الفتح الإسلامي، وقد كانت ترتكز أساسا في محور السهول العليا، والأطلسين التلي والصحراوي، فقد حدد اليعقوبي مراكز العالم البربري في مناطق عديدة مثل تيجس، ميلة، جيجل، اسكيدة، نقاوس، مقرة، وسطيف[5]؛ حيث كانت تعيش تحت سلط منتظمة وفي إطار مجتمع له أعرافه وتقاليده، ومستقل باقتصاده وأنشطته[6].

فقد كان سكان المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، متعلقين بالزراعة والدليل على ذلك ما قالته الكاهنة عند مجيئ العرب الفاتحين: <<**نحن نريد منها المزارع والمراعي**>>[7]، هذا وقد

---

[1] _ **Paysans maures et villes romaines en maurétanie césariénne centrale(résistances des population dans l'arriére pays de sesaria de mauritanie**), Année 1975,Vol 87, N=°87, PP: 860_ 861.

[2] _ محمد البشير شنيتي: **نظيرة على الوضع الديمغرافي والاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني،** مقال ضمن ملتقى: "**Le monde rural** " ، ص: 120.

[3] _ Paul Albert Fevrier: **Observation sur la tribus dans le magreb antique**, Article dans l'acte du monde rural, PP: 33_ 34.

[4] _ يوسف عيبش: **الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية**، ط1، دار بهاء الدين ، الجزائر، 2010م، ص: 217.

[5] _ **كتاب البلدان**، ص: 130_ 132.

[6] _ جغلول: **مقدمات في تاريخ المغرب**، ص ص: 27_ 28.

[7] _ ابن عذاري: **البيان المغرب**،36/1، أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان ، عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1990م، ص ص: 31.30.

زخرت أرياف المغرب الأوسط في فترة الفتوح بأنواع عدة من الحيوانات منها الأغنام والماعز[1]، وكذا الخيول البربرية ذات السرعة والقوة[2].

إن وفرة المنتوجات النباتية والحيوانية قد استغلها سكان الأرياف في مختلف الحرف والصناعات، مثل الصناعة الغذائية(البسيسة)[3]، وصناعة الزيت[4]، بالإضافة إلى الصناعات النسيجية مثل البرنوس الذي اشتهر به أهل المنطقة، وبدون شك فإن هذه الوفرة قد ساهمت في ازدهار النشاط التجاري في أريافنا خلال هذه الفترة، فكثرت الأسواق وتعددت المنتجات والسلع[5].

هـذا وتجدر الإشارة إلى أن الأريـاف قد شهدت خـلال هذه الفترة، اضطـرابات وقلاقـل وحروب، أسفرت عن تخريب معظم المناطق[6]، بالإضافة إلى عمل الكاهنة الشنيع[7]، وكذلك ثورات الخوارج التي انتشرت في الأوساط البربرية[8].

---

[1] _ موسى لقبال: **المغرب الإسلامي،** ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م، ص: 17.

[2] _ إبن عذاري: **البيان،** 24/1، جورج مارسييه: **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي عبر العصور**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه مصطفى أبو الضيف، توزيع منشأة المعارف بالإسكندرية، 1991م،ص:26.

[3] _ ابن عذاري: **البيان،** 27/1، الرقيق القيرواني: **المصدر السابق،** ص: 27.

[4] _ ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب،** تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 284/1.

[5] _ حسين مؤنس: **المرجع السابق،** ص: 278.

[6] _ عز الدين ابو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني المعروف بابن الأثير: **الكامل في التاريخ،** راجعه وحققه محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، 196/5، ابو الحسن أحمد بن يحي بن جابر البلاذري: **فتوح البلدان،** حققه وشرحه محمد أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1957م، ص: 288، الرقيق القيرواني: **المصدر السابق،** ص: 24، أحمد الزاهد: **الغزو العربي لشمال إفريقيا، بين نبالة النص ودناءة الممارسة،** مؤسسة تاولت تامفناست، المغرب، د_ت، ص: 27.

[7] _ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: **نهاية الأرب في فنون الأدب،** تحقيق عبد المجيد ترحيني، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004، 19/24، ابن عذاري: **البيان،** 26/1، 35_36، الرقيق القيرواني: **المصدر السابق،** ص: 31، موسى لقبال: **المغرب الإسلامي،** ص: 65.

[8] _ ابن الأثير: **المصدر السابق،** 196/5، علاوة عمارة: **انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط_الجزائر)، قراءة سوسيو_تاريخية،** مقال ضمن كتاب: **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي،** د، م،ج، الجزائر، 2008م، ص ص: 127_128، الحبيب الجنحاني: **الخوارج في المغرب العربي في العصر الوسيط،** مجلة الأصالة، السنة 3، العدد 14_15، ربيع الثاني، جمادى الأول، جمادى الثاني، رجب، 1393هـ، ماي، جوان، جويلية، أوت، 1973م، ص: 68.

أما بالنسبة لفترة **الدول المستقلة،** فإننا نجد أن المغرب الأوسط قد شهد نوعا من الاستقرار، فبقيام الدولة الرستمية، عاشت أريافنا أنذاك استقرارا اقتصاديا واجتماعيا[1]، فقد كان الرستميون يمتلكون مجالات ضخمة من الأراضي الزراعية، بالإضافة إلى وفرة الوديان ومجاري المياه الكبيرة[2]، إذ يذكر ابن الصغير المالكي "**أنه لما تحسنت أحوال الناس ورأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون أن يغزوهم، ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الموات وغرس البساتين، واجراء الأنهار واتخاد الأرحاء وغير ذلك، واتسعوا في البلاد وتفسحوا فيها**"[3]، إذ كانت تاهرت كثيرة الزروع[4].

ولعل ما ساعد على الازدهار الاقتصادي في أرياف تاهرت، هي توفرها على الأنهار[5]، وخصوبة تربتها[6]، بالإضافة إلى كثرة الدواب والمواشي[7]، وانتشرت خلال هذه الفترة حرف يدوية كدباغة الجلود، والصناعة النسيجية[8]، كما كانت بالقرى والأرياف ورشات ومواقد إلى جانب التربة لصناعة الفخار والخزف[9] .

ونتيجة للسياسة الرشيدة لبني رستم ، فقد تحسنت أحوال المجتمع والرعية لقلة الضرائب، وظهرت طبقات الأثرياء التي ملكت القصور والبساتين والجنات خارج المدن[10]،

---

[1] _ محمود اسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي من منتصف القرن 4هـ**، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م، ص ص: 271_300، محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية في المغرب، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس(160هـ_296هـ)**، ط3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص ص: 55_56.

[2] _ الحريري: **المرجع نفسه**، ص: 232.

[3] _ **أخبار الأئمة الرستميين**، تحقيق إبراهيم بكير بحاز، محمد ناصر، دار الفنون الجميلة، الجزائر، 1985م، ص ص: 35_36.

[4] _ اليعقوبي: **كتاب البلدان**، ص: 133.

[5] _ المقدسي: **أحسن التقاسيم** ، ص: 228.

[6] _ الأصطخري: **مسالك الممالك**، ص: 34.

[7] _ الميلي: **تاريخ الجزائر** ، 66/1.

[8] _ جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، ص ص: 115_116.

[9] _ الحريري: **المرجع السابق**، ص: 232.

[10] _ قدور وهراني: **جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة تاهرت** من خلال كتاب" **ابن الصغير المالكي**"، مجلة التراث العربي، السنة 27، العدد 106، دمشق ، نيسان 2007، ص: 5.

كما ازدهرت الحياة الفكرية؛ إذ كانت الحلقات العلمية والمناظرات تعقد خارج تاهرت على نهر مينة[1].

خلال **الفترة الفاطمية**، شهدت أرياف المغرب الأوسط أيضا ازدهارا اقتصاديا، نتيجة لاهتمام الدولة العبيدية بتحصيل الأموال، خدمة لمشروعها الدعوي، ولعل شهادة ابن حوقل خير دليل على ذلك، فمثلا يذكر بشأن قسنطينة بأنها كانت تداني ميلة ونقاوس في حالها، فلها مياه كثيرة وأجنة عظيمة، وبها جميع الفواكه كاللوز والكروم، وزروع كثيرة[2]، وبدون شك فإن شساعة أرض المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، وخصوبة أراضيها قد ساهم في إغناء الأرياف بالإنتاج الزراعي والحيواني في العهد الفاطمي.

فقد كانت كلا من: تاهرت، أشير، وهران، إفكان والمسيلة، كثيرة الخصوبة والثراء[3]، أما الثروة الحيوانية فقد زخر بها هي الأخرى الريف الفاطمي، فكان النشاط الأساسي لكتامة هو الزراعة والرعي[4]، من خيول[5]، ومواشي[6]، التي كانت منتشرة في عديد من المناطق الريفية لبلادنا مثل واسلن، المسيلة، طبنة، ووهران[7].

لقد شكلت هذه المنتوجات الحيوانية والنباتية، موادا أولية لمختلف الصناعات والحرف اليدوية، بالرغم من عدم إقرار المصادر بذلك صراحة، ولعل الازدهار التجاري خلال هذه الفترة يعود لهذه الوفرة، إذ يذكر ابن حوقل[8] بأن "**لبونة بها من رخص الأسعار، في الفواكه**

---

[1] _ الحريري: **المرجع السابق**، ص: 236.

[2] _ **صورة الأرض**، ص: 91.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص، ص ص: 26، 85_89.

[4] _ أحمد أبو صوة: **ملاك الأرض بافريقية منذ الفتح حتى أواسط القرن الرابع للإسلام، مدخل لدراسة نظام إفريقية الاقتصادي والسياسي**، منشورات ELGA، ص: 250.

[5] _ القاضي النعمان أبو حنيفة بن أبي عبد الله بن حيون: **كتاب إفتتاح الدعوة** ، تحقيق فرحات الدشراوي، ط1، د، م، ج، الجزائر، ص ص: 32_ 35.

[6] _ عماد الدين إدريس: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م، ص: 218، جمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في حلا حضرة القاهرة**، القسم الخاص بالقاهرة، من كتاب : المغرب في حلا المغرب، تحقيق حسن نصار، مطبعة دار الكتب، 1970م، ص: 40.

[7] _ **المصدر السابق:** ص ص: 78_86.

[8] _ **المصدر نفسه:** ص: 77.

والمآكل والمطاعم و القمح والشعير والألبان والمواشي، ما يغرق غيرهم ممن يجاورهم، وبها من الأشجار والتين خاصة العظيم الجسيم، ما يحمل منه إلى البلاد الناحية".

كما اهتم الفاطميون بالسياسة الجبائية، اهتماما كبيرا إلى جانب مصادرة الأموال بشتى الذرائع[1]، والمعروف أن النظام الجبائي مرهق للسكان، لاسيما سكان الريف باعتبارهم المنتج والمصدر الرئيسي لدخل الدولة، خصوصا في فترات الاستقرار.

لعل الأوضاع الاقتصادية الآنفة الذكر قد انعكست دون ريب على الوضع الاجتماعي لسكان ريف المغرب الأوسط خلال العهد الفاطمي، هذه المجتمعات التي طالما رفضت التبعية لأي سلطة[2]، وهذه هي طبيعة أغلب المجتمعات الريفية التي عمرت المغرب الأوسط، إذ كانت الحياة القبلية لدى الكتاميين، تخضع لسلطة مشايخهم، وكان يسود علاقاتهم التنافر تارة والصلح تارة أخرى[3]، كما كان مجتمعا منظما له أعرافه وتقاليده.

لقد ظل النفوذ الفاطمي محصورا في الساحل ولم يتجه نحو قلب إفريقية، وبهذا ظلت الحياة القبلية مسيطرة في الداخل(في الجنوب بالأساس)، وازدهرت عند انتقال الفاطميين إلى مصر عام 362هـ/ 973م[4].

أما فترة **الحكم الزيري**، فالملاحظ أن أرياف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، قد شهدت ثراءا اقتصاديا كبيرا بشهادة جل المؤلفات التاريخية، التي ذكرت بأن ملك الزيريين كان أعظم ملك عرفه البربر[5]، وبدون شك أن هذا الثراء يعود إلى ثراء الأرياف وازدهارها بالإنتاج النباتي والحيواني، ومما يؤكد على ذلك عندما حاصر أبو يزيد المهدية، بعث زيري بن منّاد إلى القائم بأمر الله الفاطمي ألف حمل من الحنطة[6]، وهذا دليل على الوفرة والكثرة.

---

[1] _ جورج مارسييه: **المرجع السابق**، ص: 165.

[2] _ بوبة مجاني: **من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م، ص: 64.

[3] _ القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص: 35، بوبة مجاني: **المرجع السابق**، ص: 64.

[4] _ دنون طه وآخرون: **المرجع السابق**، ص: 286.

[5] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/272_274، ابن خلدون: **العبر**، 210/6.

[6] _ النويري: **نهاية الأرب**، 89/24.

كما أن زيري بن منّاد غنم من أهل تيطري300فرس، أثناء حربه معهم[1]، وفيما يتعلق بالتجارة فبعد بناء أشير عام324هـ/936م؛ كثرت الدنانير والدراهم فاطمأنت نفوس أهل البادية للحرث والزراعة[2]، وقد ساهم هذا الاستقرار في ازدهار أريافنا في تلك الفترة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية.

والملاحظ أن الزيريين قد ساروا بوصية المعز لدين الله الفاطمي، فيما يتعلق بجباية الأموال وتحصيل الضرائب، ففي عهد المنصور الزيري(373_ 387هـ/984_997م)، كان العامل على إفريقية يوسف بن أبي محمد، وقد نال أهل البادية في عهده العذاب والغرامة، اما أهل الحاضرة فكانوا ينعمون في الأمن والعافية[3].

لقد عاشت أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة أيضا كثيرا من الحروب، خصوصا مع زناتة[4] وكتامة[5]، وهو الأمر الذي خلف الكثير من الفقر والمجاعات والأوبئة[6]، وبدون شك أن هذا الوضع قد أثر على بنيتها الاقتصادية والاجتماعية.

كانت هذه أهم المحطات التي ميزت الحياة في أريافنا منذ العهد القديم حتى القرن 5هـ/11م، والتي شكلت إرهاصات لتطور الأحداث السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية على أرض المغرب الأوسط في الفترات التي تلتها، وسنعالج بشيء من التفصيل خلال العنصر الموالي، الظروف الداخلية والخارجية التي أثرت على أريافنا خلال القرنين 5و6هـ/11و12م.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 88.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 89.

[3] _ ابن عذاري: **البيان**، 245/1.

[4] _ ابن خلدون: **العبر**،7 /60_62.

[5] _ ابن عذاري: **المصدر السابق**، 243/1_245، البكري: **المغرب**، ص: 64، النويري: **المصدر السابق**: ص: 102.

[6] _ موسى لقبال: **دور كتامة**، ص: 122.

2_ الظروف العامة المحيطة بريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م.

إن الانتباه إلى الحركية والتآثر الداخلي والخارجي ، جغرافيا وتاريخيا بين الوحدات الاجتماعية وأنواع الانتاج الاقتصادي، يفتح كثيرا من المجالات للتعرف تدريجيا على كثير من جوانب هذا الواقع، وعليه فإن اندماج ريف المغرب الأوسط ببنيته الاقتصادية والاجتماعية، ضمن مختلف الحركيات والفعاليات دليل على تأثره بمختلف التطورات إيجابا وسلبا.

وإذا كان استعراضنا للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لريف المغرب الأوسط، خلال الفترات التي سبقت القرنين 5و6هـ/11و12م كان لزاما علينا، لتسهيل المقارنة ومعرفة التطورات الحاصلة، فإن الإحاطة بالظروف الداخلية والخارجية، من النواحي السياسية والعسكرية، وتفاعل ريف المغرب الأوسط معها خلال الفترة قيد الدراسة؛ يجعلنا نعيد النظر فيما قاله بعض المستشرقين الذين جعلوا من الأرياف المغربية فضاءات فارغة، عديمة النفع والحضارة.

ولذا فلابد علينا من ابراز تاريخ الريف، بما يزخر به من خصوصيات ساهمت بحق في رسم صورة ذات معالم اقتصادية واجتماعية ضمن حركيات وفعاليات لا ينكرها التاريخ نفسه، ومن هنا لا يمكن استبعاد دور المجموعات الريفية من جهة، وتأثرها بالظروف المحيطة بها من جهة ثانية، ذلك أن الأحداث التي عاشها المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، كانت نتيجة لتراكمات تعود إلى عدة قرون وبطبيعة الحال أفرزت هذه الفترات نتائج على المستوى الاقتصادي والاجتماعي أنذاك وحتى على الفترات التي تلتها.

ويمكن حصر الظروف المحيطة بريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، على الصعيدين الداخلي والخارجي كما يلي:

أ_ الظروف الداخلية: والتي يمكن تلخيصها في جانبين أساسيين هما:

أ1_ الجانب الطبيعي

لقد عاش المغرب الأوسط فترة جفاف منذ بداية العصر الوسيط، بدليل أن موسى بن

نصير عندما دخل إفريقية، وجد الناس في قحط شديد، فأمر الناس بصلاة الاستسقاء والدعاء[1]، كما شهدت بلاد المغرب عامة فترة جفاف خلال القرن5هـ/11م، والتي انطلقت من القرن4هـ/10م، إلى نهاية القرن7هـ/13م، والتي كان لها بالغ الأثر على الاقتصاد والمجتمع[2]، الريفي بالخصوص.

وبالرغم من أن هذا الجفاف كان سببه سخونة الهواء في العالم، إلا أن أثره الكبير كان على بلاد المغرب إذ أسفر على أوبئة كثيرة خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، في حين استفاد منه الاقتصاد الأوروبي، ولم يستبعد آخرون بأن الجفاف الذي عاشته مصر كان السبب في طرد القبائل الهلالية الى بلاد المغرب[3].

وبهذا نجد أن أرياف المغرب الأوسط قد تأرث بالجفاف الذي ساد في معظم مناطق العالم في تلك الفترة، والذي أثر على البنى الاقتصادية والاجتماعية لها، لذلك يعتبر العامل الطبيعي من أهم العوامل المتحكمة في هذا النوع من المناطق، لأنها مرتبطة بما تجود به الطبيعة من الأمطار والكلأ والمزروعات.

أ2_ الجانب السياسي/العسكري

لقد تأثرت أرياف المغرب الأوسط بالجانب السياسي والعسكري، ولطالما كانت الأرياف هي المتضرر الأكبر من هذه الحروب والصراعات، منذ بداية العصر الوسيط إلى نهايته، ومادامت دراستنا منحصرة في القرنين 5و6هـ/11و12م، فإننا سنحاول بعون الله تعالى أن نبين كيف تأثرت الأرياف بهذه الحروب والصراعات، والملاحظ أن الفتن والحروب كانت أخطر من الكوارث الطبيعية، ذلك أن هذه الأخيرة هي حالة مؤقتة أما الحروب فهي حالة شبه دائمة خصوصا في بلاد المغرب، وفي هذه الفترة بالذات.

ويمكن اجمال هذه الحروب والصراعات في:

---

[1] _ أبو بكر عبد الله المالكي: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، ط1، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1413هـ/1983م، 1414هـ/1984م، 120/1.

[2] Allaoua Ammara: **retour à la problematique**, P: 9.

[3] _ **Ibid**: PP: 10_ 11.

✓ **الصراعات القبلية**

لقد لازمت الصراعات القبلية الوضع الاجتماعي لبلاد المغرب الأوسط، وقد عمل الفاطميون على تأجيج هذه الصراعات أكثر فأكثر، ومن بعدهم الحماديون والزيريون، ومن النماذج الحية لهذه الحروب التي أثرت على أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة نجد:

❖ **الحرب بين صنهاجة وكتامة**

لقد ظلت كتامة رافضة للسلطة الصنهاجية بحجة أحقيتها في ذلك منها، وتجلى هذا في ثورتي أبو الفهم عام 377هـ/987م، وأبو الفرج عام 379هـ/989م، وانتهى الأمر بسحق المنصور الزيري لبلاد كتامة وبث عماله فيها، وضيقوا على أهلها[1]، كما أسفرت هذه الحروب على كثير من الضعف والقحط التي تأثرت بها المناطق الريفية[2]، بالإضافة إلى تراجع النمو الديمغرافي وقلة السكان[3]، نتيجة القتل والتخريب.

❖ **الحروب بين صنهاجة وزناتة**

بسبب اختلاف المذاهب من جهة[4]، ومن جهة ثانية نتيجة لرغبة زناتة في تزعم المغرب الأوسط واحتوائه، فلطالما عاثت زناتة فسادا فيه بدليل أن فحص سيرات في غرب المغرب الأوسط، قد أجلي من سكانه بسبب الحروب الصنهاجية/الزناتية، بشهادة البكري[5]، كما أن هذه الصراعات التي كانت بين كتامة، وصنهاجة ضد صنهاجة أدت إلى تداخل مواطن هاتين القبيلتين بأراضي صنهاجة، والتي كانت في مد وجزر بينهما تبعا لقوة وضعف كل طرف.

✓ **الصراعات بين الأسر الحاكمة**

كان لهذه الصراعات بالغ الأثر على أريافنا في القرنين 5و6هـ/11و12م، ومن ذلك:

---

[1] _ ابن الأثير: **الكامل**،7/431_440، يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ص ص: 248_251، النويري: **نهاية الأرب**، ص ص: 100_101، الميلي: **المرجع السابق**، 2/230_231.

[2] _ ابن حوقل: **صورة الارض**، ص: 94.

[3] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 171.

[4] _ النويري: **المصدر السابق**، ص ص: 120_121، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص ، ص: 169، 246، الميلي: **المرجع السابق**، 2/230_231.

[5] **_ المغرب**، ص: 70.

❖ الصراعات بين الحماديين والزيريين

كان هذا الصراع على أشده حول أراضي كتامة[1]، ليستقل حماد فيما بعد بمملكته عام 387هـ/997م، في عهد باديس بن المنصور (387_406هـ/997_1015م)[2]، وحارب بعده المعز (406_453هـ/1015_1061م) إلى أن تم الصلح بينهما واستقل فعليا بالمغرب الأوسط سنة408هـ/1017م، ورفعت الحرب أوزارها[3]، ولم ينازعه في الملك إلا المتمردين من زناتة التي سرعان ما دخلت تحت حكمه[4]، والملاحظ أن هذه الحروب هي الأخرى قد أسفرت على كثير من التخريب والموتان والقتل التي طالت أرياف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة.

❖ الصراعات بين الحماديين والمرابطين

شهد الحماديون عدة حروب مع المرابطين، فالمنصور بن الناصر (481_498هـ/ 1088_1104م) كانت له حروب عدة مع المرابطين[5]، وبعدما سيطر يوسف بن تاشفين(453_500هـ/1061_1107م) على تلمسان توجه إلى وهران، وتنس، وجبال الونشريس، وأعمال الشلف، فقضى على مملكة زناتة أصبحت أعمال الجزائر الغربية كلها بيد المرابطين[6].

---

[1] _ محمد الطمار: **المغرب الأوسط** ، ص: 93.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 228/6، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص: 72، النويري: **نهاية الأرب**، ص: 103، ابن الأثير: **الكامل**، 86/8_87.

[3] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 228/6، ابن عذاري: **البيان**، 300/1،

[4] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 210/6_211، 227، ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ص ص: 86_88، مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار ابي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م، ص: 127، سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي ، الفاطميون وبني زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين**، منشأة المعارف ، الإسكندرية، 409/3.

[5] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 235/6، ابن عذاري: **المصدر السابق**، 18/3، ابن الأثير: **الكامل**، 97/9، أحمد بن خالد الناصري السلاوي: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، منشورات وزارة الأوقاف والإتصال، الدار البيضاء، 2001م، 220/1، عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ص: 179، رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها**، د، م، ج، الجزائر، 1397هـ/1977م، ص: 148.

[6] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 252/6، 308_309، ابن الخطيب: **المصدر السابق**، 97/3، عبد الحليم عويس: **المرجع السابق**، ص: 348.

لقد ساهم المرابطون في تخريب عدة مناطق ريفية في المغرب الأوسط، حيث تعرضت تلمسان عام 472هـ/1079م للتخريب على يد **مزدالي التكلاتي اللمتوني**، الذي زحف عليها في نحو20 ألف مقاتل، وعاثوا في تلك البلاد فسادا[1]، وبالرغم من أن الفضل كان لهم في قيام تجمعات عمرانية هامة، إلا أنهم دمروا الكثير من القرى والمجاشر أثناء صراعهم مع زناتة[2].

❖ **الحروب بين الحماديين والموحدين**

بانهيار الدولتين الزيرية والحمادية أمام الأعراب، تحركت جيوش الموحدين نحو المغرب الأوسط بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي(524_558هـ/1130_1163م)[3]، وتم إسقاط بجاية على أيديهم عام 546هـ/1151، في عهد يحي بن العزيز الحمادي(547هـ/ 1152م)[4]، وبسقوطها خاف الأعراب على استقلالهم، فواجهوا عبد المؤمن بن علي بناحية سطيف عام 547هـ/1153، فهزمهم الموحدين بهم واوقعوا بهم واستلحموهم، وسبوا نساءهم واكتسحوا دوابهم[5]، وأخضعوا المغرب الأوسط لنفوذهم عام 555هـ/1160م[6].

✓ **الهجرة الهلالية لبلاد المغرب**

من المعروف أن زحف القبائل الهلالية إلى بلاد المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، لم يصل إلا بعد سنوات من زحفها على إفريقية، إثر انتصارهم في معركة حيدران عام 443هـ/1158م، أين زحفوا إلى جزائر بني حماد، بعد هزيمة الناصر بن

---

[1] _ النويري: **نهاية الأرب**، ص: 159، ابن أبي زرع الفاسي: **روض القرطاس** ، ص: 113، الميلي: **المرجع السابق**، 283/2.

[2] _ عبد العزيز سالم: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص ص: 660_663.

[3] _ النويري: **المصدر السابق**، ص ص: 159_167، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، 103/3.

[4] _ النويري: **المصدر السابق**، ص: 159_161، 166_167، ابن الأثير: **الكامل**، 390/9، ابن الخطيب: **المصدر السابق،103/3**، السلاوي: **الإستقصا**، 127/1_128، 141_142، حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب**، ص: 174، صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب**، سحب للطباعة الشعبية للجيش، 2007م، ص ص: 67_68.

[5] _ تأليف جماعي: **مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية**، تحقيق ليفي بروفنصال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، الرباط، 1941م، 27/10_33، النويري: **نهاية الأرب:** ص ص: 167_169، السلاوي: **المصدر السابق**،107/2، صالح بن قربة: **المرجع السابق:** ص ص: 67_68.

[6] _ تأليف جماعي: **المصدر السابق**، ص ص: 27_33، النويري: **المصدر السابق:** ص ص: 167_ 169، مصطفى أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ص ص: 72_77.

علناس(454_481هـ/1062_1088م) أمامهم واقتحموا المغرب الأوسط[1]، ودخلوها من ثلاث جهات هي: السواحل، جهة الهضاب، والصحراء[2].

وبالرغم من أنه لم يحدث زحف تدميري شامل كما حدث للزيريين[3]، لكن تبقى هذه القبائل قد أحدثت وخربت عدة مناطق في المغرب الأوسط[4]، وإن كانت شهادة ابن خلدون مبالغ فيها بعض الشيء[5]، لأنه يقر هو بنفسه أن زناتة أيضا كان لها يد في هذا التدمير[6]، إلا أن المستشرقين استغلوا الموقف الخلدوني في وصف الآثار المدمرة للهجرة الهلالية، إلا أن **يوسف عابد** قد نوّه في رسالة الدكتوراه الخاصة به إلى أن كلا الطرفان المتحاربان يتقاسمان مسؤولية الفساد الذي يلحق بأرض المعركة[7]، بدليل أن المعز بن باديس رحّب بهم وصاهرهم[8].

وبالرغم من هذا كله، فلا يمكننا تجاهل الخراب الذي أحدثوه في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، فقد تأثرت الزراعة نتيجة تخريبهم وعجزت زناتة عن حماية السهول الزراعية[9]، فخلال القرن 5هـ/11م ونتيجة لهذه الهجرة أصبح التدهور شاملا وغدت الحضنة مسرحا للقبائل وخاصة الأثبج، رياح وزغبة، ويبدو أنهم الذين أعطوا للمنطقة اسم الحضنة[10].

---

[1] _ ابن خلدون: **العبر**، 27/6_28، ابن عذاري: **البيان**، 292/1_295، النويري: **نهاية الأرب**: ص ص: 122_124.

[2] _ الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، 182/2_183.

[3] _ عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ص: 178، عبد الحميد خالدي: **الوجود الهلالي السليمي في الجزائر**، دار هومة ل ط، ن، ت، الجزائر، 2007م، ص ص: 107_109، الميلي: **المرجع السابق**، 186/2_187، محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص:38.

[4] _ ابن عذاري المراكشي: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين**، ص: 17، المراكشي: **المعجب** ، ص: 294، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 27/6، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، 75/3.

[5] _ **المصدر السابق**، 20/6_82.

[6] _ يذكر في هذا الشأن: **<< استباحة العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه >>** ، انظر: **المصدر نفسه**، 27/7.

[7] _ **الموحدون في بلاد المغرب**، 36/1.

[8] _ ابن الأثير: **الكامل**، 373/8.

[9] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الإقتصادي**، ص:157، روبير برنشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي**: 330/1.

[10] _ موسى لقبال: **طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصر الوسيط**، مجلة الأصالة، السنة 7، العدد 60_61، 1971م، ص: 91.

يذكر الإدريسي الذي كان معاصرا للهلاليين مواضع كثيرة متضررة من الأعراب الذين تغلبوا عليها مثل بونة وطبنة[1]، كما أشار أيضا إلى خراب قرية هاز[2]، وتحول القل إلى قرية بعد أن كانت مدينة[3]، كما كانت جميع الحصون التي على الطريق ما بين بجاية والقلعة، كلها تحت تملك الأعراب وتضررها من عيثهم وفسادهم[4].

كما أشار إلى خراب مواضع أخرى مثل دار ملول[5]، التي كانت من المراكز العمرانية التي لم تحافظ على ازدهارها، وهي غير معروفة الموقع إلى اليوم رغم أن الإدريسي يحدد موقعها بمرحلة كبيرة إلى شرق مقرة ووسط سهول زراعية فسيحة[6]، وكذلك باغاية بقوله:<<**أصبحت الأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها، وكانت لها بواد وقرى وعمارات والآن كل ذلك قليل**>>[7]، ومن جهته صاحب كتاب معجم البلدان؛ يذكر عند حديثه عن الخراب الذي أحدثه الهلاليون في تبسة بقوله:<<**وقد خربت الآن أكثرها.....ولم يبق بها إلا مواضع يسكنها الصعاليك لحب الوطن لأن خيرها قليل....في بادية يسكنها العرب**>>[8].

ومن المؤكد أن هذه المعارك التي دارت بين عرب بني هلال والبربر قد أحدثت خلخلة كبيرة في أوساط السكان خاصة سكان الأرياف، وتغيرت تبعا لذلك البنية الاجتماعية والديمغرافية له[9]، ولم تقتصر هذه القبائل على التخريب والفساد فحسب، وإنما تعدت إلى السلب والنهب، فقد باتت القضايا الفقهية المتعلقة بالهجرة الهلالية في بدايتها أو التي جاءت

---

[1] _ **نزهة المشتاق**، ص ص: 164_165.
[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 157.
[3] _ **المصدر نفسه**: ص: 167.
[4] _ **المصدر نفسه**: ص: 164.
[5] _ **المصدر نفسه**: ص ص: 164_165.
[6]_ **المصدر نفسه**: ص: 165.
[7] _ **المصدر نفسه**:ص: 177.
[8] _ **معجم البلدان**، مادة تبسة، 16/2.
[9] _ يوسف عابد: **المرجع السابق**، 35/2.

فيما بعد تشير إلى مغتصبات القبائل الهلالية واقتسامها للأراضي الفلاحية وطردها للسكان المحليين[1].

إن هذا الوضع قد أثر بدون شك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، فقلة المزروعات والأنعام تؤدي إلى تراجع النشاط الزراعي والرعوي في الارياف مما يتسبب في شيوع الفقر[2]، في أوساط الفلاحين ويجبرون على دفع الضرائب[3]، وشراء الأقوات بالديّن[4]، أو قطف الثمار أو الحصاد قبل إبانه[5]، نظرا لشيوع حالة الجوع والفقر، وكلها عوامل تساهم في الانحطاط الاقتصادي ذلك أن الأرياف هي المعول الرئيسي للمدن، فتشل الحركة التجارية بسبب انعدام الأمن، بل حتى سقوط فريضة الحج في هذه الظروف[6].

مما تقدم نخلص إلى أن جميع هذه الأوضاع الآنفة الذكر(الصراعات القبلية، الصراعات بين الأسر الحاكمة، والهجرة الهلالية)، قد أسهمت بشكل فعال في اضطراب الأحوال الاقتصادية مما أثر على أريافنا خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، بشقيها الاقتصادي والمجتمعي.

ب_ الظروف الخارجية

إذا كانت أرياف المغرب الأوسط قد تأثرت بشكل مباشر بالظروف الداخلية التي عاشها المغرب الأوسط، فبدون شك أنها لم تكن بمنأى عن الظروف الخارجية، فقد شهد القرن 5هـ/11م، تحولات كبرى مست العالم الإسلامي ككل، فالأحداث التي شهدها قد أثرت على المشرق والمغرب[7]، كما كان لرحيل الفاطميين إلى المشرق وأخذهم لأسطولهم البحري آثارا

---

[1] _ فتوى السيوري: الونشريسي: **المعيار**، 364/1، 593/9، فتوى المازري: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 159/5، 546، 545/1، 546، 169/3.

[2] _ فتوى السيوري: البرزلي: **المصدر السابق**، 559/1.

[3] _ **المصدر نفسه**: ص ص: 545_546.

[4] _فتوى المازري: **المصدر نفسه**، 169/3.

[5] _ **المصدر نفسه**، 546/1.

[6] _ فتوى السيوري: **المصدر نفسه**، 586/1_593.

[7] _ جورج مارسييه: **المرجع السابق**، ص: 9.

وخيمة على بلاد المغرب[1]، إذ عجزت الدويلات المغربية عن التصدي لهجومات الأساطيل الأوروبية وخاصة الأساطيل الإيطالية(جنوة وبيزة)، وكذلك الأساطيل النورماندية[2]، الذين سرعان ما تملكوا جزيرة صقلية[3].

لقد تبع هذا التفوق الأوروبي سقوط بلاد المغرب في أيديهم ووصلت سيطرتهم حتى موانئ الحماديين، ليعيدوا غزوهم عام538هـ/1143م، على كل من جيجل، برشك، شرشال، تنس، ولكن لم يدم نفوذهم عليها ولا على إفريقية، إذ تمكن عبد المؤمن بن علي من طردهم قبل انصرافه إلى الأندلس[4].

ومن الأحداث التي أثرت على أرياف المغرب الأوسط أيضا نجد **غزو بني غانية**[5]، واحتلالهم لبجاية عام580هـ/1184م والقلعة، حيث خربوهما وأقفرت سائر المناطق المحيطة بها على يد أنصار الأعراب وجند بني غانية، وعدمت المؤن والأقوات وعاثوا في البلاد

---

[1] _ أرتسيبالد لويس: **القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط (500_ 1110)**، دار المعارف، بيروت، د_ت، ص: 90، رشيد باقة: **أهمية البحر المتوسط في استراتيجية الصراع بين الشرق والغرب مند العهود القديمة إلى نهاية العصور الوسطى**، مقال ضمن كتاب **دراسات وبحوث مغربية**، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور موسى لقبال، إعداد وتنسيق: إسماعيل سامعي، علاوة عمارة، إشراف بوبة مجاني، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، جامعة منتوري، ط1، دار بهاء الدين، ل: ن، ت، قسنطينة، 2008، ص: 269.

[2] _ رشيد باقة: **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] _ عبد القادر جغلول: **المرجع السابق**، ص: 272.

[4] _ ابن خلدون: **العبر**، 326/6_329، ابن الأثير: **الكامل**: 391/9، حسين مؤنس: **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، ط1، دار العصر الحديث ل: ن، ت، بيروت، 1412هـ/1992، 109/2.

[5] _ بنو غانية نسبة لجدتهم غانية التي زوجها الأمير يوسف بن تاشفين، وأبوهم اسحاق بن حمو بن علي الصنهاجي، الملثمين صاحب ميورقة، فلما توفي اسحاق سنة 580هـ/1184م، خلفه بنوه وهم أربعة: أبو عبد الله محمد وهو الذي توجه إلى الأندلس، فأعطاه الموحدون مدينة دانية، أبو محمد عبد الله وهو أصغرهم الذي تملك ميورقة إلى سنة 599هـ/1202م، حيث انتزعها منه الناصر الموحدي، الذي قتله، أما زكرياء يحي وأبو الحسن علي فهما اللذان خرجا إلى إفريقية (أنظر: المراكشي: **المعجب**، ص: 348، ابن خلدون: **العبر**، 326/6_329، محمود مقديش: **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م،503/1.

فسادا[1]، حتى قال الرحالة التيجاني نقلا عن ابن شداد:<<**إنه هلك العباد وخراب البلاد**>>[2]، فكان سقوط هاتين العاصمتين بداية لمحنة طويلة أثرت على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بشكل عام، وأرياف المغرب الأوسط بشكل خاص.

لقد استمرت الحروب بين الطرفين حتى تمكن الموحدون من استرجاع بجاية عام 601هـ/1204م[3]، كما شهد عهد أبو يعقوب يوسف(558_580هـ/1163_1184م) خطر المماليك الغز المتحالفين مع الهلاليين وأغاروا على الأطراف الشرقية لدولة الموحدين[4].

وانطلاقا مما تقدم يتضح بأن بداية الانحطاط الاقتصادي للمغرب قد ظهرت منذ نهاية القرن 6هـ/12م، أي بعد الفترة الحمادية بسبب العوامل التي تراكمت منذ القرن 4هـ/10م، هذه الأزمة التي برزت بعد الفتح الموحدي وعلى الخصوص بعد ثورات بني غانية في نهاية الربع الأخير من القرن 6هـ/12م[5]، ولعل هذه النظرة مستوحاة مما قاله ابن خلدون وبعض النوازل، والملاحظ أن الرأي الخلدوني ولد بعد ثلاث قرون من سقوط الحماديين، أين شهد المغرب الأوسط صراعات وحروب دائمة بين البلاط والسلط المحلية(البربر والعرب)،التي كانت ضمن الأرياف الخارجة عنها، وقد أشرنا إلى هذه الفكرة عند ضبطنا لمصطلحي الريف والبادية.

مما تقدم نخلص إلى أن أرياف المغرب الأوسط قد عانت من ويلات الحروب والصراعات الداخلية والخارجية، وجميع هذه الصراعات قد أثرت على الاقتصاد والمجتمع الريفي خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، لكن هذا لا ينفي وجود بعض الخصوصيات لهذين الجانبين بالذات، وهو ما سأتناوله بالتفصيل بعون الله خلال الفصلين التاليين.

---

[1] _ ابن خلدون: **العبر**،6/ 326_ 329، المراكشي: **المعجب**، ص: 347، ابن عذاري: **البيان**، **_ قسم الموحدين_**، ص: 164، مجهول: **الإستبصار**، ص: 131، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 142، مصطفى أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ص ص: 76_78.

[2] _ أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد: **رحلة التيجاني**، قدمها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1891م، ص: 14.

[3] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 348، الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 2/ 35.

[4] _ مصطفى أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص ص: 79_80.

[5] _ Allaoua Ammara: **retour à la problematique**, p: 9.

الفصل الأول:

اقتصاد ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م.

المبحث الأول: الأرض ومصادر المياه بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: الأرض والنظام العقاري بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م.

المطلب الثاني: الري ومصادر المياه والسقاية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الثاني: الزراعة والرعي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: الزراعة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: نشاط الرعي وتربية الحيوانات بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الثالث: النشاط الحرفي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: المواد الأولية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: الصناعات الحرفية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الرابع: المبادلات التجارية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: العوامل المؤثرة على تجارة ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: الأسواق والسلع الريفية بالمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الخامس: الضرائب بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الأول: الأرض ومصادر المياه بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م.

المطلب الأول: الأرض والنظام العقاري بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م.

1_ أنواع الأراضي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م.

إن الإلمام بأنواع الأراضي في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، من العناصر المهمة والمتصلة بطبيعة الإنتاج وكيفية الاستغلال، كون أن ملكية الأرض هي العنصر المحدد للعلاقات الإنتاجية، كما أنها هي إحدى وسائل الإنتاج الفلاحي المتمثلة في الطاقة الحيوانية وأدوات العمل الفلاحي والزريعة على حد تعبير محمد حسن[1].

لقد عرفت منطقة المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، أنواعا مختلفة من الأراضي نتيجة لعدة عوامل منها: الطبيعية (التضاريس والمناخ)، والأحداث التاريخية التي مرت بها هذه البلاد منذ العهد القديم وحتى العصور الحديثة، وكذا الأحكام الفقهية[2]، والأوضاع القانونية التي تستمد أساسها من:

أ_ التشريعات الإسلامية : والأراضي في الشريعة الإسلامية ثلاثة أنواع[3] منها:

أ_1: أراضي العنوة

وهي ما غلب عليها المسلمون بالقتال حتى يأخذوه عنوة، وللإمام الخيار في قسمتها أو أن يدعها فيئا للمسلمين[4]، وهذا النوع من الأراضي إن قسمت بين الفاتحين تصبح ملكا

---

[1] _ **الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط، مدخل لدراسته من خلال نوازل الونشريسي**، مقال ضمن ملتقى: **<< Le monde rural magrebin >>**, P: 96.

[2] _ ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م، ص ص: 14_ 19.

[3] _ ابن أبي زيد القيرواني: **النوادر والزيادات**، 10/ 489.

[4] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها، القرشي: **كتاب الخراج**، ص: 59.

خالصا لهم، لا يؤدون عنها إلا العشر وإن تركت بيد أهلها على وجه الملك لهم مع فرض الخراج عليها[1]، وهذه هي **الأرض الخرجية(أرض الخراج).**

ويبدو أن أراضي الخراج كانت تشتمل على مساحات واسعة، وأن الخراج لا يسقط عن الأرض بإسلام أهلها، إذ عمد الحكام إلى عدم إسقاطه، فقد كانت خزينة الحكومة الحمادية غنية بمواردها من المغنم والخراج، وغير ذلك من الموارد الشرعية، وقد خصصت لها إدارة خاصة[2]، ولعل هذه السياسة كانت الغاية منها هي إخضاع القبائل المناوئة للدولة الحمادية، وعلى الخصوص قبيلة زناتة.

والملاحظ أن سياسة حكام الدولة الحمادية كانت متقلبة، فعندما أنشأ الناصر بن علناس(454_481هـ/1062_1088م)، مدينة بجاية عام 460هـ/1067م، قام بإسقاط الجباية والخراج عن أهلها[3]، ولعله كان ينوي من وراء هذه السياسة استقطاب الناس وجلبهم قصد تعميرها.

وفي عهد عبد المؤمن بن علي الكومي(524_558هـ/1130_1163م)، أمر بجرد بلاد إفريقية والمغرب، وتحديد مساحتها بالفراسخ[4]، والأميال طولا وعرضا، وأسقط من هذه المساحة ثلثها التي كانت تضم الجبال، الأنهار، السباخ، والطرقات[5]، من أجل الوقوف على المساحة التي يفرض عليها الخراج.

---

[1] _ يحي أبو المعاطي: **الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس(238_ 488هـ/ 852_ 1095م)، دراسة تاريخية مقارنة**، رسالة دكتوراه، إشراف طاهر راغب حسن، جامعة القاهرة، 1421هـ/ 2000م، 2/ 9.

[2] _ عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 1/ 277.

[3] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 232.

[4] _ **الفرسخ** يساوي 3 أميال، والفرسخ المربع يساوي 5544 متر، وهناك اختلاف في الأذرع التي يتكون منها الفرسخ، فقيل 18 ألف ذراع، لكن المشهور 12 ألف ذراع، والفرسخ 3 أنواع هي: فرسخ طولي، فرسخ جسمي، وفرسخ سطحي، **أنظر: محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1413هـ/ 1993م، ص: 426.

[5] _ ابن أبي زرع الفاسي: **روض القرطاس**، ص ص: 198_ 199، السلاوي: **الإستقصا**، 2/ 156، عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 137.

والملاحظ أن الموحدين لجؤوا إلى هذا الإجراء لعدة اعتبارات منها: تكفير المرابطين وحاجتهم للأموال[1]، لكنه كان بعد اعتلاء عبد المؤمن للحكم لمدة أربعة عشر سنة، أي بعدما اشتد سلطانه وصار لا ينازعه أحد في الملك، "بات من المحتم على الزراع أن ينهضوا بزراعتهم لتأمين معيشتهم، ودفعهم لمستحقات الحكومة"[2].

لقد ظلت مسألة الخراج تؤرق الفلاحين، فقد أشارت إحدى النوازل إلى اشتراط أحد أصحاب الضياع على المشتري دفع خراج ليس عليها، فأجاب المفتي بجواز الخراج إذا كان بأمر زاده السلطان[3]، وهنا نرى كيف أن الفقهاء خضعوا لهذا الأمر بالرغم من إسلام أهلها.

أ_2: أراضي الصلح

وهي الأرض التي صالح عنها أصحابها بجزية توضع عليهم[4]، ورأى مالك أنها الأرض التي استقرت في أيدي أربابها بصلح صالحوا عليه، وليس عليهم إلا ما صالحوا عليه، فلا يزاد في جزية الصلح على الغني ولا ينقص عن الفقير[5].

والملاحظ أن هذا النوع من الأراضي كان على ضربين؛ إما أن تكون خالية وهنا يجب عليها الخراج وتصير فيئا للمسلمين، أما النوع الثاني فهي ما أقام فيه أهله وصولحوا على إقراره في أيديهم بخراج يضرب عليها، فإما أن يتصالحوا فتصبح وقفا كالذي انجلى عنه أهله ويصبح الخراج أجرة لا تسقط وإن لم ينزلوا عنها ويصالحوا عنها بخراج فهذا الخراج جزية[6]، تؤخذ مما أقاموا على شركهم وتسقط عنهم بإسلامهم[7].

---

[1] _ حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس(عصر المرابطين والموحدين)**، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د_ت، ص: 197.

[2] _ عبد الله علي علام: **الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**، سحب للطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص: 254.

[3] _ فتوى اللخمي: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 260.

[4] _ القرشي: **المصدر السابق**، ص: 60.

[5] _ يحي أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 1/ 10.

[6] _ الجزية موضوعة على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء،...، ويجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب، ليقروا بها في دار الإسلام. أنظر: الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص: 182.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 187_188.

أ_3: أراضي أسلم عليها أهلها طوعا

وهذا النوع من الأراضي هي التي وضعت عليها ضريبة العشر لإسلام أهلها عليها، وهي غير الأرض الخراجية[1]، وهذه الأراضي تبقى ملكيتها رقبة ومنفعة لأصحابها، فهم أحق بها[2]، وملخص القول إن الغالب على الوضع الشرعي لأرض المغرب أنها ليست بالعنوية ولا بالصلحية، وإنما أسلم عليها أهلها[3].

ب_ أنواع الأراضي حسب طريقة التملك

لقد تعرضت أراضي المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، على غرار بلاد المغرب للتغيرات المستمرة بسبب التحولات السياسية وحالة الحرب الدائمة، وانطلاقا من هذا يمكن حصر أنواع الأراضي التي ميزت العقار في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، كالتالي:

ب1_ أراضي الدولة (الأراضي السلطانية)

وهي الأراضي التي كانت تحت سيطرة الدول التي حكمت هذه البلاد منذ العهد الروماني[4]، إلى العصر الوسيط؛ إلى أيامنا هذه، وخلال العصر الوسيط وبالضبط فترة دراستنا وهي القرنين5و6هـ/11و12م، نجد أن حكام المغرب الأوسط من حماديين، ومرابطين، وموحدين، قد اعتبروا البلاد التي استولوا عليها بلادا مفتوحة، لهم مطلق الحرية في التصرف فيها.

والملاحظ أن الدول التي حكمت بلاد المغرب الأوسط قد كانت لها الكثير من الأراضي، ومن دون شك أنها انتقلت من دولة إلى أخرى، فقد نال الحماديون الكثير منها، مثلما ناله حماد من تغلبه على زناتة[5]، ولعل الحرب التي اندلعت بين حماد

---

[1] _ محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص:42.

[2] _ الماوردي: **المصدر السابق**، ص: 182.

[3] _ محمد فتحة: **النوازل الفقهية والمجتمع**، ص: 333.

[4] _ محمد البشير شنيتي: **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية**، ص ص:56_58.

[5] _ النويري: **نهاية الأرب**، ص ص: 86_88، ابن خلدون: **العبر**، 227/6، ابن الأثير: **الكامل**، 334/7.

(405_419هـ/1014_1028م) وباديس(387_406هـ/997_1015م) عام 406هـ، حول تيجس وقسنطينة[1] لخير دليل على هذا.

كما أن الحروب الكثيرة بين الحماديين والزيريين وكذا الصراعات القبلية بين زناتة وصنهاجة وكتامة، قد خلفت الكثير من الموتى والمهاجرين، فألحقت أراضيهم بأراضي الدولة، والمؤكد أنها كانت على درجة من الخصوبة فكانت الدولة تتنازل عنها لصالح القبائل أو الأشخاص لخدمتها، سواءا عن طريق الكراء أو الإقطاع، وسنتناول هذه النقاط بعد حين.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه حتى أراضي الدولة كانت تخضع للظروف السياسية، وفترات الاضطراب فتتقلص مساحتها، وخير دليل على هذا أنه بعد الغزو الهلالي تقلصت الأراضي في البوادي والسهول، حتى لم يبق للدولة إلا ما ضمته أسوار المدن، بالإضافة إلى ما تخلى عنه الحكام بالهبات والإقطاعات[2]، وسنفصل في هذه النقطة الأخيرة أيضا بحول الله، عند الحديث عن أراضي الإقطاع.

بالرغم من هذا العرض المختصر عن أراضي الدولة في ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، لشح المادة الخبرية، وصمت المصادر الجغرافية والفقهية والنوازلية، عن إفادتنا بهذا الموضوع غير أنه يمكننا القول بأن مداخيل الجباية(في عهد الحماديين)، وعملية التكسير التي قام بها عبد المؤمن بن علي(عهد الموحدين)، دليل على أن أراضي الدولة كانت تشكل موردا هاما، بالإضافة إلى أنها كانت على درجة عالية من الخصوبة بدليل الإنتاج الفلاحي الوفير.

ب2_ أراضي الموات

هي الأراضي التي لا عمارة فيها ولم يتعين مالكها[3]، وتصير ملكا لمن أحياها من المسلمين شريطة الالتزام بالواجبات المقررة عليها[4]، والملاحظ أن أراضي الموات حسب الإمام مالك، هي الأراضي التي ليس لها مالك وليس فيها ماء أو عمارة، وإن أحياها أحدهم

---

[1] _ ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، 62/3_70، ابن خلدون: **العبر**، 209/6_ 210.

[2] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 130.

[3] _ محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص: 42.

[4] _ يحي أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 1/ 11.

فهي له وإن لم يستأذن الإمام، وإحياؤها يتم بشق العيون وحفر الآبار وغرس الشجر، وبناء البنيان والحرث[1]، والغالب على هذا النوع من الأراضي أنه يقع في المناطق الصحراوية، أو التي تتميز بقساوة الطبيعة وما ينجر عنها من عدم الاستقرار وصعوبة التنقل وقلة المياه، وغير ذلك من العناصر الضرورية للحياة، وعموما فإن الأرض الموات لا تتحول إلى ملكية خاصة أو مشاعة ولا يحق للدولة أن تضع يدها عليها إلا بإحيائها واستغلالها.

وبالرغم من اختلاف الفقهاء في موضوع الأرض التي يتم إحياؤها بدون إذن الإمام، ثم يقطعها هذا الأخير لشخص معين، فمنهم من يرى أن ذلك لا يغير شيئا، وأن الأرض ملك لمن بيده، واعتبر البعض الآخر انطلاقا من مبدأ إذن الإمام أن من أحياها وغرسها يرفع أمره إلى السلطان الذي له وحده النظر في الإبقاء أو القلع[2].

هذا ونجد الحماديين الذين انتفعوا بحضارة التيهرتيين والعبيديين قبلهم ثم زادوا عليها واهتموا بالفلاحة، فأحيوا موات الأرض وغرسوا الأشجار واعتنوا بالبساتين[3]، ولعل هذا قد تم في فترات الحكم المستقرة مثل عهد القائد بن حماد(419_446هـ/1028_1054م)، وعهد المنصور بن الناصر(481_498هـ/1088_1104م)، الذي يعتبر عهده من أزهى العهود[4].

ونجد أيضا جهود الموحدين في استصلاح الأراضي الموات، وتشجيع المزارعين على استغلال الأراضي وإحيائها وتوفير المياه اللازمة للزراعة[5]، كان له الأثر الكبير على تحقيق الازدهار الزراعي في تلك الفترة.

واستصلاح الأراضي خلال هذه الفترة لم يتم من قبل الحكام فحسب؛ وإنما كان أيضا من

---

[1] _ سحنون: **المدونة**، 4/ 473، القرشي: **المصدر السابق**، ص : 121.

[2] _ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم: **كتاب الخراج**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د_ت، ص: 60، الماوردي: **المصدر السابق**، ص: 403، الونشريشي: **المعيار**، 5/ 117.

[3] _ رابح بونار: **المغرب العربي**، ص: 216.

[4] _ عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب العربي**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1982م، ص: 598.

[5] _ محمد العيدروس: **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، 1430هـ/ 2009م، ص: 444.

قبل السكان ورجال العلم والدين، فقد روي أن **عيسى بن يرصوكن**[1]، شاور أبا يعقوب يوسف المعروف بالطرفي في نزوله المنزل المعروف ب:"تلاعيسى"، بنواحي وارجلان المنسوب إليه، فانضم إليه الناس وسكنوها معه، وغرس بها الشيخ أشجارا كثيرة من النخيل، وصار في النخيل "**ودايا كثيرة**"[2]، وكان هذا في فترة الموحدين أيام غزو الميورقيين لوارجلان.

وبالرغم من جهود الحكام والرعية في استصلاح أراضي الموات، إلا أن أراضي المغرب الأوسط قد تضررت كثيرا من جراء الغزو الهلالي، الذي اكتسح البسائط والتلال وعثوا فيها فسادا[3]، وأصبح التدهور شاملا والفوضى منتشرة، فمثلا غدت "**الحضنة بمدنها المشهورة: طبنة، مقرة، المسيلة، نقاوس، مسرحا لقبائل بني هلال وبخاصة الأثبج، رياح، وزغبة**"[4]، وهذا بدون شك قد ساهم في تدهور الكثير من الأراضي الزراعية وتحويلها إلى أراض موات.

وهذا الوضع لم يكن مقترنا بالهجرة الهلالية فحسب، وإنما كان للصراعات القبلية بين القبائل البربرية فيما بينها من جهة، ومع القبائل العربية من جهة ثانية، بالإضافة إلى الحروب بين الأسر الحاكمة: الزيريون، الحماديون، المرابطون، والموحدون، كل ذلك كان له الدور الأكبر في إلحاق الضرر بالأراضي الزراعية وتحويلها إلى أراض موات.

ب3_ الأراضي الجماعية(المشاعة)

وهي الأراضي المملوكة جماعيا للقبيلة، ويشرف على توزيعها للاستفادة منها شيخ القبيلة، وما يميز هذا النوع من الأراضي هو سعة رقعتها، وتخصيص معظم مساحتها للرعي والغرس وزراعة الحبوب[5]، ولا يحق للمستفيد من هذه الأراضي بيعها ولا هبتها ولا تأجيرها لفرد آخر من خارج القبيلة أو الأقارب[6].

---

[1] _ هو أبو موسى عيسى بن يرصوكن، الشريف منسبا، الطيب مكسبا، الرفيع مطلبا، الهاشمي العربي، ممن يتعلم منه الورع من أهل الطبقة العاشرة. **أنظر: الدرجيني: طبقات المشايخ**، 1/ 277.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 277_ 278.

[3] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 27، ابن عذاري: **البيان**، 1/ 292_ 295، النويري: **نهاية الأرب**، 24/ 122_ 124، عبد العزيز سالم: **المرجع السابق**، ص: 599.

[4] _ موسى لقبال: **طبنة مدينة الزاب والأوراس** ، ص ص: 90_ 91.

[5] _ البكري: **المغرب**، ص ص : 69_ 70، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 470.

[6] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 1/ 206.

وبهذا فأراضي المشاعة ترتبط بالنمط الرعوي والنظام القبلي، لأنها ليست ملكا لأحد وبالتالي تستغل جماعيا، وهذا النوع من الأراضي عادة ما يشمل الفيافي والقفار، حيث تكون هناك القبائل الرعوية، والملاحظ أنها تشغل القسم الأوفر، ومصدره القوة في العهد الحمادي، المرابطي، والموحدي أنذاك نتيجة للبيئة الطبيعية السائدة.

والملاحظ أن أرياف المغرب الأوسط كانت تحتوي على مساحات شاسعة من هذا النوع من الأراضي نظرا للبيئة الجغرافية التي تميزه، حيث تسود هذه الملكيات الجماعية في السهول الجافة والمناطق المتاخمة للصحراء أين تسود الزراعة الواسعة ونشاط الرعي الذي كانت تعيش عليه معظم القبائل[1].

وتشير كتب الجغرافيا إلى الملكية المشتركة، فكان من "**شلف بني واطيل إلى بني واريفن لمطغرة على نهر شلف**"[2]، ويصف اليعقوبي[3] بأن: "**أهل حصن ابن كرام بأنهم جماعية**" ونجد خلال القرن5هـ/11م، العديد من القرى كانت ملكا لعشائر عربية، وهذا دليل على انتقال واستقرار القبائل العربية في الأرياف، وتملكها للقرى والضياع وتوسيع ملكيتهم وعددهم لحد الغلبة فيها[4].

وبهذا نجد أن طبيعة المجتمع السائدة في ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، هي التي ساهمت في شيوع الملكية الجماعية، فأكثرية الأراضي كانت من هذا النوع، وتفيدنا النوازل بإشارات عنها فقد سأل السيوري عن أرض مشاعة موقوفة على أهلها[5]، وكان أغلبها يقع بعيدا عن القرى والمداشر، ونتيجة لمساحاتها الشاسعة اتخذها الموحدون كمستغلات للإقطاع[6].

---

[1] _ناصر الدين سعيدوني: **المرجع السابق**، ص: 16.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص: 69.

[3] _ اليعقوبي: **البلدان**، ص: 56.

[4] _ نور الهدى بوخالفة: **استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط**، مقال ضمن ملتقى التغيرات الإجتماعية في البلدان المغاربية، قسنطينة، 2001م، ص:62.

[5] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 5/ 160.

[6] _ يوسف عابد: **الموحدون في بلاد المغرب(515هـ_595هـ/1120م_1199م)، دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، رسالة دكتراه دولة في التاريخ الإسلامي، إشراف عبد العزيز فيلالي، 2006/2007م، 365/1.

ب4_ أراضي الملك

إن الشريعة الإسلامية تعترف بحق الملكية للأفراد على الأرض، وتصون هذه الملكية وتحميها، وتطلق يد أصحابها بالتصرف فيها واستغلالها على النحو الذي يريده وفقا للضوابط الشرعية[1].

وأراضي الملك هي الأراضي المملوكة للأفراد، ولهم مطلق الحرية بالتصرف فيها، وتتميز عادة بعدم الاستقرار وصغر المساحة نظرا لخضوعها لأحكام الوراثة والبيع والشراء والمصادرة أحيانا[2]، ولأجل هذا نجد أن بعضها واسع المساحة والبعض الآخر صغير المساحة بالقرب من القرى والتجمعات الريفية[3]، وكان بعضها متوسط المساحة كالجنان والبساتين التي كثرت وتنوعت في الأرياف، كما وصفت الكثير من المدن بأنه كان حولها الكثير من الأجنة والبساتين، والتفصيل سنتناوله في المبحث الخاص بالزراعة والمحاصيل الزراعية من هذه الدراسة.

وقد أطلقت النوازل عدة تسميات على هذا النوع من الأراضي مثل: جنات، جنان[4]، الحائط، ضيعة، عرصة، بحيرة، روض ورياض، قرية، وبستان[5]، وتعددت الطرق التي يحصل بها الملاك على الأرض الزراعية كإحياء الموات[6]، والميراث[7]، والبيع والشراء[8]،

---

[1] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 1/ 339، مناع مدار خليفة: **المزارعة والمساقاة في الشريعة الإسلامية**، رسالة ماجستير، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1395هـ/ 1975م، ص: 573.

[2] _ ناصر الدين سعيدوني: **المرجع السابق**، ص ص:48_ 49.

[3] _ فتوى المازري: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 85.

[4] _ أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني المغيلي التلمساني: **الدرر المكنونة في نوازل مازونة**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، المجلد 2، رقم 1336، ورقة 6 ظ، 12ظ، 21 ظ، الونشريسي: **المعيار**، 5/ 98،101.

[5] _ **المصدر نفسه**: 6/ 476، 8/ 28، 9/ 11، 15، 16، 526، 527، 540، 604، 10/ 262، ابن رشد: **الفتاوى**، 186/1.

[6] _ الونشريسي: **المعيار**، 8/ 35، 286.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 132، فتوى المازري: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 4/ 325، 3/ 85، الونشريسي: **المصدر السابق**، 9/ 603.

[8] _ فتوى أبو الفضل العقباني: **الدرر**، ورقة 33و 38ظ، فتوى السيوري: البرزلي: **المصدر السابق**، 5/ 90، فتوى المازري: 3/ 85.

والتصدق والهبة[1]، والوصية[2]، والمغارسة[3]، والشركة[4]، والغصب[5]، والكراء[6] بشروط إذ نهى مالك عن كراء الأرض بالطعام[7]، وهي أغلب الطرق التي حددها الإسلام.

والملاحظ أن الملكيات ذات المساحة الصغيرة هي الأكثر انتشارا وشيوعا، ويتملكها معظم الفلاحين في الأرياف وهي عدد محدود من الفدادين والحقول أو قطعة من الأرض والتي كانوا يعملون فيها بكد أيديهم لأنها مصدر عيشهم.

وتشير لنا المصادر من كتب التاريخ والطبقات والنوازل إلى كثير من العلماء والفقهاء الذين تملكوا كثيرا من الملكيات الصغيرة، وكانوا يعملون فيها بأنفسهم أو بمساعدة تلاميذهم أحيانا، فهذا أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي المتوفي عام 513هـ، كان يعمل بيده في أرضه[8]، وكذلك أبو محمد عبد السلام التونسي نزيل تلمسان والمتوفي بها، كان يلبس كساءا أعرّ جلده ويأكل الشعير الذي يحرثه بيده، وروي أن مزدلي بن تكلان جاءه ذات يوم وهو يعمل في أرضه[9]، ويذكر ابن قنفد أيضا أن جده قد ترك لوالده عددا من الدور والجنات والأرضين[10].

هذا ونجد أن أراضي الملك تتأثر هي الأخرى بالعوامل الطبيعية والبشرية، فبالنسبة للأولى نجد أن معظم المناطق الساحلية الخصبة كانت تسودها الملكية الخاصة، ولعل

---

[1] _ فتوى عياض: الونشريسي: **المصدر السابق،** 8/ 65، 9/ 174، 603، البرزلي: **المصدر السابق،** 3/ 86، 141.

[2] _ الونشريسي: **المصدر السابق،** 5/ 38، 2/ 16، 6/ 46، 9/ 163.

[3] _ المازوني: **الدرر**، ورقة 94و، فتوى السيوري: الونشريسي: **المصدر نفسه** ، 4/ 264، 8/ 138، 141، 152، 158، 174، البرزلي: **المصدر السابق،** 3/ 411، 430، 636.

[4] _ الونشريسي: **المصدر السابق،** 8/ 117.

[5] _ فتوى السيوري: الونشريسي: **المصدر نفسه،** 1/ 364، فتوى المازري: البرزلي: **المصدر السابق** 5/ 159، 1/ 545، 546، 5/ 546، 3/ 169.

[6] _ ابن رشد: **الفتاوى،** 2/ 1186، المازوني: **المصدر السابق،** ورقة 100و، الونشريسي: **المصدر السابق،** 8/ 169_170، سحنون: **المدونة،** 3/ 534، 553، مالك بن أنس: **الموطأ،** ص: 388.

[7] _ سحنون: **المصدر السابق،** 3/ 553.

[8] _التادلي: **التشوف،** ص ص: 95_ 96، ابن قنفد: **أنس الفقير،** ص: 108.

[9] _ التادلي: **المصدر السابق،** ص: 110.

[10] **_ المصدر السابق،** ص ص: 47_ 48.

شهادة الرحالة والجغرافيين بثرائها بالمنتوجات الحيوانية والنباتية، خير دليل على ذلك[1]، أما العوامل البشرية فعند شيوع الأمن واهتمام الحكام بالأرياف فإن هذا من شأنه أن يساعد الناس على القيام بنشاطاتهم الفلاحية مما يؤدي إلى ازدهار هذا النوع من الملكيات[2].

والعكس صحيح فحالة الحرب التي عاشتها المنطقة والهجرة الهلالية قد أثرت بدون شك على الملكية بنوعيها المشاعات الجماعية والملكية الخاصة، وبقي قسما كبيرا من الأراضي الزراعية على هامش الدورة الاقتصادية النشيطة، متأرجحا بين الاهمال والاستغلال رغم حاجة الفلاحين إليه[3].

لقد أثارت اغتصابات الأعراب في أرياف المغرب الأوسط على غرار باقي مناطق المغرب الإسلامي جزءا كبيرا من القضايا التي تناولتها النوازل[4]، ولعل الشكاوى المقدمة ضد الأعراب دليل على تشبث الناس بأراضيهم.

إن حالة الحرب والفوضى تؤدي إلى نقص المساحات الزراعية، مما يؤثر مباشرة على سعر العقار، فيقول ابن خلدون:<<**إن العقار في آخر الدولة وأول الأخرى عند فناء الحامية، وخرق السياج وتداعي المصر إلى الخراب فتقل الغبطة به لقلة المنفعة فيها بتلاشي الأحوال، فترخص قيمتها ويتملك بالأثمان اليسيرة وتتخطى بالميراث إلى ملك آخر وقد استجد المصر شبابه به باستفحال الدولة الثانية وانتظمت له أحوال رائقة حسنة، تحصل معها الغبطة في العقار والضياع لكثرة منافعها حينئذ فتعظم قيمتها ويكن لها خطر لم يكن في الأول**>>[5]، ومن هنا نلمح كيف أن أراضي الملك كانت رهينة الظروف المحيطة في الأرياف، فتارة تستقر وتزدهر، وتارة تتراجع وتضيق.

---

[1] _ للتفصيل أكثر حول هذا الموضوع، وتجنبا للتكرار المخل، أنظر: **المبحثين الثالث والرابع من هذا الفصل**، ص ص: 164_192، أنظر كذلك: اسماعيل العربي: **الدولة الحمادية**، ص: 185، عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ص: 221، روبير برنشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي**، 1/ 185.

[2] _ للتفصيل أكثر أنظر: **المطلب الأول من المبحث الثاني من هذا الفصل**، ص ص: 114_ 146.

[3] _محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص ص: 448_ 450.

[4] _ فتوى العقباني: **الدرر**، ورقة 10ظ، 18ظ، 27ظ، 34و، فتوى السيوري: الونشريسي: **المعيار**، 1/ 364، فتوى المازري: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 5/ 159، 545، 546، 3/ 169، 2/ 215.

[5] _ **المقدمة**، ص: 107.

ومما تقدم نخلص إلى أن حالات البيع والشراء، الكراء، الغصب والفداء، كلها طرق يتم من خلالها تملك الأراضي، كما أنها إحدى العوامل المتسببة في تجزئتها إلى أقساط صغيرة، كما أن عقود المغارسة والمزارعة والمساقاة، التي تتم بين الناس من أجل استغلال الأرض دليل واضح على التملك.

هذا ولم تخل أرياف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، من ملاك فاحشي الثراء بدليل امتلاكهم لضيعات كبيرة[1]، ولهم حق التصرف في بيعها والتصدق بها على الفقراء والمساكين[2].

أما فيما يتعلق بقضية تملك الأراضي بطريقة فردية في المناطق الصحراوية والواحات، فتظهر نوازل ابن الحاج نقلا عن ابراهيم القادري بوتشيش، بأن طرق الحصول على الأراضي كالمعاوضة، الوراثة، الهبة، الاقتناء، البيع المنجّم(التقسيط)، البيع بالعين، كلها تفند ما قالته بعض الدراسات التي أقرت بعدم وجودها[3]، كما أن شهادة الرحالة والجغرافيين بوجود الخصب في الواحات الصحراوية[4] دليل على وجود الملكيات الفردية.

ولعل إشارة محمد حسن[5] إلى أن إنشاء القصور[6]، ارتبط بطرح المسألة العقارية على غرار تأسيس المدن والقرى، فمنها ما كانت مشاعا بين المجموعة المساهمة في البناء، ومنها الملكية المشتركة أو ملكية خاصة.

كانت هذه أهم الإشارات المتعلقة بتملك الأراضي عند سكان أرياف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، ولا ننسى بالذكر عن وجود ملكية خاصة بالنسبة للملوك والحكام،

---

[1] _فتوى محمد بن مرزوق، المازوني: **الدرر**، ورقة 12ظ، و25ظ.

[2] _ الونشريسي: **المعيار**، 6/ 44، 46، 234، 8/ 169، 170.

[3] **_ إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي**، ص ص: 36_ 38.

[4] _ أنظر **المطلب الخاص بالمحاصيل الزراعية في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م**، ضمن هذا الفصل، ص ص: 126_149.

[5] **_ الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن 1هـ إلى القرن 9هـ، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات**، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 2004م، ص: 46.

[6] _ القصر قرية محصنة ونمط من أنماط السكن الريفي، ففي بلاد الزاب مثلا ورد ذكر قصور ذات نخل تسمى وارجلان، توات، وتمنطيت، وقصور تيكورارين التي يبلغ عددها 300 في واد واحد، **أنظر محمد حسن: المدينة والبادية**، ص: 66.

فهذا يحي بن العزيز الحمادي، كانت له قصور حسان وبساتين بحصن تاكلات[1]، وهذه الملكيات هي الأخرى لم تسلم من البيوع في فترات الفوضى، فكان الموحدون يحرصون على احترام الملكية الخاصة، حتى أن المنصور الموحدي لما أراد تغريب بني حمدون وبني القائد عن بجاية جراء تعاونهم مع الميورقيين، لم يصادر ممتلكاتهم، بل أجبرهم على بيعها[2].

وخلاصة القول أن من كان يتحكم في كبر أو صغر أراضي الملك، المستغلة في النشاط الفلاحي خلال الفترة قيد الدراسة، هي الظروف الطبيعية وانتقال السلطة من عصبية إلى أخرى، وجهود الحكام في هذا الشأن.

ب5_ أراضي الأحباس(الوقف)

الواقع أن المادة الخبرية المتعلقة بهذا النوع من الأراضي، في ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، نادرة جدا إن لم نقل منعدمة، وما سنذكره في هذا الشأن هي عبارة عن عموميات، خصوصا إذا علمنا أن بلاد المغرب ككل متجانسة جغرافيا، ومتشابهة إلى حد بعيد في أساليب العيش، وبهذا فمن المؤكد أن أريافنا لم تخل من هذا الأراضي.

وأراضي الوقـف هي أراض أوقفها أصحابها المسلمون لأغراض دينيــة، وكانت تحبس لصالح بعض المرافق الدينية أو العلمية[3]، أو لصالح ذرية المحبس[4]، أو المساكين[5]، ومن شروط صحة الحبس حوزه عن محبسه في صحته، كالصدقة والهبة وغيرهما مما هو في معنى عطية، ولا خلاف فيه بين مالك وأصحابه[6].

وأراضي الحبس كانت أصولها من الملكيات الخاصة، وكان أغلب التحبيس للمساجد[7]،

---

[1] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 163.

[2] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص، ص: 130، 137.

[3] _ المازوني: **الدرر**، ورقة 122و، 126 و.

[4] _ الونشريسي: **المعيار**، 7/ 354_ 355، محمد فتحة: **المرجع السابق**، ص: 315، روبير برنشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي**، 2/ 195_ 196.

[5] _ المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 129ظ، فتوى السيوري: الونشريسي: **المصدر السابق**، 7/ 63، 332.

[6] _ ابن سهل: **الأحكام الكبرى**، ص: 562، ابن رشد: **الفتاوى**، 1/ 200.

[7] _ فتوى الواغليسي: المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 122و، الونشريسي: **المصدر السابق**، 7/ 62، 112، 136، 265.

والأولاد والنساء والمرضى[1]، ومع انتشار التصوف كثر التحبيس دلالة على الزهد والورع[2]، هذا وقد كانت غالبية أراضي الحبس مشكلة من الدور[3]، وأشجار الزيتون والنخل[4]، والمطامير[5].

وكانت الأحباس في بعض الأحيان تشتمل على انتاج الأرض مثل الزياتين، النخل، والحقول،....إلخ[6]، وهذا دليل واضح على تغلغل أحكام الدين الإسلامي في المجتمع الريفي من جهة، واهتمام أفراد المجتمع بالحبس من جهة ثانية، والواقع أن أراضي الوقف كان ينظر إليها بنوع من التقديس، والملاحظ أنها لم تعرف تطورا ملحوظا خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، ولعل هذا راجع إلى الازدهار الذي عاشته المنطقة في أغلب فترات استقرارها والذي انعكس مباشرة على المساجد والمرافق الاجتماعية[7].

وقد صارت أراضي الوقف تشكل نسبة مرتفعة من مجموع الأراضي المزروعة، وازدادت أهميتها ابتداءا من القرن7هـ/13م، في خط مواز لانتشار الزوايا والمدارس في أواخر العصر الوسيط[8]، وبهذا كانت الأراضي المحبوسة سواء حبسا خاصا(أهليا)، أو عاما لمصلحة عامة تمثل جانبا مهما من أصناف الملكيات العقارية في أرياف المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

وبالرغم من قدسية هذه الأراضي والممتلكات المتعلقة بها، إلا أنها كانت تتعرض إلى تجاوزات من قبل الملوك والأمراء، وحتى بعض الأشخاص[9]، وكذلك نتيجة للظروف

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 432، 435.

[2] _ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 155.

[3] _ الونشريسي: **المعيار**، 7/ 78، 9/ 406.

[4] _ فتوى سعيد العقباني: المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 126 و، الونشريسي: **المصدر السابق**: 7/ 64_65، 104، 132، 8/ 235.

[5] _ **المصدر نفسه**: 7/ 78.

[6] _ الهادي روجي ادريس: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 218_ 219.

[7] _ يوسف عابد: **المرجع السابق**، 2/ 358.

[8] _ محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص: 96.

[9] _ فتوى الواغليسي: **الدرر**، ورقة 124و، الونشريسي: **المصدر السابق**، 7/ 150.

الاستثنائية كالحروب[1]، والأزمات أو حتى الظروف العادية[2]، وتعدى الأمر إلى كراء بعض أراضي الوقف الخاصة بالمساجد[3]، وهذا يعني أنه حتى أراضي الوقف كانت تزداد أو تنقص تبعا للظروف المحيطة بالأرياف، لكن هذا لا ينفي بأي حال من الأحوال أن الوقف كان يتم ابتغاء مرضاة الله.

ب6_ أراضي الإقطاع

بخلاف المعلومات المتعلقة بأراضي الوقف، فإن المعلومات المتعلقة بأراضي الإقطاع في ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، موجودة ومتوفرة، وأراضي الإقطاع هي الأراضي التي يمنحها الإمام لأحد الأشخاص أو أحد القبائل لاستغلالها أو الانتفاع بها، وهذه الأراضي لا تباع ولا تشترى لأنها من أملاك الدولة، وذلك في حال **إقطاع الاستغلال**[4] بها، غير أنه يوجد **إقطاع التمليك**[5] وقد تكون الملكية دائمة أو محددة، وعموما فالإقطاع في الإسلام هو تمليك للمنفعة لا للرقبة[6]، وكان يشترط في الإقطاع عدم إلحاق الضرر لمسلم من جرائه، وألاّ تكون أرض خراج[7].

---

[1] _ شهدت الفترة قيد الدراسة عدة أزمات نتيجة للهجرة الهلالية، والصراعات بين الأسر الحاكمة، وبدون شك فقد أثرت هذه الأوضاع على أراضي الأحباس في المناطق الريفية.

[2] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 3/ 1268، الونشريسي: **المعيار**، 7/ 112، 298.

[3] _ فتوى الواغليسي: **الدرر**، ورقة 97ظ و 98و، الونشريسي: **المصدر السابق**، 7/ 334_ 335.

[4] _ **إقطاع الاستغلال** كان على ضربين: **عشر وخراج**، فإقطاع العشر لا يجوز إقطاعه لأنه زكاة لأصناف، أما إقطاع الخراج فهو على ثلاث أحوال:**1_** إذا كان من أهل الصدقات فلا يجوز أن يقطع، **2_** أن يكون أهل المصالح ممن ليس له رزق مفروض، فلا يجوز إقطاعه، **3_** إذا كان من أهل الجيش وهم أخص الناس بجواز الإقطاع وهنا روعي الخراج **على قسمين** هما: **الأول:** يكون جزية أو أجرة ولا يجوز إقطاعه أكثر من سنة، **والثاني:** يجوز إقطاعه لسنين(أنظر : الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص ص: 253_ 254).

[5] _ **إقطاع التمليك** الذي تتقسم فيه الأرض المقطعة إلى **ثلاث أقسام:** موات وعامر ومعادن، **فالموات** التي لم تحيا يجوز وهبها لمن يحييها، ولو تغلب على الموات المستقطع فاختلفت المذاهب في تملكها، **أما العامر** إذا تعين مالكه لا يجوز إقطاعه، أما **المعادن** إن لم يتميز مالكوه ولم يتميز مستحقوه أحدها الخمس ليست المال أو أنها تقطع **إقطاع إجارة** لا **إقطاع تمليك**.(أنظر : **المصدر نفسه:** ص ص: 248_ 252).

[6] _ محمد عمارة: **المرجع السابق**، ص: 61.

[7] _ جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية**، ص ص: 15_ 16.

ومن الأدلة الواضحة على وجود الإقطاع في العهد الحمادي؛ أنه خلال الفترة الممتدة من460هـ إلى470هـ/1067م إلى1078م، أقطع الناصر بن علناس ضواحي الزاب وريغة[1]، وقد تعددت أنواع الإقطاعات التي استفادت منها القبائل العربية والبربرية، في عهد كل من الحماديين، المرابطين، والموحدين، خلال القرنين5و6هـ/11و12م، بالإضافة إلى تداخل أنواع الإقطاعات مع بعضها بعض، وعدم توضيح المصادر لنوع الإقطاعات بالضبط خاصة فيما يتعلق بالقبائل العربية على الخصوص، وعموما يمكن حصر أنواع الإقطاع بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، كما يلي:

❖ **إقطاع التمليك**

اقترن هذا النوع أساسا بإقطاع الأرض الموات، لإحيائها وإقطاع الأرض لبناء الدور، والواقع أن أرياف المغرب الأوسط قد شهدت هذا النوع قبل العهد الحمادي، وبالضبط خلال العهد الزيري[2]، كما كانت ميلة إقطاعا لبني سليم، وظلت ميلة رمزا للتواجد العربي القيسي في بلاد كتامة[3]، ويحصي البكري[4] خلال القرن5هـ/11م، العديد من القرى لعشائر عربية حول كل من بنطيوس، تهودة، والأوراس، وهذا يعني أن اقطاع التمليك كان ساري المفعول آنذاك، بإقرار من حكام تلك الفترة.

هذا وقد أقطع المنصور الحمادي عز الدولة بن صمادح [5]، بعد هروبه من المرية، تدلس من أعمال الجزائر[6]، ويمكن إدراج عدة أنواع لهذا الإقطاع مثل:

[1] _ ابن خلدون: **العبر**، 7/ 62.

[2] _ عندما أنشأ زيري بن مناد أشير عام 324هـ/ 935م، أقطع بعض ما حولها للقبائل وشجع أهل القرى والبوادي على العمل، كما أن باديس والد المعز أقطع بني خزرون طبنة.(أنظر: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 2/ 343، النويري: **نهاية الأرب**، 24/ 89، اسماعيل العربي: **دولة بني حماد**، ص: 55.

[3] _ نور الهدى بوخالفة: **المرجع السابق**، ص: 62.

[4] _ **المغرب**، ص: 72.

[5] _ هو أحد ملوك الطوائف كان واليا على المرية، فاستولى عليها المرابطون سنة 484هـ/ 1091م، فارتحل بأهله وماله من الأندلس إلى الجزائر، وأقطعه المنصور أحواز دلس وأصبح بعد ذلك مركزا ثريا، ويقال إن المنصور أنزله بتنس وهي من أعماله الغربية.(أنظر: ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 234، الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 1/ 285).

[6] _ ابن خلدون: **العبر**، الصفحة نفسها، عبد العزيز سالم، **المرجع السابق**، ص: 40.

✓ **إقطاع التسكين**

بالرغم من إشارة عز الدين عمر موسى إلى أن هذا النوع طبقه الموحدون، ومنحوه لمن يخشون فتنته واستجلابا لطاعته[1]، لكننا نجد أن هذا النوع كان قبل عهدهم، فقد كان الحماديون من السبّاقين للتعامل بهذا الأسلوب مع القبائل العربية، حيث أقطعوهم الكثير من أعمال الزاب والحضنة، وضواحي القلعة واستألفوا زغبة إلى جانب الثعالبة من بني سليم، واستظهروا بهاتين القبيلتين على زناتة[2]، وقبلهم أشار الوزير اليازوري باصطناعهم والتقدم لمشايخهم وتوليتهم أعمال إفريقية وتقليدهم أمرها[3].

وبالرغم من الإشارات الآنفة الذكر والمتعلقة باستفادة العرب من إقطاع التمليك، غير أن إجابة الإمام أبو القاسم الغبريني في نوازله عن الأرض التي تقطع للأعراب مجيبا بأنها كانت من نوع إقطاع الانتفاع لا الملك[4]، كما أن عبد المؤمن بن علي قد منح أراضي من نوع إقطاع التسكين لرؤساء بني هلال بشرق المغرب الأوسط استجلابا لطاعتهم، ومثلما فعل ابن منديل المغراوي في بلاد الشلف[5].

✓ **إقطاع الهبة والمنّة**

ليس لدينا معلومات عن هذا النوع في العهد الحمادي، لكن خلال الفترة الموحدية، أسهم عبد المؤمن بن علي أثناء توجهه إلى بجاية، لأهل دار من قرى تلمسان، أرضا واسعة لاحتراثها وأعطى لكل واحد منهم ألف رأس من الغنم ومثلها من البقر، وكتب إليهم ظهيرا

---

[1] _ **النشاط الاقتصادي**، ص: 40.

[2] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 19، 231، 7/ 61_ 62، الميلي: **المرجع السابق**، 2/ 249.

[3] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 19.

[4] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 4/ 458.

[5] _ عز الدين عمر موسى: **المرجع السابق**: ص ص: 145_ 147.

بالعز والأمان والبر، وأن يكونوا حكاما على قبيلتهم[1]، وذكر الغبريني[2] بأن أبو النجم هلال بن يونس الغبريني كان يعيش من مستغلات أرض كانت محررة بظهائر من قبل عبد المؤمن، وكان يصرف أكثرها في الصدقات.

وبهذا يتضح أن الإقطاع كان وسيلة ناجعة للتحكم في القبائل بنوعيها، العربية والبربرية سواء باحتوائها وضمان الأمن والتقليل من الحروب، وكذلك لتشجيعها على النشاط الفلاحي، المرتبط بحياة الاستقرار في الريف وبالتالي تعمير الأرض والأهم من هذا كله اندماج القبيلتين العربية والبربرية، واستقرارهما.

❖ **إقطاع الاستغلال (المنفعة)**

قلنا فيما سبق أن المصادر لم تبين لنا بالضبط نوع الإقطاع الذي استفادت منه القبائل العربية وحتى البربرية، أهو اقطاع تمليك أم استغلال؟ والمرجح أنها استفادت من النوعين حسب الظروف السياسية والأمنية السائدة أنذاك، وعموما فإقطاع الاستغلال يشتمل على عدة أنواع منها:

✓ **إقطاع الجند(الرواتب)**

لقد لجأ بعض ولاة الأمور إلى منح بعض الأراضي الزراعية إلى الجنود وغيرهم لزراعتها واستثمارها، وذلك على شكل إقطاعات، وهؤلاء عملوا على استغلالها مما عمل على ازدهار الزراعة ونموها، وحرص هؤلاء المقتطعين على استثمار الأرض حتى تذر عليهم أرباحا وفيرة[3].

---

[1] _ ابن عذاري: **البيان_** قسم الموحدين_، 1/ 80_ 81، أبو محمد حسن بن علي بن محمد الكتامي المراكشي المعرف بابن القطان: **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمد علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص: 176.

[2] _ **الدراية**، ص: 120.

[3] _ حسن علي محمود: **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس،(عصر المرابطين والموحدين)**، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، د_ت، ص ص: 238_ 239.

والملاحظ على هذا النوع من الإقطاع؛ أن بدايته لم ترتبط بالمرابطين كما أشار إلى ذلك يحي أبو المعاطي[1]، وإنما كانت قبل العهد الحمادي، فقد سمح بلكين لبني ومانو وبني ألومي بالبقاء في أراضيهم فأصبحوا أعوانا للصنهاجيين، واستغلوا فقدان هؤلاء لنفوذهم في المغرب الأوسط لبسط سلطانهم على تلك الربوع[2].

هذا وقد لجأ المرابطون منذ عهد يوسف بن تاشفين، إلى الجند المرتزقة والجند من أهل القبائل الصنهاجية، ومنحوا لهم الإقطاعات وتشير النصوص إلى أن هؤلاء الجند من المرابطين وزناتة والعرب والحشم ولمتونة والروم[3]، وفي عهد علي بن يوسف (500_537هـ/1106_ 1142م)؛ لجأوا إلى تطبيق سياسة ذات أثر بعيد في إنعاش الزراعة، إذ أقطعوا الجند أرضا يزرعونها ويستثمرونها وينتفعون بخيراتها، في مقابل أداء واجب الدفاع عن الوطن وقت الحروب، ويرى معظم المؤرخين أنهم طبقوا هذه السياسة الزراعية في المغرب فضلا عن الأندلس[4]، لكنهم في الأندلس ساروا على نهج الإقطاع العامري[5].

وقد ظلت القبائل العربية منتفعة بالإقطاع إلى قدوم عبد المؤمن الذي "**أزال ذلك من أيديهم وصيرهم جندا له، وأقطع رؤساءهم بعض تلك البلاد**"[6]، فقل جمعهم بالجزائر[7]، وثبّت الكثير منهم بنواحي جبل بني راشد، واتحدوا مع الموحدين ضد بني غانية[8].

---

[1] _ **المرجع السابق**، 1/ 49.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 234_ 236، الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 1/ 93_ 94.

[3] _ ابن عذاري: **البيان**، 4/ 94_ 98، حسن علي محمود: **قيام دولة المرابطين**، ص ص: 379_ 380.

[4] _ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، ط2، دار الكتاب اللبناني، الكويت، 1416هـ/ 1996م، ص: 360.

[5] _ منذ أن اعتبر عمر بن عبد العزيز الأندلس ثغرا، أعطى العرب الوافدين تباعا إقطاعات واسعة حتى كادت أرض الخمس أن تتلاشى، غير أن ابن أبي عامر بدّل هذه السياسة لما عجزت الرعية عن إعمار أرضها والقيام بواجب الغزو، فنزع إقطاع الجند وأعطاهم رواتب مشاهرة وأعفى الرعية عن الغزو ليتفرغوا لإعمار أرضهم على أن يعطوه كل عام ما يقيم به الأجناد وسار ملوك الطوائف على هذا النظام الإقطاعي.(**أنظر: عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي**، ص: 141).

[6] _ عبد الواحد المراكشي: **المعجب**، ص: 294، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 316.

[7] _ الميلي: **المرجع السابق**، 2/ 249.

[8] **_ المرجع نفسه**، ص: 119.

وعند تتبعنا للخريطة الإقطاع في المناطق التي استفادت منها القبائل العربية خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، في ريف المغرب الأوسط نجد أن أكثر البقاع التي استفادت منها هي جهة الهضاب ما بين الأطلسين التلي والصحراوي، فيذكر الإدريسي أن من بسكرة إلى حصن بادس وهو في أسفل طرف جبل أوراس بثلاث مراحل، والعرب تملك أرضه[1]، وكذلك حصن بشر الذي كان قلعة عامرة من أعمال بسكرة، ذا معقل منيع وهي الآن(ق6هـ/12م)، في أيدي العرب[2]، كما كانت البلاد التي حول المسيلة مجالات لعرب رياح[3].

كما سيطرت كرفة على الجانب الشرقي من جبل أوراس، وكثيرا من بلاد الزاب الشرقية[4]، واستقرت العمور بالضواحي والجبال بين جبل أوراس وجبل بني راشد من جهة الحضنة والصحراء من جهة ثانية[5].

✓ **الإقطاع الجبائي**

لقد كان إقطاع القبائل العربية والبربرية، رهين قوة العصبية وكذا القوة العسكرية للسلطة الحاكمة أو هذه القبائل في بعض الأحيان، فمثلا قبيلة الأثبج التي كانت قوية في القرن 5هـ/ 11م، ضعفت عصبيتها في القرن الموالي فتحولت بفعل السياسة الموحدية إلى قبيلة غارمة[6]، إذ يذكر ابن خلدون بأنهم قعدوا على الظعن وأوطنوا بالقرى والأطام[7]، والملاحظ أنها استفادت من إقطاع الاستغلال، أي أنها تعيش على عوائد الأرض مقابل دفع الجباية.

هذا ونجد أن قبيلة زغبة قد انقسمت إلى مجموعات كبرى، وهي المشرف، دريد، كرفة، وبعد انتهاء الحروب مع الصنهاجيين أصبحت الحرب بين دريد وقرة من جهة، والمشرف من

---

[1] _ **نزهة المشتاق**، ص: 171.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 165.

[3] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 126.

[4]_ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 31.

[5] _ المصدر نفسه، ص: 35.

[6] _ الميلي: **المرجع السابق**، 2/ 249.

[7] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 31.

جهة أخرى في أواسط القرن 6هـ/ 12م[1]، وتراجع هذه القبيلة جعلها تركن إلى الاستقرار بقرى الزاب وجبل أوراس أي انتقالها هي الأخرى من قبيلة محاربة إلى قبيلة غارمة[2].

وعموما فقد تحولت قبائل عدة من الظعن إلى الاستقرار وهذا معناه دفع الجباية والتجنيد، وهذا نتيجة لتغلب القبائل العربية بعضها على بعض[3]، وحتى على القبائل البربرية، مثل قبيلة عياض التي بسطت نفودها عليها بجبل القلعة، ومنذ قيام الدولة الموحدية أصبحت تتولى جباية الأموال[4].

- ✓ **إقطاع الظهير**

هو صنف آخر من الأراضي التي يقطعها السلطان لمن يؤدي خدمات للدولة[5]، وكان إقطاعها منفعة لا تمليك[6]، بمعنى عدم توريثها فهي منفعة لصالح المقطع دون ورثته[7]، وهذه الأرض التي يقدمها السلطان لشيوخ القبائل تكون بمرسوم يسمى **الظهير**[8]، ومن المؤسف أن المصادر التي اضطلعنا عليها والتي تخدم الفترة قيد الدراسة، لم تفدنا بنماذج عن هذا النوع في أرياف المغرب الأوسط، لكن من المؤكد أن النفوذ الذي طالما تمتع به شيوخ القبائل وسلطتهم الدينية، قد دفع بالدول إلى مداراتهم لكسب ودّهم.

مما تقدم؛ نخلص إلى أن الإقطاع قد بلغ أوجّه خلال العهد الموحدي، وكانت هذه الدولة متحكمة في القبائل عن طريق هذا الإجراء، بالإضافة إلى مراقبتها مراقبة شديدة

---

[1] _ محمد حسن: **المرجع السابق**، ص: 58.

[2] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 35.

[3] _ مصطفى أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ص: 210.

[4] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 55.

[5] _ روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 2/ 189.

[6] _ الماوردي: **المصدر السابق**، ص: 252.

[7] _ كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، الإسكندرية، 1996م، ص ص: 62_ 63.

[8] _ الونشريسي: **المعيار**، 7/ 334، روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 2/ 189.

(المصادرة والاسترجاع)، للمحافظة على المداخيل المالية من جهة، واستمرار قوتها وسيطرتها من جهة ثانية.

والملاحظ على طبيعة الاقتصاد الزراعي الذي تميزت به أرياف المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، المرابطي، والموحدي، المعتمد على ثنائية الزراعة والرعي، فإننا نجد أن هذه الأراضي المقطعة كانت ذات طابع زراعي ورعوي، مع اختلاف مساحاتها بالنسبة للأرض المقطعة والحاجة التي أقطعت لها وموقعها وقربها من موارد المياه، والأهم من هذا كله حسب قوة كل عصبية وتغلب كل قبيلة على أخرى.

2_ أشكال الانتفاع بالأرض في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لما كانت الأرض من العناصر المهمة والأساسية في ريف المغرب الأوسط، فإن الفلاحين قد عرفوا عدة أشكال في إطار انتفاعهم منها، في شكل عقود زراعية مثل المزارعة، المغارسة، والمساقاة[1]، وفق حدود وشروط معينة تتصل بتلك الأنواع الآنفة الذكر، سواء بين الفلاحين أنفسهم أوبين أرباب الأرض وهؤلاء الذين يكونون كشركاء أو خماس، غير أن ما يراعى في القسمة بين هؤلاء الشركاء هو عدم إلحاق الضرر بأي طرف[2]، وسنتناول بشيء من التفصيل كل شكل من هذه الأشكال في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، ضمن العرض الموالي:

أ_ شركة المزارعة

المزارعة في اللغة مفاعلة من زَارَعَ، وهي الإثبات أو المعاملة على الأرض ببيع ما يخرج منها، وأكثر الفقهاء يعدون المزارعة إجارة ابتداء وشركة انتهاء، فهي إجارة لتمليك المنفعة بعوض، وهي "شركة لأن المحصول الخارج من الأرض يكون مشتركا بين المالك والمزارع على شروط العقد بينهما"[3]، وبالتالي فالمزارعة دائرة بين الإجارة والشركة[4].

[1] _ روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 2/ 205.

[2] _ ابن سهل: **الأحكام الكبرى**: ص: 537.

[3] _ يحي أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 1/ 150.

[4] _ الونشريسي: **المعيار**، 8/ 149_ 150.

والمزارعة هي "**الشركة في الزرع وإن شئت قلت في الحرث، والزراعة من فروض الكفاية يجب على الإمام أن يجبر الناس عليها، وما كان في معناها من غرس الشجر**"[1]، والملاحظ أن المزارعة تكون وفق فترة زمنية معينة، لمدة سنة، أو تمتد لعدة أعوام[2]، وهي على شروط منها: أن يتولى المزارعون تعمير الأرض وخدمتها بأيديهم مقابل الخمس من الزرع، وتعود الأربعة أخماس الباقية إلى صاحب الأرض[3].

والمزارعة من طرق الاستغلال المباح لمالك الأرض، فكما أن لمالك الأرض أن يزرعها بنفسه، فكذلك له أن يسلمها للغير ليزرعها وفق شروط معينة، يتم تحديدها مسبقا كالنصف أو الثلث أو الربع لمدة معينة[4]، وخلال هذا العقد وحسب الاتفاق المنصوص بين الشريكين، فإما أن يشتركا على أساس التساوي في الزريعة[5]، أو أن يدفع أحدهما الأرض والآخر الزوج للحرث[6]، وإما أن يدفع أحد الشريكين الزريعة والآخر البقر[7].

هذا ونجد في حالات أخرى لهذه الشركة، من يحتسب عمل يده بأن يدفع أحد الشريكين الزريعة والآخر البقر والعمل على الأرض لغيرهما، أو إعطاء الأرض لمن يخدمها[8]، أو أن يخرج أحد الشريكين الدواب والزريعة على أن يكون له أربعة أخماس الزرع، والآخر يده مقابل خمس الزرع[9].

هذا ونجد أشكالا أخرى للتعامل بين الفلاحين ضمن شركة المزارعة كأن يدفع كل طرف نصيبه من الزريعة وزوج البقر، ويدفع كل نصيبه من المغرم كالعادة[10]، أو التساوي

---

[1] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 403.

[2] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 8/ 158.

[3] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[4] _ محمد فتحة: **المرجع السابق**، ص: 384.

[5] _ فتوى أبو الفضل العقباني: **الدرر**، ورقة 51و، فتوى السيوري: الونشريسي: **المعيار**، 4/ 264.

[6] _ المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 52ظ، فتوى ابن عتاب: **المصدر نفسه، 8/** 117، ابن رشد: **الفتاوى**، 2/ 1011.

[7] _ فتوى السيوري: الونشريسي: **المصدر السابق**، 8/ 138، البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 411.

[8] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 8/ 158، ابن سهل: **الأحكام الكبرى**، ص: 129.

[9] _ المازوني: **الدرر**، ورقة 52ظ، فتوى السيوري: الونشريسي: **المصدر السابق**، 8/ 141.

[10] _ فتوى أبو الفضل العقباني: المازوني، **المصدر السابق**، ورقة 52ظ.

في البقر والأرض والبذر[1]، أو أن يدفع أحد الطرفين الأرض والآخر الزريعة ويتولى النقاء والدراس[2]، وبهذا نجد أن المكونات الخمسة لشركة المزارعة وهي الأرض، والآلة، والعمل، والماشية، قد اختلف مصدرها باختلاف وضعية كل طرف، فمن المزارعين من له القدرة على توفيرها أو توفير جزء منها، فيأخذ من المحصول قدر ما يساهم به.

وتعتبر الشركة الفلاحية من أهم مظاهر علاقة المزارعين فيما بينهم أو مع رب الأرض، خلال القرن 6هـ/ 12م، وقد ساعد على انتشارها قساوة العوامل الطبيعية والأزمة التي استفحلت منذ بداية هذا القرن، فضلا عن حالة صغار الفلاحين الذين لجأوا إليها لتأمين عيشهم، واعتبرت الأرض أهم ما يقدمه المالك، فيما يقدم المنتج عمله بكد يده كشركة على الخمس[3]، وكثيرا ما كان يحدث الخلاف بين الخمّاس والمزارعين حول الأجرة على الخصوص[4]، وفي حالات أخرى بشأن اشتراط الحصاد والدراس[5]، أو بسبب الخلاف حول الزريعة وكراء الأرض والبقر[6].

والملاحظ أن الأجر العيني الزهيد وعدم تحديد مهام الخمّاس بوضوح، وتكبيله بمهمات صعبة، تعكس العلاقات الإنتاجية المختلفة السائدة خلال القرن 6هـ/ 12م، وهو ما يفسّر هروبهم من المزارعة أحيانا[7]، ويذكر محمد حسن بأن "نظام الخماسة هو تعبير عن سيطرة العلاقات شبه الإقطاعية في المجتمع المغربي عامة في نهاية العصر الوسيط"[8]، والطابع الاستغلالي لهذا النظام أثر بشكل واضح على أوضاعهم الاجتماعية، وإن كان من الإنصاف

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ورقة 53 و.

[2] _ فتوى الواغليسي: **المصدر نفسه**، ورقة 54ظ.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 151_ 152.

[4] _فتوى السيوري: **المصدر نفسه**: ص ص: 140_ 141.

[5] _ المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 54ظ.

[6] _ **المصدر نفسه**، ورقة 57و.

[7] _ إبراهيم القادري بوتشيش: **مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1998م، ص ص: 80_ 81.

[8] _ **المدينة والبادية**، ص: 433.

على حد تعبير إبراهيم القادري بوتشيش؛ أنها لم تكن "أسوأ من حالة المزارعين المزرية في النظام الفيودالي الأوروبي خلال العصور الوسطى"[1].

لقد أشارت النوازل إلى التجاوزات التي تحصل بين المتشاركين وتؤدي إلى فساد شركة المزارعة، كأن يأتي الزرع أجود من زرع الآخر[2]، أو أن تزرع الأرض بزريعة غير المتفق عليها[3]، أو أن يتخالف الشريكين حول الأداة المستخدمة في الحرث[4].

خلاصة القول أن شركة المزارعة كانت من أكثر الشركات الزراعية انتشارا في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، مقارنة بشركة المغارسة والمساقاة، وهو دليل واضح على أولوية زراعة الحبوب بالنسبة للأشجار المثمرة التي تضررت وتراجعت في أواخر العصر الوسيط[5]، ويمكن القول بأن الفوضى التي كانت سائدة خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، نتيجة للهجرة الهلالية والحروب التي عاشتها المنطقة أنذاك، بالإضافة إلى اضطراب العوامل الطبيعية والأزمة المناخية التي طالت أريافنا خلال القرن 6هـ/ 12م، كان لها الدور الكبير في بروز هذا النوع من الاستغلالات الزراعية.

ب_ شركة المغارسة

إن نظام المغارسة هو شبيه بنظام المزارعة، غير أنه لم يطبق إلا في الأراضي التي تغرس بالأشجار أي تزرع بالغراسة[6]، ويقصد بها عند المالكية:" **أن يدفع الرجل أرضه لمن يغرس فيها شجرا أو هي عقد على غرس شجر بعوض معلوم من غيرهما؛ إجارة أو جعالة أو بجزء شائع منهما شركة** "[7]، ويذكر البرزلي[8] بأن رسم المغارسة **العام** هو معاملة على مؤنة الشجر، و**الخاصة** معاملة على مؤنة الشجرة والثمرة والأرض، فيدخل الصحيح والفاسد،

---

[1] _ **مباحث في التاريخ الإجتماعي**، ص: 83.

[2] _ فتوى السيوري: الونشرسي: **المعيار**، 8/ 140.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 161.

[4] _ فتوى ابن عياض: **المصدر نفسه**، ص: 164.

[5] _ محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص: 420.

[6] _ فتوى ابن رشد: الونشريسي: **المعيار**، 8/ 152_ 153، 156، فتوى ابن عياض: **المصدر نفسه**، ص: 165.

[7] _ ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، 7/ 387.

[8] _ **جامع مسائل الأحكام**: 3/ 371.

فقد سئل ابن رشد عن عن جواز بيع شجر أو إعطائه لأحد بعدما عجز عن إنباته لعدة أعوام ليقوم عليها، فأجاز ذلك مقابل مبلغ متفق بين البائع والمشتري[1]، والمغارسة ثلاث أصناف هي:

1_ **نوع إجارة:** وهو غرس شجر بعدد من الدراهم والدنانير.

2_ **نوع جعالة:** وهو غرس نوع من الشجر كالعنب والتين، وللغارس بكل شجرة تنبت أو تثمر كذا من الدراهم أو الدنانير.

3_ **نوع شركة:** وهو أن يغرس المغارس نخلا أو عنبا مناصفة[2].

ومن أشكال المغارسة أن يدفع أحد الشريكين الأرض والآخر يعمل في البحيرة الخضر على الوجه المتعارف عليه مقابل نصيب من الغلة[3]، أو أن يساهم صاحب الأرض بالشجر والآخر بالعمل بكد يده[4]، وبالرغم من هذا فالملاحظ أن شركة المزارعة كانت أوسع نطاقا من شركة المغارسة، وهو ما يفسر تقديم زراعة الحبوب على غراسة الأشجار المثمرة خلال الفترة قيد الدراسة.

جـ_ شركة المساقاة

هي علاقة بين المزارع ورب الأرض، فيما يتعلق باستغلال المياه، وهي دفع شجر مغروس إلى عامل ليقوم بما يحتاجه الشجر من سقي، وتأبير، وتسميد، ومحافظة عليه والعناية به، إلى مدة مناسبة بجزء معلوم شائع من غلة الشجر[5]، والمساقاة مشتقة من سقي الثمرة، إذ هو من معظم عملها وأصل منفعتها[6].

لقد فضّل مالك التعادل في قيمة الشركة على الأرض، أو البقر، أو البذر،...إلخ[7]، وقد عرّف القاضي المكناسي المساقاة في مجالسه بقوله:<< **عمل الحائط على جزء من ثمرته،**

---

1 _ **المصدر نفسه:** ص ص: 373_ 374.

2_ يحي أبو المعاطي: **المرجع السابق،** 1/ 160.

3 _ المازوني: **الدرر**، ورقة 94 و.

4 _ فتوى أبو الفضل العقباني، المازوني: **المصدر السابق،** ورقة 96و.

5 _ سحنون: **المدونة**، 3/ 566_ 567.

6 _ البرزلي: **المصدر السابق،** ص: 384.

7 _ **المدونة**، ص: 603.

وهي مأخوذة من السقي وتنعقد وتلزم بالشروع في العمل، ويكون في النخيل والأشجار شرط بلوغها الإطعام، وأن يكون عقدها قبل أن يحل بيع ثمرتها، وفي الزرع والقطاني، كالفول والجلبان والقرع والبطيخ وقصب السكر والفجل والجزر، بشرط أن يعجز ربها عنها والعقد يكون بلفظ المساقاة، وبجزء مشاع مقدر >>[1].

ومن شروط المساقاة أن يكون العمل على العامل، وألاّ يشترط أحدهما من الثمرة ولا من غيرها شيئا خاص لنفسه، ولا يلزم العامل إنجاز ما يتأبّد مثل إنشاء ظفيرة الماء، وإنشاء غرس تجنى ثمرته لاحقا[2]، ويشير البعض إلى عدم جواز إعطاء المساقي الشجر لغيره، بعقد مساقاة جديدة باعتبار أن شخصية المساقي لها اعتبار في عقد المساقاة الأول مع صاحب الشجر[3].

كما تجدر الإشارة إلى أن حق العامل بعقد المساقاة، يثبت في الثمر وفق الشرط بظهور الثمر، لا عند قسمته وهو ما رجّح إليه مناع مدار خليفة[4]، وتجوز المساقاة في جميع الأصول المنبتة نخلا أو عنبا، بعلا أو سقيا باستثناء الإجارة المجهولة وبيع مالم يخلق[5].

والسنة في المساقاة عند مالك، أن تكون في أصل كل نخل أو كرم أو زيتون أو رمان أو فرسك، على أن لرب المال نصف الثمر من ذلك أو ثلثه أو ربعه، أو أكثر من ذلك أو أقل، كما تجوز المساقاة في الزرع إذا خرج واستغل، وعجز صاحبه عن سقيه وعمله وعلاجه[6].

وتكشف لنا النوازل عن طرق استغلال المياه وأهميتها، التي شكلت عنصرا هاما من عناصر الحياة في ريف المغرب الأوسط، عبر كل الفترات التاريخية وليس الفترة قيد الدراسة

---

[1] _ محمد فتحة: **المرجع السابق**، ص: 388.

[2] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] _ ، ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، 7/ 303_ 304، مناع مدار خليفة: **المرجع السابق**، ص: 575.

[4] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[5] _ فتوى بعض الشيوخ، المازوني: **الدرر**، ورقة 94و .

[6] **_ موطأ الإمام مالك:** رواية يحي الليثي، ويليه كتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ للإمام السيوطي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1984م، ص: 385.

فقط، وكثيرا ما كان هذا الاستغلال تنجم عنه الكثير من النزاعات بين السكان والمزارعين[1]، الأمر الذي دفع بالفقهاء إلى الإفتاء برفع الضرر إن تأكد حصوله[2].

كانت هذه رؤية بسيطة عن أشكال الانتفاع بالأرض في أرياف المغرب الأوسط، وإن كانت مختصرة كون أن المصادر لم تفصل فيها خصوصا فيما يتعلق بالمغرب الأوسط، والقرنين 5و6هـ/ 11و12م بالذات، غير أن المرجح أن أريافنا قد استفادت من هذا النوع من المعاملات الفلاحية.

3_ استغلال الأرض بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

يتم استغلال الأرض عن طريق النشاط الفلاحي (زراعة ورعي)، ولعل هذا النشاط كان يمارس على نطاق واسع من قبل سكان المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، عبر العصور وليس فقط القرنين5و6هـ/11و12م، وإن كنّا معنيين بهما في هذه الدراسة، وقد أكّد على أهمية هذا النشاط الكثير من المؤرخين.

كما أن ابن خلدون[3] عقد فصلين في الفلاحة، حيث قال في الأول:<<**أن معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو، ذلك لأنه أصيل في الطبيعة وبسيط في منحاه، ولذلك لا تجده ينتحله أحد من أهل الحضر في الغالب ولا من المترفين، ويختص منتحله بالمذلة**>>، ويستكمل في فصل آخر عن الفلاحة التي جعلها كصناعة، حيث قال:<<**هذه الصناعة ثمرتها إتحاد الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وازدراعها وعلاج نباتها، وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه،....وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالبا، إذ يمكن وجوده من دون القوت، ولهذا اختصت هذه الصناعة بالبدو**>>[4].

إن الفلاحة كما قلنا هي ممارسة النشاط الزراعي إلى جانب تربية الحيوان، وبالتالي فابن خلدون يتناقض مع ما أشار إليه هو نفسه في فصل آخر عن البدو مشيرا إلى ثلاث

[1] _ الونشرسي: **المعيار**، 8/ 415_ 416.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 381_ 382، 404، ابن رشد: **الفتاوى**: 3/ 1288_ 1289.

[3] _ **المقدمة**، ص: 436.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 450

أصناف منهم والذي تناولناه في المبحث الخاص بضبط مصطلح الريف والبادية، وإن كان يوسف عابد[1]، قد أشار إلى أن هناك نوعين من الاستغلاليات الزراعية في الأرياف وهي:

_" الحقول الزراعية المفتوحة التي تدعى بالفدان أو الأراضي البيضاء المخصصة للخضر أو الكتان أو الأراضي المسقية.

_ الأراضي المغروسة بالأشجار المثمرة والتي كانت تسمى بالجنان، البحيرة، الحائط، الحديقة، البستان والعرصة "، كما كانت هناك أنواع أخرى نتيجة لطبيعة المجتمع السائدة في أرياف المغرب الأوسط، وهي الأراضي المشاعة المخصصة لزراعة الحبوب على نطاق واسع، والدليل ما سنذكره بشأن الحنطة في المبحث الخاص بالمحاصيل الزراعية في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

هذا وقد كان سكان الأرياف يقومون باستغلال أراضيهم بطريقة مباشرة، نتيجة لانتشار أراضي الملك والملكيات الجماعية أو في المزارع الخاصة بهم[2] أو في البحائر سواء كانت كبيرة أو صغيرة[3]، أو عن طريق المزارعة، المغارسة، والمساقاة، حتى أن كثير من المتصوفة كانوا يفضلون العمل بأنفسهم في أراضيهم[4].

أما الاستغلال غير المباشر، فالمرجح أنه كان ناذرا نتيجة لطبيعة المجتمع السائد أنذاك، ما عدا بعض الوكلاء الذين كانوا يعينون من قبل بعض الملاك القاطنين بالمدينة[5]، الذين كانوا يقومون بأعمال منها: الإشراف على الأعمال اليومية، وتهيئة البذور والأدوات واستخدام العمال الزراعيين، إلا أن المصادر لم توضح إن كانت طبيعة عمل الأجير موسمية أو يومية[6].

هذا وقد اعتنى سكان الريف بأراضيهم، واستخدموا طرقا وتقنيات ساعدتهم بدون شك على الحصول على غلات وفيرة، حيث كانوا يعملون على تسوية الأرض بنقل التربة من

---

[1] _ **المرجع السابق**، 2/ 360.

[2] _ المازوني: **الدرر**، ورقة 12ظ.

[3] _ فتوى محمد بن مرزوق: المازوني، **المصدر نفسه**، ورقة 25ظ.

[4] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 11.

[5] _ الغبريني: **الدراية**، ص، ص: 136، 170.

[6] _ جودت عبد الكريم يوسف: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، ص: 21.

المكان المرتفع إلى المنخفض، كما كانوا يقومون بعملية التسميد(التزبيل)[1] لأهميتها، كما قاموا بتصنيف الأسمدة، وخواص كل صنف والمزروعات التي تلائمها[2]، وكانت الأرض المشبعة بالأزبال تسمى بالدملة[3].

ومن التقنيات الزراعية التي استخدموها أيضا معرفتهم بطرق الزراعة المختلفة بالبذور، أو بالفسائل، أو الشتائل، أو بالترقيد أو غيرها[4]، كما كانت المناوبة في الزراعة معروفة أنذاك، فيزرع نصف الأرض عاما ويترك نصفها بورا، حيث يزرع في العام القادم، ويترك النصف الأول بورا[5].

والملاحظ أن استغلال الأراضي في المناطق الجبلية والواحات، كانت تتم على نطاق ضيق وعائلي بالدرجة الأولى، حيث يقوم صاحب الأرض بعملية الحرث والبذر ثم بعمليات الغراسة، أما في الاستغلاليات غير المباشرة فكانت تتم عن طريق العمل المأجور بالإضافة إلى شركات المزارعة أو المغارسة[6].

هذا وقد استعان فلاحو أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين5و6هـ/11و12م، في أعمالهم الفلاحية، بالمحراث الخشبي البسيط الذي يجره زوج من البقر، أو أربعة أزواج[7]، كما استعملوا الكرك، الرفش، المسحاة، والمجرفة(الجاروف)، واستعمل أيضا المنجل للحصاد[8]، والأبقار للدرس والمذراة للتذرية[9]، كما اعتنى سكان الريف ببساتينهم وجناتهم، وحرصوا على حماية مزروعاتهم وأشجارهم، بأن سيجوها بالحيطان والزروب وأشباه ذلك[10] والحفر[11]،

[1] _ الونشريسي: **المعيار**، 8/ 79، 90، 162،138، 169، 170، البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 133.

[2] _ ابن العوام: **الفلاحة**، ص ص: 104_ 106.

[3] _ **المصدر نفسه**، الصفحات نفسها.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 87_ 89 .

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 11.

[6] _ يوسف عابد: **المرجع السابق**، 2/ 366.

[7] _ الونشريسي: **المعيار**: 4/ 13، 5/ 203، 6/ 190، 7/ 408، 8/ 174، 9/ 108_ 110.

[8] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 22.

[9] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 165.

[10] _ الفرسطائي: **القسمة وأصول الأراضين**، 3/ 123.

[11] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 6/ 421.

تحسبا لحمايتها من أي ضرر، كما حرصوا أيضا على حمايتها باستئجار حراس لحرز زروعهم من الخنازير في القفار[1]، وكذلك أجراء للقط الزيتون والكروم[2]، وأيضا لخرص الزيتون والتمر[3].

وقد شكلت الثروة الحيوانية، أهمية كبيرة لدى فلاحي المغرب الأوسط، لحاجتهم الماسة لها في جميع أعمال الزراعة من حرث وبذر، وكثيرا ما كان الفلاحون الصغار يلجؤون إلى استعارة واستئجار الثيران للحرث[4]، والأبقار للدرس، وعليهم ضمانها في حال تعرضها للسرقة أو الموت[5].

والملاحظ أن سكان الريف قد بلغوا درجة كبيرة من الوعي، بأن عرفوا نظام الضمان أو التعويض في حال تعرض مزارعهم للأضرار التي قد تلحق بمحاصيلهم وزروعهم[6]، وكذلك بحيواناتهم كما أشرنا آنفا.

كانت هذه نظرة عامة عن أنواع الأراضي، وأشكال الانتفاع بها في ريف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، مما يؤكد على أن الأرياف كانت منظمة تنظيما محكما، سواء من قبل الدولة أو من قبل الفلاحين، ولاستكمال الصورة بشكل أوضح لابد من التعرض لعنصر هام وأساسي لاقتصاد ومجتمع ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وهذا العنصر هو المياه.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، 8/ 195، 225، 283.

[2] _ **المصدر نفسه**: ص: 223، 226، 227، 8/ 177.

[3] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 551_ 552.

[4] _ فتوى محمد بن مرزوق: المازوني: **الدرر**، ورقة 96و.

[5] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 1/ 389، 9/ 108_ 110، 8/ 263، ابن رشد: **الفتاوى**، 2/ 1011.

[6] _ الفرسطائي: **المصدر السابق**: 5/ 300، الونشريسي: **المصدر السابق**، 7/ 227_ 228.

المطلب الثاني: الري ومصادر المياه والسقاية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

1_ مصادر المياه بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

يقول الله تعالى في محكم تنزيله:﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾[1]، لذلك تعتبر المياه من أهم مقومات استمرار الحياة سواء في الريف أو المدينة، ذلك أن المياه يدور حولها فلك الحياة، ومما لاشك فيه أن المياه تشكل الدعامة الأساسية التي تقوم عليها الزراعة وتربية الحيوان، إذ أن وفرة المياه أو قلتها يؤثر مباشرة على وفرة المحاصيل من جهة، واستمرار حياة المواشي من جهة ثانية.

لقد كان لتنوع المناخ والتضاريس الأثر الكبير في توزيع المياه في المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، وانطلاقا من هذا الطرح، نجد أن هذه البلاد قد شهدت تمايزا من حيث وفرة المياه بين مختلف المناطق، بشهادة الرحالة والجغرافيين الذين تحدثوا عن هذه البلاد، والملاحظ أن هناك تمايز واضح عند ذكر لفظ المياه فقط، أو التفصيل في أنواعها من عيون، أودية وأنهار، بالإضافة إلى الآبار، فيما ذكر من قبل المصادر التي أرّخت لهذه البلاد.

ففيما يتعلق بذكر لفظ المياه فحسب من قبل الرحالة والجغرافيين في القرنين 5و6هـ/11و12م، نجد البكري[2] الذي أشار إلى وجود مياه سايحة بغربي بونة، وكذلك في وهران، كما ذكر الإدريسي[3]، أنه بقرية سنى، يلّل، ريغة، ماورغة، والمناطق المحيطة بكل من: شرشال ، مستغانم، ميلة، حصن سطيف، سوق الخميس، جبل أوراس والمناطق المحيطة به(المسيلة، طبنة، بلزمة)، وتاهرت؛ كانت ذات مياه وفيرة، والملاحظ على الإدريسي قد ركّز على المياه في القرى، أكثر من المناطق المفتوحة والمتسعة.

---

[1] _ **سورة الأنبياء: الآية: 30.**

[2] _ **المغرب**، ص، ص: 55، 70، **أنظر كذلك**: مجهول: **الإستبصار**، ص، ص، 127، 135، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 137.

[3] _ **نزهة المشتاق**: ص ص: 151_ 171، **أنظر أيضا**: مجهول: **المصدر السابق**، ص: 127، 135، 166_ 180، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص: 134.

هذا وقد أشار الحميري[1]، إلى أن كلا من مرسى الخرز ووراكلان كانت كثيرة المياه، كما كانت أرجكوك أيضا ذات مياه وهي مسكونة[2]، والملاحظ أنه كثيرا ما اقترن وجود المياه بوفرة الإنتاج الزراعي، فعلى سبيل المثال لا الحصر، كانت تلمسان عذبة المياه، كريمة المنبت[3]، والأمثلة كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا.

وبالرغم من طابع الجفاف الذي تميزت به صحراؤنا، إلا أنها لم تكن تخلو من بعض المياه التي كانت متواجدة في الواحات وبعض المناطق الرطبة، فمنطقة جغراف مثلا، وهي الآن قرية صغيرة تحمل هذا الاسم بالقرب من ورقلة، كانت ذات مياه كثيرة[4]، ومن هذه الإشارات يمكن أن نستنتج أن معظم مناطق المغرب الأوسط، كانت ذات مياه، أما من حيث الوفرة من عدمها فهي بطبيعة الحال كانت رهينة الظروف المناخية، والتضاريس.

أما فيما يتعلق بمصادر المياه في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، فانطلاقا من المصادر الجغرافية والتاريخية، وكتب النوازل والفتاوى الفقهية، فهي كثيرة ومتنوعة منها: الأمطار، الأنهار والأودية، العيون والآبار، الصهاريج، وسنعالج بإذن الله كل عنصر بالتفصيل خلال العرض الموالي.

1_أ: الأمطـــار

لقد كانت الأمطار هي المصدر الأول والرئيسي للمياه في ريف المغرب الأوسط، وكانت عديمة الانتظام، وكثيرة التذبذب وتختلف كميات الأمطار من منطقة إلى أخرى، وكانت أكثر المناطق أمطارا هي المطلة على البحر المتوسط، وكانت معظم أقاليمها خصبة تزرع على الأمطار[5].

---

[1] _ **الروض المعطار**، ص، ص: 538، 607.

[2] _ الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 173.

[3] _ يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ص: 85، **أنظر أيضا**: الزهري: **الجغرافيا**، ص: 113، العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 124، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص: 137، البلوي: **تاج المفرق**، ص: 6.

[4] _ أبو الربيع سليمان عبد السلام الوسياني: **سير مشايخ المغرب**، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، د، م، ج، الجزائر، 1985م، ص: 82.

[5] _ العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 87، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 109.

هذا وقد كانت المملكة الحمادية تشتمل على أراض طيبة، وجبال جالبة للأمطار، وأودية حافظة لها[1]، ولعل شهادة جغرافيو القرنين 5و6هـ/ 11و12م، خير دليل على ما قلناه، فالبكري[2] يذكر بأن جبل زغوغ المطل على بونة كان كثير الثلج والبرد، كما تنال المرتفعات العالية من تل الأطلس حول قسنطينة والأوراس أمطارا غزيرة[3]، وقد ظلت هذه المناطق تجود بالأمطار حتى ما بعد الفترة قيد الدراسة، فابن بطوطة[4] ذكر بأنه عند نزوله خارج قسنطينة أصابهم مطر جود، وهذا ما يؤكد أن المناخ لا يتغير بسرعة، بل لا يستبعد أنه شبيه بالمناخ السائد في أيامنا هذه.

أما عن المناطق الداخلية والقريبة من الصحراء، فكان معظمها كثير الجفاف ماعدا تلك الواقعة في الهضاب العليا مثل تاهرت التي كانت كثيرة الأنداء والضباب والأمطار، حتى أن الشمس بها قلّ أن ترى[5]، وهو ما يؤكد على رطوبة الهواء وكثرة الأمطار التي ساهمت في انتشار المسارح الملائمة لنشاط الرعي بها.

وفيما يتعلق بالمناطق الجنوبية، فالأمطار بها ناذرة جدا إن لم نقل منعدمة، فقد كانت القبائل في الصحراء تقاسي الجدب والقحط، وكثيرا ما كانت تلجأ إلى تكوين أحلاف فيما بينها[6]، نظرا لصعوبة العيش في هذه البيئة القاسية، التي تتعدى درجة الحرارة بها إلى 50°م نهارا[7].

أمام هذا الجفاف الشبه دائم، كان سكان هذه المناطق يلجؤون إلى صلاة الاستسقاء على غرار باقي المناطق التي ينحبس المطر عنها، مثلما فعل الشيخ أبو محمد اللواتي[8]،

---

1 _ الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، 2/ 187.

2 _ **المغرب**، ص: 55.

3 _ عز الدين أحمد موسى: **المرجع السابق**، ص: 54.

4 _ **رحلة ابن بطوطة**، 2/ 5_ 6.

5 _ الحموي: **معجم البلدان**، 2/ 8.

6 _ أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، ص: 246.

7 _ سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي**، ص ص: 46_ 48.

8 _ هو عبد الله بن محمد بن ناصر بن ميال بن يوسف، وزير الإمام أفلح من أهل الطبقة 11،(أنظر: الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، 2/ 290).

وأهل وغلانة؛ فهطلت أمطارا غزيرة، ودامت أياما عدة[1]، وهذه إشارة مهمة إلى مدى ارتباط سكان الواحات وحاجتهم للمطر، وكيف أن الشيوخ بنفوذهم الروحي، كانوا مرجعية للسكان لطلب الماء وسقوط المطر.

ومن هنا نخلص إلى أن الأمطار كانت المصدر الأساسي لتمويل الموارد المائية الأخرى بالثروة المائية، لذلك نجد أن المناطق الكثيرة الأمطار(الشمال)، غنية بالأنهار والعيون والآبار، أما المناطق الجنوبية فهي قليلة الموارد المائية بسبب قلة الأمطار.

1_ب: الأنهار والأودية

تعتبر الأنهار والأودية من أهم الموارد المائية التي كانت أرياف المغرب الأوسط تعتمد عليها، وعند الحديث عنها يستوجب الإشارة إلى ثلاث نقاط أساسية هي:

أولا: الأنهار والأودية المتواجدة بشرق البلاد تمتاز بالقصر، والسهول المحيطة بها ضيقة، في حين نجد أن أنهار الجهة الغربية دائمة الجريان، كما أن السهول الغربية واسعة فيحاء[2].

ثانيا: لا يوجد تمييز دقيق بين الأنهار والوديان المتواجدة في المغرب الأوسط من قبل الرحالة والجغرافيين، بل حتى المؤرخين، فما يسميه البعض نهرا يسميه الآخرون واديا، ومن أمثلة ذلك أن كلا من الحموي وأبو الفدا قد ذكروا أن لتنس **نهر** يأتيها من الجبال[3]، في حين يتفق كلا من ابن حوقل والإدريسي والقزويني على وصف هذا المجرى بالوادي[4].

ثالثا: معظم الأنهار والأودية إن لم نقل جميعها، المتواجدة بالمغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، قد تكرر ذكرها من قبل جميع الرحالة والجغرافيين، من اليعقوبي حتى مارمول كربخال، وهذا دليل واضح على أن هذه الأنهار والأودية ظلت المورد المائي الأساسي لسكان المغرب الأوسط طيلة العصر الوسيط.

وسنبين خلال هذا العنصر بعون الله تعالى، أهم الأنهار والأودية المنتشرة في ريف المغرب الأوسط من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب منطلقين من تلك التي

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 294.

[2] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الإقتصادي**، ص: 47.

[3] _ **معجم البلدان**: 1/ 48، **تقويم البلدان**، ص: 141

[4] _ **صورة الأرض**، ص: 78، **نزهة المشتاق**، ص: 153، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص: 173.

تمتد على طول الشريط الساحلي، ثم نتطرق إلى تلك المتواجدة بالمناطق الداخلية، حتى الوصول إلى الأنهار والأودية الواقعة بالجنوب رغم قلتها، ومن هذه الأنهار والأودية التي كانت بالقرب من الساحل نجد:

- **نهر بونة**

يوجد هذا النهر بشرق المغرب الأوسط، ويذكر ابن سباهي بشأن هذا النهر:<<**لبونة نهر متوسط يصب في البحر من جهة الغرب عنها**>>[1]، والملاحظ أن قلة مياهه هي التي جعلت الحميري[2]، يقول أن:<<**بغربيها ماء سايح يسقي بساتينها وأرضها**>>، والمرجح أنه نهر "**يدوغ**"، وهو نهر ليس بالكبير ينبع من الجبال المجاورة لقسنطينة، ويسيل بين جبال نحو الشرق إلى أن يصب في البحر قرب عنابة[3]، وذكر مارمول هذا الوادي باسم"وادي يدوش"[4]، والملاحظ على هذا النهر أنه قد أهمل ذكره من قبل أغلب الرحالة والجغرافيين، وربما هذا راجع لقلة أهميته أمام نهر بجاية، وسائر أنهار المغرب الأوسط خلال تلك الفترة.

- **نهر بجاية**

هذا النهر قال عنه البكري[5] أنه:<<**بشرقيها نهر كبير**>>، والواضح أنه كان كثير المياه، في حين نجد الإدريسي[6] يشير إلى أنه:<<**على بعد ميل منها، ويأتيها من المغرب، من نحو جبال جرجرة وهو نهر عظيم، ....، وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا، ويجوز من شاء في كل موضع منه**>>، ولعل وفرة مياهه هي التي جعلت عبد الواحد المراكشي[7]، يذكر بأن ماؤه لا ينقطع صيفا ولا شتاءا.

والملاحظ أن هذا النهر كان له عدة أسماء منها الوادي الكبير[8]، وبضفتيه بساتين متقابلا

[1] _ زادة: **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تحقيق المهدي عبد الرواقية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2006م، ص: 320، أنظر أيضا: أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 141.

[2] _ **الروض المعطار**، ص: 114.

[3] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 252.

[4] _ **إفريقيا**، 1/ 40.

[5] _ **المغرب**، ص: 82.

[6] _ **نزهة المشتاق**: ص: 161، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص: 81.

[7] _ **المعجب**، ص: 449.

[8] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 163.

شرقا وغربا، والشرقي منها يسمى الربيع[1]، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار[2] بأن عليه الكثير من الجنات، وقال عنه ابن سعيد المغربي[3] بأنه في نهاية من الحسن على شاطئيه المنتزهات، ولكثرة طوله وانسيابه، قد انعطف حول بجاية انعطاف السوار، على حد تعبير البلوي[4].

والواقع أن نهر بجاية هو نفسه وادي الصومام(الصمّام)[5]، الذي"**ينبع من جبال متاخمة لإقليم الزاب وينحدر من جبال شاهقة إلى أن يصب في البحر بالقرب من بجاية، ولا يقبض إلا في أيام الشتاء والثلج، ولا يصطاد منه سكان بجاية لقربهم من البحر**"[6].

هذا الوادي كان يسمى قديما ب: "**أمساغا**"، وكانت تمده أودية كثيرة في طريقه مثل وادي سيبوس المار بقالمة[7]، وقد لعب هذا النهر دورا هاما في الملاحة بين من يوجدون في مجال المدينة ومن هم بعيدون عنها في مجال جرجرة، كما فصل بين السكان هنا وهناك باعتباره حاجزا طبيعيا[8]، وهذا النهر الطويل، إذا استثنينا سهول سطيف وحمزة(البويرة حاليا)، فإن جميع المناطق التي تمر بها فروعه تتكون من أرض جبلية صخرية الأمر الذي ينجم عنه فيضان وسيول، لا سيما في فصل الشتاء وخسائر في الأرواح والممتلكات لسكان المناطق المحيطة به[9].

بالإضافة إلى هذا النهر، فقد كانت بجاية تزخر بأودية فرعية أخرى، إذ يذكر الحميري[10] بأن الخشب في أوديتها، والملاحظ على هذه الأودية كانت متنوعة فمنها العذب والمالح،

---

[1] _ أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 137، العمري: **مساك الأبصار**، 91، القلقشندي: **صبح الأعشى**،5/ 109.

[2] _ مجهول، ص ص: 129_ 130.

[3] _ **كتاب الجغرافيا**، ص: 143.

[4] _ **تاج المفرق**، ص: 9.

[5] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 7.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 252، مارمول: **إفريقيا**، 1/ 39.

[7] _ الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 51.

[8] _ موسى لقبال: **ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى**، مجلة الأصالة، العدد 19، 1394هـ/ 1974م، ص: 5.

[9] _ إسماعيل العربي: **بجاية من خلال النصوص العربية**، مجلة الأصالة، نفس العدد والسنة، ص: 81.

[10] _ **الروض المعطار**، ص: 81.

وهذا النوع الأخير كانت عليه قرية تاورت بجهة الجنوب الغربي لوادي بجاية على الطريق ما بين بجاية والقلعة[1]، كما أكّد صاحب كتاب الإستبصار[2] بأنها خصبة ذات أنهار تسقي فحصه.

- **نهر شلف**

هو أطول أنهار الجزائر إذ يبلغ طوله 700 ميل، ومنبعه من جبل بني راشد[3]، وهو نهر مشهور إذ تحدثت عنه جميع المصادر الجغرافية، فهذا اليعقوبي[4] قد قال عنه:**<<أنه يفيض كما يفيض نهر مصر>>**، وقد عدد ابن حوقل[5] المدن والقرى التي يمر بها هذا النهر، منها مدينة غزة وسوق إبراهيم وقرية واريفن، وكذلك مليانة وسوق كرام، ولعلها مزكران التي ذكرها كلا من الوزان ومارمول باسم " مزغران "، وكانت بالقرب من مصب نهر الشلف[6].

أما البكري[7]، فيذكر بأن سوق كرام كانت على هذا النهر، ومستغانم بالقرب من مصبه[8]، وبالضبط من جهة الغرب[9]، أما الإدريسي[10]، فيذكر بأنه يقع بين سوق إبراهيم وباجة، والأولى كانت على هذا النهر، ومن جهته أيضا يذكر صاحب كتاب الإستبصار[11]:**<<هذا النهر يدخل على مدينة الخضراء>>**، وكان يزيد وقت نقص الأمطار[12]، نتيجة ذوبان الثلوج في الجبال.

---

[1] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 163.

[2] _ مجهول: ص: 130.

[3] _ الميلي: **المرجع السابق**، 1/ 50.

[4] **_ كتاب البلدان**، ص: 73.

[5] **_ صورة الأرض**، ص: 79.

[6] **_ وصف إفريقيا**، 2/ 27، **إفريقيا**، 2/ 326.

[7] _ **المغرب**، ص: 61.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 70.

[9] _ أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 136.

[10] _ **المصدر السابق**، ص: 152.

[11] _ مجهول، ص: 170.

[12] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 126.

ويصطاد في مصب هذا النهر كمية وافرة من السمك الجيد، منه الكبير والصغير[1]، ولعل السمك الموجود به يؤكد على ما قاله القزويني[2]، بشأنه:<<**في كل سنة في زمان الورد يظهر فيه صنف من السمك وهو كثير، ويبقى فيه شهرين ثم ينقطع إلى القابل**>>، ونظرا لغزارة مياهه ووفرتها خصوصا عندما يفيض، فقد سماه ابن عذاري بوادي المحن[3]، لأنه كثيرا ما تنكب أحواله وقد شهد هذا النهر على المعركة التي دارت بين باديس وعمه حماد[4]، هذا النهر لا يزال مستمرا إلى اليوم في غزارته ووفرة مياهه.

- **نهر تنس**

لهذا النهر عدة تسميات، يختلف ذكرها من جغرافي إلى آخر، فيسمى تناتين[5]، وتامن[6]، ونتاتين[7]، والذي كان يأتيها من جبال على مسيرة يوم من جهة القبلة، ويستدير بها من جهة الجنوب والشرق ويصب في البحر[8]، وهذا النهر ذكر باسم الوادي من قبل الإدريسي[9]، والقزويني[10] الذي ذكر بأن ماؤها ردئ، في حين وصفه ابن حوقل[11] بأنه "**واد كثير الماء**"، ولعل هذا الأمر يعود بدون شك إلى فترات الجفاف التي كانت تجتاح هذه البلاد من حين لآخر.

أما عن الأنهار والأودية المتواجدة بالمناطق الداخلية والممتدة من شرق البلاد إلى غربها فهي:

---

[1] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 251، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 326.

[2] _ **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص: 148.

[3] _ **البيان**، 1/ 266.

[4] _ النويري: **نهاية الأرب**، ص: 192_ 196.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 60.

[6] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 133.

[7] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 138.

[8] _ البكري: **المغرب**، ص: 60.

[9] **_ نزهة المشتاق**، ص: 153.

[10] _ **آثار البلاد**، ص: 173.

[11] _ **صورة الأرض**، ص:78.

- **نهر تبسة**

يعرف هذا النهر هذا النهر باسم وادي ملاّن[1]، وملاق[2]، وهذا النهر يقل في أيام الصيف وهو صعب المجاز كبير الدهس[3]، وموقعه بين باغاية ومجانة[4]، وبالرغم من أن البكري قد ذكره باسم الوادي إلا أنه يقر في موضع آخر بأنه نهر عظيم يسقي فحص بل، وهو بين مدينتي أبة وتامديت[5].

- **أنهار قسنطينة**

يذكر البكري[6] بأن قسنطينة كانت:<<**على ثلاث أنهار عظام، تجري فيها السفن قد أحاطت بها تخرج من عيون تسمى عيون أشقار...، وتقع هذه الأنهار في خندق بعيد القعر متناهي البعد**>>، والمرجح أن أحد هذه الأنهار هو الذي ذكره مارمول باسم "سوفغمار"[7]، أو السمّار الذي ينبع من جبال متاخمة للأوراس وينحدر عبر بادية جافة ليخرج لإقليم قسنطينة، وهناك يدخل تحت الأرض ويتصل بنهر آخر صغير، ويتوجه نحو الشمال حتى يصب في البحر بعد أن يفصل بين القالة وقصر جيجل[8].

وبوادي القصب الذي يبعد عن جيجل بعشرين ميلا، مسقط واد يأتي من ظهر ميلة مع الجنوب، وينحدر في أسفل جبل سحاو(البيبان حاليا)، وادي يسمى وادي شال، ويمر معه

---

[1] _ مجهول: **الاستبصار**، ص: 163.

[2] _البكري: **المغرب**، ص: 146.

[3] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 163.

[4] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 146.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 53.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 63، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 165، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 139، ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص ص: 141_ 142.

[7] _ **إفريقيا**، 2/ 40.

[8] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 252.

إلى سوق يوسف وهي قرية في سند جبل[1]، وهذا النهر بالذات ذكره الحميري[2]، بأنه واد ويأتيها(قسنطينة)، من جهة الجنوب ليحيط بها من غربيها ويمر شرقا مع دائرة المدينة، ويستدير من جهة الشمال إلى أن يصب في البحر غرب وادي سهر.

لقد كان هذا النهر رمزا لإلهام الشعراء والأدباء، فيقول عنه البلوي[3]:**<<ويخترق بطاحها نهر ينساب فيها إنسياب الأرقم ويدور بها دور السوار بالمعصم، ويغوص ببعض حافاتها فيغيب عن العين ثم يبدو بخارجها كأنه سبائك اللجين، فيسيل على البطاح سيلا، ويتخللها جداوله فتجر بها ذيلا، ونغمتها شربا وتسقى منه بماء واحد ورياه تعود منه بما شئت من صلة وعائد>>**.

والملاحظ من هذه العبارات أن هذا النهر قد شكل الشريان الأساسي للحياة الريفية خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، حيث كان يشرب منه السكان، ويسقي البساتين، ويروي الحيوانات،.....إلخ.

وفيما يتعلق بأشهر الأنهار المتواجدة بوسط البلاد نجد:

- **نهر سهر**

كان هذا النهر ينبعث من عين خرّارة يقال لها عين مخلد، وكانت المسيلة على هذا النهر[4]، أما الإدريسي فلم يسم هذا النهر، وإنما اكتفى بذكر أنه نهر به ماء كثير منبسط على وجه الأرض وليس بالعميق وهو عذب[5]، وهذا النهر كان يمر بغربي المسيلة وتغوص مياهه في رمال الصحراء،..، ويخرج منه نهر يغوص في شماله حيث الأرض السواخة التي

---

[1] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص ص: 167_ 168.

[2] _ **الروض المعطار**، ص: 481.

[3] _ **تاج المفرق**، ص:12.

[4] _ البكري: **المغرب**، ص ص: 59_ 60، أنظر كذلك: أبن سعيد: **كتاب الجغرفيا**، ص: 126، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 139، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 107.

[5] _ **المصدر السابق**، ص: 156.

هي كالصابون، وطالما هلك فيها من أخذ جنوبا عن بلاد الجريد[1]، أما ابن حماد الصنهاجي قد ذكره هو الآخر باسم الوادي[2].

- **نهر مينة**

كان هذا النهر يأتي تاهرت من جهة القبلة، ونهر آخر يجري من عيون تسمى تاتش[3]، أونافس عند الدرجيني[4]، أما المقدسي[5] فيذكر أن:<<**تاهرت قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار في البساتين، ونبعت حولها الأعين**>>، وقد وصف النهر المنبعث من العيون بأنه لا بأس به من حيث الكبر، يتحدد من الجبال المجاورة لتقدمت، ويمر عبر سهل البطحاء ثم يتوجه شمالا إلى أن يصب في البحر[6].

ومن أنهار غرب البلاد نجد:

- **نهر التافنة**

كان هذا النهر يأتي أرشقول من قبليها ويستدير بشرقيها[7]،أما الحميري[8] فذكرها باسم أرجكوك، وأطلق على هذا النهر اسم الوادي وكانت بينها وبين البحر ميلان، ونجد الوزان[9] يذكر بأنه يبعد عن تلمسان بخمسة عشر ميلا، وهو نهر يميل إلى الصغر ويسيل في سفح قصر تمزيزدكت، وتحيط به أراضي جيدة كانت تزرع فيها حاجات الناس[10]، وهذا دليل على وفرة مياه هذا النهر والتي كانت مصدرا لسقي المزارع التي كانت بتلك النواحي.

---

[1] _ ابن سعيد: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[2] _ **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ص: 24.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 66، مجهول: **الإستبصار**، ص: 178، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 126، الحموي: **معجم البلدان**، 2/ 9، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 139.

[4] _ **طبقات المشايخ بالمغرب**، 1/ 41.

[5] _ **أحسن التقاسيم**، ص: 228.

[6] _الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 252، مارمول: **إفريقيا**، 1/ 38.

[7] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 77، مجهول، **المصدر السابق**، ص: 135.

[8] _ **الروض المعطار**، ص: 173.

[9] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص: 12.

[10] _ **المصدر نفسه**، ص: 251.

- **نهر تلمسان**

يطلق على هذا النهر إسم سطفسيف[1]، وسفسف[2]، وكان هذا النهر يصب أيضا في البحر المحيط(البحر الأبيض المتوسط)[3]، ينبعث هذا النهر من أسفل جبل يسمى جبل البغل، ويصب في بركة عظيمة ويسمع لوقوعه فيه خرير شديد على مسافة، ثم ينبثق منها بحكمة مدبرة إلى موضع يسمى المهماز[4]، أو المهزاز[5] إلى ولج الجنان إلى جنان الحاج حتى يصب في نهر أسر، ثم ينصب في نهر تافنة وهو النهر الذي يصل إلى مدينة أرشقول، وهناك ينصب في البحر[6].

والملاحظ أن هذا النهر قد اكتسب شهرة كبيرة نظرا لأهميته في المجال الزراعي، وحتى المنتزهات والمناظر الجميلة، فيقول فيه الشاعر الفقيه أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس، الذي ذكره باسم صفصيف:

واعمـــد إلى الصفصيف يومـــا ثانيا ... وبـــــه تســـل وعنه دأبـــا فاســـأل
واد تـــــراه من الأزاهـــر حالـــيا ... أحســـن به عطـــلا وغيـــر معطـــل
ينســـاب كالأيـــم أنسابا دائـــما ... أو كالحســـام جـــلاه كـــفّ الصيقـــل
فزلالــــه فـــتي كل فـــم قـد حـــلا ... وجمـــاله فـــتي كـــل عيـــن قد جلى
واقصـــد بيـــوم نالـــت فـــوارة ... وبعـــذب منهـــلهـــا المبـــارك فانهـل
تجـــري على ذر لجينـــا سائـــلا ... أحلــــى وأعـــذب مـــن رحيـق سلسل

_ _ _ _ _ _ _ _ _ ... _ _ _ _ _ _ _ _
_ _ _ _ _ _ _ _ ... _ _ _ _ _ _ _

[1] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 76، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 135، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 151/5.

[2] _ الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 20.

[3] _ أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 123.

[4] _ البكري: **المغرب**، ص: 77، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 135.

[5] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 77، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 135.

وكـــم ليلة بتنا بصفصيفـــها سائلا   تسامـــى على الأنهـــار إن عـــدم المثلا[1].

وهناك أنهار بغرب المغرب الأوسط، كانت قليلة الأهمية مقارنة بنهر شلف ونهر تلمسان، ومن هذه الأنهار:

- **نـهر سيرات**

كان هذا النهر يجري بالقرب من قلعة هوارة، وبالضبط تحتها وهو النهر الذي يسقي به فحص سيرات[2]، وكان هذا النهر يمر بموضع يسمى أغبال ما بين تسلة ووهران[3].

- **نـهر يسر**

ذكر ابن سعيد[4] بأن هذا النهر يصب في نهر ملوية، أما مارمول[5] فذكره باسم واد يسّر، وقال بأنه ضخم ينبع من الأطلس الكبير على حدود نوميديا ثم يسيل نحو الشمال ويصب في البحر المتوسط، قرب قرية بني عبد الله في دلس.

هذا وقد زخرت المنطقة الشمالية للمغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، بشبكة هيدروغرافية كثيفة، والتي ذكرها الجغرافيون تارة باسم الأنهار وتارة باسم الأودية بدون ذكر أسمائها، والملاحظ أنها كانت قليلة الأهمية مقارنة بتلك التي قمنا بعرضها آنفا، وسنحاول بعون الله أن نذكر أغلب هذه الأنهار الخاصة بالمنطقة الشمالية، والتي كانت متوزعة عبر مختلف المناطق الريفية.

لقد كانت قزرونة(متيجة)، على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين[6]، وأغلب مياه هذا النهر تدخل الدور والبساتين[7]، كما كان يمر بسوق حمزة نهر[8]، وكان لوهران واد عليه

---

[1] _ يحي بن خلدون: **بغية الرواد**، ص ص: 88_ 89.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص: 70، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 470.

[3] _ مارمول: **إفريقيا**، 2/ 325_ 326.

[4] _ **كتاب الجغرافيا**، ص: 140.

[5] _ **المصدر السابق**، 1/ 40.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 66، مجهول: **الإستبصار**، ص: 132، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 523.

[7] _ المقدسي: **المصدر السابق**، ص: 237.

[8] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

بساتين وأجنة كثيرة[1]، وكانت المناطق المحيطة بها ذات أنهار وأرحاء[2].

أما عند الحديث عن مليانة والخضراء، واللتان كثيرا ما كانتا تذكران معا من قبل الرحالة والجغرافيين، فنجد أن كلتاهما كانتا كثيرتي الأنهار والأرحاء[3]، ولقريتي ريغة والمعسكر أيضا أنهار كثيرة[4]، ولندرومة نهر يسمى ماسين وهو كثير الثمار[5]، وبشرقي آسلن نهر يسقي بساتينهم[6]، وبشرقي تلمسان نهر يسمى بالصخرتين[7]،كما نجد أن الطريق الرابط ما بين تلمسان وتنس كان يعج بالقرى وكلها كانت على أنهر مثل: رحل الصفاصف، إفكان، قرية بابلوت، قرية سني، قرية العلويين وقرية أعبر[8]، حصن ريان بالقرب من هنين[9]، هذا وقد كانت سطيف غزيرة المياه والأنهار أيضا[10].

والملاحظ أن ذكر هذه الأنهار رغم صغر حجمها، دليل على غزارة مياهها ودورها الفعال في الازدهار الاقتصادي وبالتالي الاستقرار السكاني في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين5و6هـ/11و12م، فقد كانت هذه الأنهار تؤدي خدمات جمّة للسكان الريفيين مثل سقي المزروعات، وشرب الحيوانات، ونقع الكتان ، وعصر الزيتون، واتخاد الأرحاء، وغسل الثياب[11]، ولعل أهمية الأنهار في حياة المجتمعات الريفية، هي التي جعلت معظمها ملكا

---

[1] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 88_ 89، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 153.

[2] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 135، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 613.

[3]_ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 88، البكري: **المصدر السابق**، ص: 60، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 154، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 176، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 547، الحموي: **معجم البلدان**، 5/ 283.

[4] _ ابن حوقل : **صورة الأرض**، ص: 88، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 152.

[5] _ البكري: **المغرب**، ص: 80، يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص ص: 88_ 89.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 77، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 135.

[7] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 150، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 139.

[8] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 151_ 157.

[9] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 135.

[10]_ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 166، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 318، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص: 141.

[11] _ فتوى ابن رشد: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 136، 176، 4/ 434.

مشاعا لسكان القرية الواحدة[1]، ولهم مطلق الحرية في التصرف فيها كتقسيم مياهها في السواقي[2]، ليستفيد منها أولئك السكان.

إذا كانت المناطق الريفية الشمالية للمغرب الأوسط، غزيرة الأنهار والأودية، فإن المناطق الوسطى والجنوبية هي الأخرى كانت تتوفر على شبكة نهرية لا بأس بها، والتي كانت أهميتها كبيرة للسكان، خصوصا إذا علمنا أن هذه النطاقات الجغرافية كانت قليلة التساقط، وبالتالي فالأنهار والأودية كانت هي الثروة بذاتها.

بالنسبة **لمنطقة الأوراس**، نجد أن هذه المنطقة قد توفرت على شبكة نهرية كبيرة، مثل نهر تبسة الذي سبق ذكره، بالإضافة إلى أنهار أخرى لم يذكر اسمها من قبل الجغرافيين، فقد كانت قرية مسكيانة وبلد أدنة كثيرة الأنهار،....، وشرقي هذا الأخير وادي مقرة، وبين عين الكتان وأدنة نهر سهر، ونهر النساء ونهر أبي الطويل وعين الغزال[3].

هذا ونجد أن نقاوس أيضا كانت كثيرة الأنهار[4]، وكذلك طبنة كان لها <<**نهر يشق غابتها، والمسمى بيطام، وإذا حمل سقى جميع بساتينها وفحوصها، ويقول أهلها بيطام بيت الطعام لجودة زرعها**>>[5]، كما كانت باغاية في نواحيها أنهار وهي في بساط من الأرض وجبل أوراس مطل عليه[6]، وذكر الإدريسي[7] هذا النهر باسم الوادي، وينحدر من جبل أوراس نهر يشق غابة بسكرة يسقي بساتينها ونخلها، وطوله ستة أميال ومنه شرب أهلها أيضا[8]، كما كانت المناطق الريفية المحيطة بمدينة ابن ماما أو ماما، تزرع على واد عذب المياه[9].

---

[1] _ **المصدر نفسه**، 3/ 228.

[2] _ فتوى السيوري: **المصدر نفسه**، 5/ 90.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص، ص: 50، 144.

[4] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 177، الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 53، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 383.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 51.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 144، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 163، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 76.

[7] _ **نزهة المشتاق**، ص: 177، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 76.

[8] _ البكري: **المغرب**، ص: 53.

[9] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 85، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 157، الحميري: **المصدر السابق**، ص ص: 114_ 115.

وعن **منطقة الزاب**[1]، فكانت هي الأخرى غنية بشبكة هيدروغرافية هائلة من الأنهار والأودية[2]، ففي غربي بنطيوس نهر جار ينحدر إليها من ناحية الجنوب، وكذلك طولقة كانت حولها أنهار، وتهودة التي يصب في جوفها نهر من جبل أوراس[3]، دون أن ننسى نهر سي سي بن دمر بالقرب من مدينة يعلي بن باديس، وهو نهر كبير يسقي كثير من البساتين[4].

وهذه الإشارات دليل على ارتباط المدينة بالريف، حيث أن أغلب الأنهار نسبت للمدن، وهذا طبيعي كون أن المدن أكثر شهرة من الأرياف، غير أن ممارسة النشاط الفلاحي من زراعة وتربية الحيوانات، والذي مركزه الأرياف بالأساس كان يستفيد من مياه هذه الأنهار، بدليل أن أغلب الشهادات التي ذكرها الرحالة والجغرافيون، اقترنت بذكر البساتين أو المزارع التي كانت تقام على ضفاف هذه الأنهار.

كانت هذه أهم الشبكات النهرية التي زخرت بها أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، والملاحظ أنها شكلت عماد الحياة الاقتصادية الريفية، خصوصا إذا علمنا أن النشاط الزراعي وتربية الحيوانات يعتمد أساسا على الأنهار بشكل خاص.

1_ ج: العيـــــون والآبـــــار

تعد كل من العيون والآبار، من موارد المياه المهمة في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وغيرها من الفترات، وقد كانت العيون تستغل في الشرب أو الزراعة، كما أنها تزود الوديان بالمياه خاصة في الصيف، أما الآبار فتستغل على وجه الخصوص في الري[5]، حيث يتم من خلالها استغلال مياه الأمطار[6]، كما كانت هناك بئر

---

[1] _ يذكر الحموي أن الزاب الكبير منه بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس، قال والزاب أيضا كورة صغيرة يقال لها ريغ، والزاب أيضا كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البرّ الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها.(أنظر: **معجم البلدان**، 2/ 139).

[2] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 176.

[3] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 53، مجهول:**المصدر السابق**، ص: 179، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 142.

[4] _ البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 71_ 72.

[5] _ فتوى ابن مرزوق: **الدرر**، ورقة 6ظ.

[6] _ **المصدر نفسه**، الورقة نفسها.

للماشية[1].

وسنحاول خلال العنصرين التاليين تقديم أهم وأشهر العيون والآبار التي زخر بها ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، انطلاقا مما ذكره الرحالة والجغرافيون خصوصا، والمؤرخين والدراسات المتأخرة بشكل عام.

1_جـ1: العيــــــــون

يستفاد من العيون إما بتغذيتها للأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو باستخدامها بديلا عنها في الزراعة والشرب، سواء في منطقة الأمطار أو الأنهار أو الواحات[2]، وقد كان لهذا النوع من الموارد المائية أهمية كبيرة في حياة المجتمعات الريفية للمغرب الأوسط، غير أنها تكون وفيرة في المناطق الشمالية أكثر منها في المناطق الجنوبية.

تفيدنا كتب الجغرافيا والرحلات في التعرف على كثير من العيون التي زخر بها ريف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، من الشرق إلى الغرب على غرار الأنهار والأودية، فبالنسبة لشرق البلاد نجد أن بلاد كتامة كانت بها عين الأوقات معلومة، ويجري ماؤها خمس مرات في اليوم والليلة في أوقات الصلوات الخمس وتنقطع ما بين ذلك[3]، كما كانت الأنهار المحاطة بقسنطينة تخرج من عيون تعرف بعيون أشقار[4].

وكان بزانة خصوص وقرارات للبربر بها عيون ماء[5]، وفحص بجاية هو الآخر كان يسقى من عيون[6]، وواضح من توزيع مناطق العيون أنها تنبجس من المناطق الجبلية المرتفعة مستفيدة من الثلوج على غرار الأنهار والأودية التي تعتمد على الأمطار في مياها.

أما عن المناطق الوسطى فتلك القريبة من الساحل كانت هي الأخرى وافرة العيون أكثر من المناطق الداخلية، فجزائر بني مزغناي كانت بها عيون على البحر يشرب منها أهلها

---

[1] _ ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، 11/ 5.

[2] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 59.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 33.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 63.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 54.

[6] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 130، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 81.

وكانت عذبة[1]، كما كانت جبالها كثيرة العيون أيضا[2]، وبين البر ومرسى بني مزغناي عين عذبة كذلك[3]، ولمتيجة عيون ماء سايحة وطواحين ماء[4]، وكان في برشك عيون يشرب أهلها منها[5]، هذا وقد احتوت كلا من دلس[6]، مليانة[7]، وجبل وانشريس[8]، على عيون كثيرة، شكلت موردا مائيا هاما لسكان ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة.

أما عن المناطق الداخلية الوسطى، فهي الأخرى اعتمدت على هذا المورد المائي، فكان ببلد أدنة وهي على مرحلة من المسيلة، عيون عذبة وهناك عين الكتان وهي عذبة أيضا في مفازة عليها أربع نخلات[9]، ولأهل المسيلة أيضا عيون[10]، كما كانت عين أزفور وهي عين عذبة باردة عليها شجرة عظيمة، وهي آخر حد لصنهاجة تقع على الطريق الرابط بين القيروان ومرسى الدجاج بعد المرور بالمسيلة[11]، وكانت قرية ناسمالت قرية لأزداجة بها سوق وعين عذبة، وهي في طرف جبل ومنها إلى جراوة لعزيزوا[12]، وأشير هي الأخرى كانت تنزل عليها العيون بكيف الأقدام[13]، وفي هذا الصدد يذكر ابن الأثير[14] أن السبب الذي جعل يوسف بلكين يختار هذا المكان هو حصانته وكثرة العيون بها، فاستحسنها واتخذها مقرا لبناء المدينة.

---

[1] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 159، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 132، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 163.

[2] _ الوزان: **وصف إفريقيا، 2**/ 101.

[3] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 82.

[4] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 66، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 538.

[5] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 158.

[6] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص: 42.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 33.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 46، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 360_ 361.

[9] _ البكري: **المغرب**، ص، ص: 52، 144.

[10] _ **المصدر نفسه**، ص: 59.

[11] _ **المصدر نفسه**، ص: 65.

[12] _ **المصدر نفسه**، ص: 72.

[13] _ **المصدر نفسه**، ص: 60.

[14] _ **الكامل**، 7/ 334.

وعلى الطريق الرابط ما بين تاهرت وأشير نجد أن كلا من قرية ابن مجبر، وقرية سطيت، وقرية هاز، كانت عذبة المياه، وشرب أهلها من هذه العيون[1]، وكانت كثيرة الزروع أيضا[2]، وهو دليل واضح على استغلال العيون أيضا في العمل الزراعي لدى سكان ريف المغرب الأوسط.

وبشأن تاهرت التي ذكرها معظم الجغرافيين، فقد كانت كثيرة العيون، فهذا البكري[3] يذكر بأن"**شرب أهلها من عيون تسمى تاتش، وأيضا سقي بساتينها**"، وكان لقرية تاورت التي كانت على الطريق الرابط بين تيهرت والمسيلة، عيون محتفرة ببطن واد يأتيها من جهة المشرق، وكان منها شرب أهلها[4].

وعندما نتجه نحو المناطق الغربية لبلادنا، نجدها هي الأخرى قد احتوت على عدد وافر من العيون، فعلى الطريق الرابط بين تلمسان وتاهرت، توجد قرية تادرة التي كانت في حضيض جبل فيها عين ماء خرّارة، وهي على مرحلة من تلمسان[5]، كما كان بين تلمسان وتنس قرى عيدة منها: قرية سني، وقرية العلويين، وقرية يلّل، وكلها كانت ذات مياه وعيون[6].

كما كان بالمناطق الريفية الغربية القريبة من الساحل أيضا عيون كثيرة؛ فنجد مستغانم كانت ذات عيون[7]، وبقربها عين ماء تسمى عين كردي[8]، ولوهران أيضا عيون كثيرة[9]، وبتلمسان ماء يجلب إليها من احدى العيون التي تسمى لوريط بينها وبين المدينة ستة

---

[1] _الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 157.

[2] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 85_ 86 .

[3] _ **المغرب**، ص: 60، أنظر أيضا: مجهول: **الاستبصار**، ص: 178، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 126، الحموي: **معجم البلدان**، 2/ 9.

[4] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 157.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 163.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 151_ 152.

[7] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 70.

[8] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 22.

[9] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 135، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 153، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 613، أبو الفدا: **تقويم البلدان** ، ص: 134.

أميال[1]، ومن المؤكد أن المناطق الريفية القريبة من هذه النواحي كانت تستفيد من هذه العين وغيرها.

هذا وقد ذكر الإدريسي[2]، بأن الطريق الرابط ما بين تلمسان ووهران، توجد قرية ريغة التي كانت ذات مياه كثيرة وعيون مطردة، وكذلك بقرية ماورغة كانت بها مياه جارية، والإشارات التي ذكرها الإدريسي تؤكد على نقطة هامة ومحددة للاستقرار البشري ألا وهي المياه، فما يفتأ يذكر قرية إلا ويشير إلى أن شربها من عيون، وسقي مزارعها منها أيضا.

وفيما يتعلق بمنطقة الأوراس والجنوب الجزائري، فقد توفرت مناطقها الريفية على شبكة لا بأس بها من العيون والمياه، فقد كانت قرية مسكيانة قرية عامرة ذات عيون وفيرة[3]، وبباغاي عيون وهي تحت جبل أوراس[4]، والمناطق المحيطة بتيفاش كانت ذات عيون ومزارع كثيرة[5].

وتظهر الزيادة في العيون في الشمال الإفريقي في أواخر ديسمبر، أي مع تمكن الأمطار في هذا الفصل، ويربط ابن خلدون[6]، بين قيام واحات البلاد الجريدية ووراكلان وتدفق مياه الأودية نحو الصحراء وغورها فيها، ولعل إشارته هذه توحي أو تفسر بأن عيون هذه الواحات من تلك الأمطار التي تسيل في الأودية[7].

أما عن بلاد الزاب فهي أيضا كانت تتوفر على مياه سايحة، وعيون كثيرة[8]، وأغلب المناطق الريفية المحيطة بالمدن الزابية كانت تستغل مياه العيون في مختلف الأعمال

---

[1] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 76، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 135، ذكر صاحب **كتاب الإستبصار** هذه العين **باسم**" **يوريط**"، ص: 177.

[2] _ **المصدر السابق**، ص: 154.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 195، أنظر كذلك: ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 84.

[4] _ مجهول: **الاستبصار**، ص: 163.

[5] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 146.

[6] _ **العبر**، 6/ 102.

[7] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 60.

[8] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 136، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 281.

الفلاحية، فعلى سبيل المثال كانت الغدير بها عين ثرّة عليها الأرحاء، وتحتها عين خرّارة ومن هناك ينبعث نهر سهر[1].

والملاحظ أن سكان الأرياف كانوا يقومون بجلب العيون من الأماكن البعيدة في بعض الأحيان، وغالبا ما كان يحدث التصادم بين السكان عند مرور عين البعض على أرض البعض الآخر، وقد أجاز الفقهاء بمنع هؤلاء الأخيرين أن شاؤوا ذلك[2].

1ج2_ الآبـــــــار

شكلت الآبار موردا مائيا هاما في ريف المغرب الأوسط، وكان حفر هذه الآبار يتم في المناطق التي تنعدم فيها سيول المياه والأمطار، كمنطقة وارجلان(واركلان)، التي كان يحفر فيها الرجل بئرا بأزيد من مئة دينار، لأن أرضهم صلبة والماء بعيد يدرك على أزيد من مئة قامة، وهكذا جميع آبارهم وبها يسقون جناتهم وزروعهم ونخلهم[3]، كما كان أهل هذه المناطق يلجؤون إلى استغلال الفوارة والمياه الجوفية، التي تفصلها عن السطح طبقة رقيقة صلبة، فيتم استخراجها بحفر آبار عميقة ويتعامل بحذر مع المياه المتفجرة بعد كسر تلك الطبقة.

والملاحظ أنه كانت هناك بعض المناطق التي لا يصلح فيها حفر الآبار، فقد كان موضع أزلج بالقرب من جغراف، به أبيار يحفرونها ويستقون منها فلا يكاد يستقيم لسكانها الحفر لضعفها وانهدامها[4]، ولتفادي تسرب مياه الآبار إلى الأرض، كان السكان يلجؤون إلى حفرها في الصخور، أو تبطينها بخشب العرعار[5]، أو بالعشب وغيره ولكن هذا الأمر غالبا ما كان يخلف آثار على طعم الماء ورائحته حسبما أشارت إليه بعض النوازل[6].

لقد زخرت أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين5و6هـ/11و12م، بالآبار كمورد مائي جد مهم، وقد كانت منتشرة شرقا وغربا، شمالا وجنوبا بالرغم من قلة الإشارة إليها مقارنة

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 427.

[2] _ سحنون: **المدونة**، 4/ 471.

[3] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 600.

[4] _ الوسياني: **السير**، ص ص: 82_ 86.

[5] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 61.

[6] _ فتوى ابن رشد: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 134، 136.

بالأنهار والعيون، غير أننا حاولنا الخروج برؤية ولو بسيطة عن وجود هذا النوع من مصادر المياه.

وكانت قرية آجر ماؤها من الآبار ولهم زروع كثيرة[1]، كما كانت ببونة الحديثة بير على ضفة البحر، منفورة في حجر صلد يسمى بير النثرة ومنها يشرب أكثر أهلها[2]، وأضاف صاحب كتاب الاستبصار[3] أن ماء هذه البئر كان أعذب ماء، وكان شرب أهل جزائر بني مزغناي من آبار[4]، كما كان بشرشال مياه جارية وآبار معينة عذبة[5]، وبالرغم من أن هذه الإشارات غير مقترنة بالأرياف، لكن من دون شك أن المناطق الريفية المحيطة كانت هي الأخرى مستفيدة من مياه هذه الآبار.

ونجد في مواضع أخرى إشارات واضحة إلى استفادة الأرياف من هذه الآبار، فكان لأرشجول آبار عذبة، لا تغور تقوم بأهلها وبمواشيهم، ولها ربض من جهة القبلة[6]، كما كان ببلزمة وهي حصن لطيف، بها آبار طيبة وماؤها أيضا غدق وهو في وسط فحص أفيح[7]، وشرب أهل باغاي أيضا من وادي ومن آبار عذبة[8]، وكانت قرية تادرّة على الطريق بين تلمسان وتاهرت في فحص أفيح، بها بئران ماؤها معين[9].

ولم تكن الآبار تستغل في الشرب وسقي المزروعات وشرب المواشي فحسب، وإنما كانت تستخدم أيضا في طحن الأرحاء، فقد كان بمليانة آبار تطحن عليها الأرحاء[10]،

---

[1] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 85_ 86.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص: 55.

[3] _ **المصدر السابق**، ص: 127.

[4] _ الإدريسي: **نزهة**، ص: 159، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 163.

[5] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص:159، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 340.

[6] _ البكري: **المغرب**، ص: 77.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 146.

[8] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 171.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 177، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 76.

[10] _ الحموي: **معجم البلدان**، 5/ 227.

والملاحظ أن آبار ريف المغرب الأوسط، لم تكن كلها عذبة صافية بل كان هناك آبار ملحة مثل آبار بنطيوس التي كانت ملحة حسبما أشار إليه البكري[1].

لقد كانت الآبار موردا مائيا هاما لسكان الريف، لاستخداماتها العديدة سواء للشرب أو الري، هذا وقد استعملت الدواليب لرفع المياه من الآبار[2]، وكانت تسحب بالحبال[3]، التي كثيرا ما كانت تشكل مصدر ازعاج لأهل الريف حين تترك طعم نشارة الأرز أو غيره في ماء البئر كما أشرنا آنفا.

وعلى غرار العيون والسواقي، فقد كانت الآبار أيضا يتملكها الأشخاص بمفردهم، فقد أجاز مالك تملكها، إذا قام الرجل بحفرها في داره أو أرضه، وله الحرية في بيع مائها، أما بئر الماشية فلا يجوز بيعها ولا بأس ببيع بئر الزرع[4].

1_د: البـــــرك والبحيـــــرات والينابيــــع

شكلت البرك[5] والبحيرات والينابيع موردا مائيا هاما، إلى جانب الأنهار والعيون والآبار، سواء لاستعمالاتها في الشرب أو السقي أو في الأرحاء، وبالرغم من الإشارات القليلة جدا لهذا النوع من المياه، من قبل الرحالة والجغرافيين إلا أنها كانت ذات قيمة بالرغم من قلتها.

يذكر البكري[6]، أنه بشرق قبر مادغوس(بجبل شامخ)، توجد بحيرة مادغوس التي كانت مجمع لكل طائر، كما كان نهر سطفسيف يصب في بركة عظيمة، ويسمع لوقوعه فيه خرير شديد على مسافة[7]، وهذه الإشارة مهمة إلى استغلال البرك من قبل سكان المنطقة أنذاك.

هذا وكان بغربي بونة في دورها عشرة أميال، وفيها سمك كثير جليل وطائر الكيكل[8]، وهنا تظهر قيمتها وثراءها بالثروة الحيوانية، التي عادت بالفائدة على سكان ريف المنطقة،

---

[1] _ **المصدر السابق**، ص: 72.

[2] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 63.

[3] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 136.

[4] _ سحنون: **المدونة** ، 4/ 468، 472، ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، 11/ 11.

[5] _ البركة هي الحوض والأرض المنخفضة التي تتجمع فيها المياه، وجمعها برك.(أنظر محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص: 88).

[6] _ **المغرب**، ص: 50.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 79، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 135.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 115، مجهول: **الإستبصار**، ص: 127.

ولعل هذه البركة هي التي ذكرها روبير برنشفيك[1] باسم بحيرة فنزازة بضواحي عنابة، كما انتشرت في جنوب المغرب الأوسط، آبار كثيرة تعرف بآبار العسكر، مبنية بخشب العرعار بالقرب من مدينة يعلى بن باديس[2].

والملاحظ أن البرك لم تكن مصدرا للمياه والثروة الحيوانية والنباتية فحسب، وإنما كانت مصدرا لإلهام الشعراء الذين سحرتهم برونقة وصفاء مياهها، فهذا ابن حمديس يصف بركة في بجاية، ووصفه لها إشارة إلى أهميتها الآنفة الذكر في إيوائها للعصافير والأشجار والمناظر الخلابة[3].

بالإضافة إلى البرك والبحيرات، نجد انتشار الجداول والينابيع في معظم الجبال الريفية، فقد لمرسى شرشال أحساء[4] ماء، بشرقيه وبغربيه[5]، كما كان بأعلى جبل أوراس بعض الجداول تنتهي إلى سبخات تجففها الشمس ويترسب فيها الملح[6]، كما كانت بواحات ورقلة تنساب عبرها جداول هامة في معظم الأوقات[7].

2_ نظام الري وتخزين واستغلال المياه بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

يعتبر الري الريفي والزراعي ذا أهمية كبيرة، وتتدرج هذه الأهمية من الشمال إلى الجنوب تدرجا يتناسب وأهمية الماء في الزراعة، ذلك أن الري يعتبر أهم عنصر تقوم عليه الزراعة،

---

[1] _ **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 1/ 319.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 72.

[3] _ مولاي بلحميسي: **بجاية في حدائق الكتب، نصوص عربية وفرنسية**، مجلة الأصالة، السنة 4، العدد 19، صفر_ ربيع الأول/ مارس_ أبريل، 1394هـ/ 1974م، ص ص: 108_ 109.

[4] _ الأحساء هي الينابيع، ومفردها حسي، والحسي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وقيل هو غلظ الأرض فوقه رمل يجتمع فيه ماء السماء، والجمع أحساء وحساء، والحسي الرمل المتراكم أسفله جبل صلد، فإذا مطر المطر أمسك الماء، فإذغ اشتد الحر نبث وجه الرمل فنبث الماء فنبع باردا عذبا.(أنظر: **ابن منظور: لسان العرب**، 1/ 193).

[5] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 82.

[6] _ مارمول: **إفريقيا**، 2/ 390.

[7] _ **المصدر نفسه**، 3/ 167.

خصوصا في مناطق ريفية كبلادنا التي كانت تعيش على ما تجود به الأمطار في تلك الفترة، لذلك كان لابد من الاهتمام به اهتماما بالغا.

لقد امتلك المغرب الأوسط منظومة زراعية متطورة مكنته من تحقيق ازدهار اقتصادي ملحوظ، وبالرغم من أن الفترة قيد الدراسة قد شهدت فوضى واضطرابات عديدة، غير أن الإنتاج الزراعي والحيواني، وكثافة القرى وبروز مراكز عمرانية ريفية جديدة دليل على ذلك، ولعل كتب الجغرافيا والرحلات على وجه الخصوص تشهد على هذا.

كما اهتم حكام الدول خلال القرنين5و6هـ/11و12م، اهتماما كبيرا بالمياه ونظام الري، فنجد حكومة بني زيري قد عملت على حفر القنوات والترع للري[1]، كما أن الأمير المنصور بن الناصر الحمادي قد أولى هو الآخر عناية كبيرة بالري، فأجرى المياه وأمر بغرس البساتين[2].

هذا وقد عمل الموحدون على استنباط المياه من باطن الأرض وتوصيلها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة[3]، إذ أنشأ هؤلاء الموحدون بحائر كثيرة في عدة أماكن ببلاد المغرب[4]، فقد قام أبو يوسف يعقوب ببناء القناطر والجباب للماء[5]، كما أقام ابنه الناصر منشآت مائية في كل من تلمسان وقسنطينة[6]، ومن المجهودات أيضا التي قام بها الموحدون في مجال الري هو جر المياه من المنحدرات الجبلية بعد تنقيتها من الحجارة والأشجار مثلما حدث في سهول بني راشد[7]، بنواحي تلمسان ولعل هذا ما جعل هذه الأخيرة تشتهر بكثرة

---

[1] _ عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ**، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ/ 1983م، ص ص: 94_ 95.

[2] _ عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، 1/ 284.

[3] _ محمد بن عميرة: **توصيل المياه وتخزينها ببلاد الغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين**، مجلة دراسات تراثية، العدد 2، الجزائر، 2008م، ص: 150.

[4] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 187.

[5] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 218، السلاوي: **الإستقصا**، 2/ 177_ 178.

[6] _ ابن خلكان : **وفيات الأعيان**، 7/ 15_ 16.

[7] _ ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص: 435.

قنواتها التي تستمد مياهها من الوادي، وتتشعب تلك القنوات لتروي المزارع والبساتين خارج المدينة[1].

2_أ: نظام الري بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

إن اهتمام سكان أريافنا في القرنين5و6هـ/11و12م، بنظام الري دليل قاطع على تملكهم لهذا المورد المهم بالنسبة للحياة الاقتصادية والاجتماعية الريفية، كما أن تحديد الفقهاء للأحكام الشرعية الخاصة بحريم السواقي[2]، والعيون[3]، والآبار[4]، والأودية[5]، دليل على خضوعها لقوانين تنظيمية خاصة بها في الريف.

كما كان أهالي الريف يسيرون حياتهم الاقتصادية وفقا للأعراف والتقاليد التي كانت سائدة بينهم، إذ كانوا يتبعون نظام المناوبة(النوبة) في ري أراضيهم[6]، والملاحظ أن قسمة المياه كانت جائزة في جميع الأنواع، وسواء في ذلك الماء الجاري أو ماء المطر، وكذلك الرواكد من المياه، مثل الآبار والعيون والمواجل والأحواض والأوعية، غير أن القسمة لا تجوز في الرهن أو الوصية[7].

---

[1] _ حسن علي حسن: **الحضارة الإسلامية**، ص: 114.

[2] _ حددت **حريم الساقية** بثلاثة أذرع من كل جانب، ومنهم من يقول مقدار ما يوضع من تراب كسبها.(أنظر: **الفرسطائي: القسمة وأصول الأراضين**، 7/ 444).

[3] _ **حريم العيون** اختلف ما بين القديم والحديث، فالقديمة حددت ب 100 ذراع، ومنهم من يقول 40 ذراعا، ومنهم من يقول 50 ذراعا، والمحدثة ب 40 ذراعا، ومنهم من يقول ب 25 ذراعا، وآخرون ب 20 ذراعا.(أنظر: **المصدر نفسه**، ص: 445).

[4] _ **حريم الآبار** اختلفت هي الأخرى ما بين القديمة والحديثة، فالقديمة حددت ب 40 ذراعا ومنهم من حددها ب 20 ذراعا، أما المحدثة فإذا كانت المواشي تسقى منه أن يكون حريمها 40 ذراعا من الناحية التي يسقون منها المواشي، وإذا كانت المواشي تسقى من نواحيها فحريمها 40 ذراعا أو 20 ذراعا أو مقدار ما تقف فيه المواشي في الوقت الذي تسقى فيه، وينظر كذلك إلى مواشي العامة ومواشي الخاصة.(أنظر: **المصدر نفسه**، ص ص: 445_ 446).

[5] _ بالنسبة **لحريم الوادي**، إذا كان فحلا فمقداره 40 ذراعا، ومنهم من يقول أن تضم إليه شعوبه وتلاعه، وأما أصحاب الوادي فلا يمنع كل واحد منهم من عمران ما كان له في ذلك المصب،......، ويحسب حريم الوادي من حيث ما يبلغ ماؤه في وقت السيل وله الحريم ما لم يدخل في المرج.(**أنظر المصدر نفسه**، ص ص: 446_ 448).

[6] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 3/ 1604_ 1605، الونشرسي: **المعيار**، 8/ 416، 10/ 275.

[7] _ الفرسطائي: **المصدر السابق**، 1/ 89.

وقسمة الماء الجاري يكون بالساعات والأوقات والليالي والأيام[1]، أما ماء المطر فلابد أن يجمع في مسقى واحد حتى ينتهوا به إلى عمارهم فيقسمونه بالمقاسم، على قدر ما لكل واحد من الأرض والعمارات[2]، هذا ونجد أن الزرع الذي غرس أولا، إذا كان في مكان عال يسقي بقية الزرع في الأسفل[3]، واقتسام العيون على دول معلومة والسلف بعضهم لبعض[4]، واقتسام المياه حسب أيام الأسبوع[5].

كما جرت الأعراف عند أهالي الريف في المغرب، على تحمل نفقات خدمة الساقية وتطهير مجراها عند الحاجة إليها أثناء الري، وكانت هذه النفقات تقتصر على أصحاب المزارع الذين ينتفعون بها في تلك السنة دون غيرهم[6]، ولا يجوز لصاحب الأرض الذي يمر الماء على أرضه أن يمنعها عن أرض جيرانه، إذا حدث لهم تعطيل ولم يصل إلى أراضيهم[7].

وما يدل على أن الري كان منظما تنظيما دقيقا، أن المزارعون في تلمسان كانوا يتعاونون على سقاية الأرض على نحو مرتب، فقد كان بتلمسان عين ماء مشتركة بين أهلها يسقون منها بساتينهم ومزارعهم، فمنهم من كان يروي أرضه ليلا ومنهم من كان يرويها نهارا، وجماعة كانت تروي من الغداة إلى الليل وأخرى من الزوال إلى العصر[8].

والملاحظ أيضا أن سقي المزروعات اختلف مابين ماء المطر، وماء الأنهار أو الآبار، ذلك أن سكان الأرياف والبوادي قد اهتموا بتقدير قيمة زكاة مزروعاتهم حسب كيفية سقيها، سواء بالعير أو بالدلو من البير ....إلخ[9]، كما أن الماء الممتلك بين القوم فهو على

---

[1] _ **المصدر نفسه:** ص: 90.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 92.

[3] _ فتوى ابن رشد: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 4/ 420، الونشرسي: **المعيار**، 10/ 274.

[4] _ فتوى عياض: **المصدر نفسه**، 8/ 394.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 416.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 273.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 41.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 416.

[9] _ محمد بن ناصر الدرعي: **الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية**، جمعها عنه محمد بن القاسم الصنهاجي، مخطوط ضمن مجموع 7633ف 1602/ 1، مكتبة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، ورقة 56 و.

الحظوظ، ويقسم حسب نصيب كل واحد منهم[1]، مثل نظام الفقارة على سبيل المثال المتواجدة في الجنوب الجزائري، أما إذا كان الماء غير متملك فحكمه أن تسقى به الزروع التي في الأعلى ولاحق فيه للأسفل حتى يسقي الأعلى، كما أشرنا إلى ذلك آنفا.

2ب_ أدوات الري والتقنيات المائية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

كثيرا ما تشير المؤلفات الجغرافية والنوازلية، إلى استخدام الأنهار والأودية، العيون والآبار في السقي، دون تفصيل حول الأدوات المستعملة من ذلك ما ذكره صاحب كتاب الاستبصار[2]، بشأن بونة التي كان بغربها ماء سايح يسقي بساتينها، كما كانت بجاية على فحص يسقى من أنهار وعيون[3]، وكان نهر مليانة يسقي أكثر مزارعها وجناتها[4]، ولأقاليمها حظ من سقي نهر شلف[5].

وكان لتلمسان أنهار[6]، التي استغلت أيضا في صهاريج وحياض لسقي الغياض والبساتين[7]، كما كانت قرية بابلوت على الطريق الرابط بين تلمسان وتنس على نهر ليس به أرحاء وتسقى منه المزارع[8]، ومن المناطق الريفية التي استفادت أيضا من سقي الأنهار نجد كلا من أرياف طبنة[9]، وتاهرت[10]، وقلعة هوارة بالقرب من تاهرت[11]، وكذلك مزارع قرية

---

[1] _ الونشريسي: **المصدر السابق،** 10/ 274.

[2] _ **المصدر السابق،** ص: 127.

[3] _ **المصدر نفسه،** ص: 130، انظر أيضا: الحميري: **الروض المعطار،** ص: 81.

[4] _ **المصدر نفسه،** ص: 547.

[5] _ الإدريسي: **نزهة** ، ص: 154، الحميري: **المصدر السابق،** ص: 547.

[6] _ البكري: **المغرب،** ص: 76.

[7] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق،** ص: 86.

[8] _ الإدريسي: **المصدر السابق،** ص: 151.

[9]_ البكري: **المصدر السابق،** ص: 51.

[10] **_ المصدر نفسه،** ص: 66، الدرجيني: **طبقات المشايخ** ، 1/ 41.

[11] _ البكري: **المصدر السابق،** ص: 70.

دارست على الطريق الرابط بين تاهرت وأشير[1]، بالإضافة إلى أرياف بنطيوس[2]، وبسكرة التي كان لها نهر يشق غابتها المنحدر من جبل أوراس ويسقي بساتينها[3].

وبالرغم من قلة الإشارات التي تتحدث عن أدوات الري إلا أنه يمكن استنباط بعض المعلومات من هنا وهناك، فقد كان يتم استغلال المياه في الري الزراعي عن طريق النواعير والسواقي التي تدور بها الإبل والبغال والبقر والخطّارات[4]، بالإضافة إلى الأحواض[5]، والدواميس[6]، والأقباء[7]، والجباب والمواجل والصهاريج، وكان يتم رفع الماء من الآبارعن طريق الدواليب[8]، وسنتناول بالتفصيل هذه الوسائل كما يلي:

- **الجباب والمواجل**

لقد كانت مياه الأمطار تخزن بمختلف الأساليب، ومنها تحويل مياه السيول عن طريق السواقي أو احداث مجاري مائية في سطوح منازلهم، أو جلب المياه في قواديس أو سواني من أنهار وعيون إلى مختلف المناطق[9]، ومن أمثلة ذلك نهر سطفسيف الذي كان يصب في بركة عظيمة، ثم ينبثق من تلك البركة بحكمة مدبرة، إلى موضع يسمى المهزاز فيسقي هناك مزارع وأولاجا كثيرة، تسمى أولاج الجنان وتلك المواضع من أجلّ تلك البلاد[10]، وهذا دليل واضح على تطور التقنيات المستعملة في ري المزارع الريفية خلال العصر الوسيط.

إن جريان المياه السطحية أو امتلاء مجرى واد فجأة بسبب مرور إعصار أو حتى في أكثر المناطق جفافا، وبعد الفيضان تبقى كمية من الماء مدة أطول وبتغطيتها تصبح ماجلا يفيد قطعان الماشية، ولكن مياهه غير كافية للزراعة وعلى العكس من ذلك إذا كان بالإمكان

---

[1] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 157.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 72.

[3] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 114.

[4] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ص: 6.

[5] _ البكري: **المغرب**، ص: 31.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 44.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 48_ 49.

[8] _ عز الدين أحمد موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 63.

[9] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 159.

[10] _ **المصدر نفسه**، ص: 135.

سد مجرى الوادي، وعندئذ تحجز كميات معتبرة من الماء الذي يمكن استخدامه في الري[1]، وكان يلجأ إلى حفر المواجل في معظم المناطق الريفية لسقي المزروعات والمواشي، مثلما فعل أهل أرشكول الذين أنشأوا مواجل كثيرة التي استخدمت لسقي المواشي والسوائم[2].

وللاستفادة أكثر من المياه في الريف فقد أجاز مالك قسم المواجل[3]، وقد جرت العادة على كراء هذا النوع من وسائل الري من قبل السكان الريفيين[4]، وما يدل على تملك أهل الريف للمواجل أيضا هو تحبيسها[5]، وهو الأمر الذي كان كثيرا ما يثير النزاعات بين الورثة وعامة الناس الذين حبست من أجلهم هذه المواجل[6].

- **الصهاريـــــج**

لقد أشار الحميري[7]، إلى وجود صهريج كبير في طبنة الذي يقع فيه النهر الذي يشق غابتها، ويسقى منه جميع بساتينها وأرضها، كما أشار القزويني[8] إلى أن أكثر مياه إفريقية من الصهاريج، وقد جعل اسم إفريقية شاملا لجميع بلاد المغرب، حيث ذكر أن:"**بها نهر الشلف**".

هذا وقد لاحظ موسى لقبال وجود نوع من الصهاريج العميقة نسبيا عند جوانب بعض الأنهار في الأرياف الجزائرية تسمى: **خنقة**(جمعها خنق)، يستحم فيها الأطفال أحيانا مع الإشارة إلى أن غياب المعلومات الخاصة بهذه الأنواع من الصهاريج في المصادر العربية، لا يسمح للباحث أن يتأكد من أنها كانت تستغل في الفترة الممتدة من الفتح إلى نهاية الموحدين[9].

---

[1] _ محمد بن عميرة: **المرجع السابق**، ص: 168.

[2] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 79.

[3] _ ابن سهل: **مذاهب الحكام**، ص: 538.

[4] _ فتوى المازري: الونشريسي: **المعيار**، 8/ 277، 429.

[5] _ **المصدر نفسه**، 7/ 235.

[6] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[7] _ **الروض المعطار**، ص: 389.

[8] _ **آثار البلاد**، ص: 148،

[9] _ محمد بن عميرة: **المرجع السابق**، ص: 169.

- **الســـوانـــــي**

ورد ذكر السواني في النوازل، كوسيلة لاستغلال المياه سواء للشرب أو الوضوء،...إلخ وقد سئل ابن رشد عن جواز الوضوء بماء السواني التي فيها طعم نشارة الأرز[1]، كما انتشرت السواني على أطراف البساتين التي كانت تتغذى من مياه الأنهار والأودية[2]، وقد شاع حفر السواني والقنوات لنقل المياه إلى المسافات البعيدة[3]، وتوصيل المياه إلى القرى في قنوات خاصة[4].

- **الطواحيـــــن والنواعيــــــر**

كانت هي الأخرى من الوسائل الناجعة لاستغلال المياه بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، بشهادة معظم الرحالة والجغرافيين، ففي بجاية صنعت نواعير على نهرها الذي له منزه عظيم[5]، وبمتيجة طواحين ماء[6]، وكان لمليانة أنهار تطحن عليها الأنهار[7]،ويذكر البكري[8] أنه كان بمستغانم طواحين ماء، ولتلمسان أيضا طواحين أقيمت على أنهارها[9]، وهذه الشهادات كلها تدل على بلوغ أريافنا على درجة كبيرة من التطور والتنظيم والتي كانت تستغل هذه الطواحين في سقي المزروعات وطحن الأرحاء،...إلخ.

- **الفقـــــــــارة**

يعتبر نظام الفقارة من التقنيات المائية التي اعتمدت عليها أريافنا، وهذه التقنية وإن

---

1 _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 136_ 137.

2 _ **المصدر نفسه**، ص: 137.

3 _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 62.

4 _ ابن رشد: **الفتاوى**، 3/ 1614.

5 _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 130، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 81.

6 _ **المصدر نفسه**، ص: 523.

7 _ **المصدر نفسه**، ص: 547.

8 _ **المغرب**، ص: 70، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص: 558.

9 _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 76.

اقترن ذكرها بالمناطق الجنوبية، غير أن روبير برنشفيك[1] ذكر أنه توجد في وهران تقنية من الأشغال المائية تتم في سراديب موجودة تحت الأرض لالتقاط وجلب المياه، تعرف باسم "الفجارات"(جمع فجارة)، وتتضمن على مسافات متغيرة بعض الفتحات.

واحتوت المناطق الريفية الجنوبية أيضا على هذا النوع من الوسائل المائية، وقد اشتهرت منطقة توات بهذا النظام، الذي توارثته الأجيال منذ القديم، وكان الإنسان الصحراوي يفكر دائما في امتلاكه للماء قبل الأرض، إذ أنه سرعان ما يشرع في شراء حصته من مياه الفقارة، بمجرد انضمامه إلى مجموعة سكانية قصد ممارسة نشاطه الزراعي الضروري للحياة، بالرغم من أن حصته الخاصة بالشرب والعادات المنزلية، مضمونة مجانا بحسب العرف[2]، والمتتبع لحركية القصور وتداخلها داخل الخط المعروف بالمنطقة، سيلاحظ أثر الفقارة على استقرار أو هجرة السكان من القصور[3].

كانت هذه أهم التقنيات الزراعية وأدوات الري التي استخدمت في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، بالرغم من قلة المادة الخبرية المتعلقة بها، والملاحظ أن استغلالهم لهذه المياه كان كثيرا ما يؤدي إلى منازعات بين السكان وهو ما سيتم معالجته خلال العنصر الموالي.

2جـ_ النـزاع على المياه بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م.

إن استغلال المياه كثيرا ما كانت تتسبب في حدوث منازعات بين المزارعين والفلاحين، وتشهد النوازل على هذه المنازعات التي كانت ترد على الفقهاء، حول أحقية كل واحد منهم في السقي قبل الآخر، أو إنشاء سواقي وعيون جديدة،...إلخ، وكثيرا ما كان الفقهاء يسعون إلى حل هذه الخلافات من خلال فتاويهم، نظرا لأهمية المياه في الحياة الريفية.

---

[1] _ **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**:1/ 219.

[2] _ أحمد جعفري: **نظام الفقارة وآلية توزيع الماء في منطقة توات(ولاية أدرار)، وأثره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الإقليم**، مجلة دراسات تراثية، العدد 1، جامعة الآثار، الجزائر، 2007م، ص، ص: 119، 122.

[3] _ **المرجع نفسه**، ص: 123.

تفيدنا النوازل الفقهية أكثر من أي مصدر آخر حول هذه النزاعات، مثل النزاع على مياه الأودية، وبالضبط بين القاطنين في أعلى وأسفل الوادي[1]، بل حتى على العيون ومناطق تواجد الرحى[2]، فكثيرا ما كان يحدث الخلاف بين أصحاب الأراضي والسواقي، وأصحاب الرحى[3]، لاعتمادهم على الماء في إدارة الرحى من أجل طحن الحبوب.

والملاحظ أن النزاع لم يقتصر على ري المزروعات والأرحاء فحسب، بل تعلق الأمر أيضا بصحة الإنسان وبدنه، فكثيرا ما كان الناس يحتجون على مصالحهم وصحتهم، عند بناء كراسي الحدث على هذه المساقي[4]، لقذارة المواضع المتواجدة بها هذه الأخيرة، ولكثرة النزاعات بين الأفراد حول المياه، خصوصا عند احداث مساقي جديدة من واد متملك لأهل القرى، فجرى العرف بالمغرب ألا يتم إحداث تلك المساقي إن كان يضر بأصحاب السواقي القديمة، ولا يتم ذلك إلا بموافقتهم[5].

وكما أسلفنا سابقا، فإن أهمية المياه وقيمتها تزداد كلما اتجهنا جنوبا، وبهذا الشأن ذكر الدرجيني[6] عن حدوث اقتتال على مياه بئر "**ونّو**"، بالقرب من أريغ، بين أهل يستيسن ووغلانة.

مما تقدم نخلص إلى القول بأن الحياة الريفية، كانت تعتمد بالأساس على المياه، ونظرا لطبيعة البيئة الجغرافية والمناخية للمغرب الأوسط، فقد كانت أهمية الماء تزداد

---

[1] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 3/ 1296، فتوى ابن مرزوق: **الدرر**، ورقة 6ظ.

[2] _ فتوى عياض، الونشريسي: **المعيار**، 8/ 285.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 396، ابن رشد: **الفتاوى**، 3/ 1286.

[4] _ االونشريسي: **المصدر السابق** ، ص: 395.

[5] _ **المصدر نفسه**: 5/ 12.

[6] _ **طبقات المشايخ**، 2/ 259.

والنزاعات تكبر وتكثر كلما قلّت المياه في أي موضع من المواضع، والتي كان أغلبها يقع ضمن المناطق الجافة والشبه جافة، في غرب البلاد وجنوبها، وبالرغم من معاناة بعض المناطق الريفية من قلة المياه، إلا أن مناطق أخرى قد كانت متوفرة على هذا العنصر الحيوي بشكل كبير، بدليل ثرائها بالمنتوجات النباتية، والأعداد الكبيرة لقطعان المواشي وهو ما سنقوم بعرضه خلال المبحث الثاني بعون الله تعالى.

المبحث الثاني: الزراعة والرعي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: الزراعة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

1_العوامل المؤثرة على الزراعة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

تعتبر الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية لأي دولة، فهي المصدر الأساسي لإنتاج المواد الأولية النباتية، والركيزة الأساسية لمختلف النشاطات الاقتصادية كالحرف والتجارة، وهي من أسمى المهن لما فيها من الأجر لقول الرسول صلى الله علية وسلم:**<<ما من مسلم يغرس غرسا؛ إلا كان ما أكل منه صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه؛ فهو له صدقة، وما أكلت الطير؛ فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة>>**[1].

وبهذا فالفلاحة هي العمران، ومنها العيش كله والصلاح جله، وببطلانها تفسد الأحوال وينحل كل نظام[2]، وبالرغم من أهمية الزراعة في حياة الأفراد والمجتمعات، إلا أن المناطق الزراعية في أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، كانت مهمشة وقليلة

---

[1] _ زكي الدين عبد العظيم المنذري: **مختصر صحيح مسلم**، ط1، دار ابن حزم ل: ط، ن، ت، بيروت، لبنان، 1464هـ/ 2003م، ص: 250.

[2] _ ابن عبدون محمد بن محمد التجيبي: **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب**، اعتنى بتحقيقه ودراسته الفنية واللغوية والتاريخية والاجتماعية، ليفي بروفنصال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، المجلد 2، ص: 5.

الشهرة مقارنة بالمدن، بالرغم من أن الأرياف ظلت مركزا للثقل الاجتماعي والمورد الرئيسي لاقتصاد البلاد طيلة العصر الوسيط، وقد تأثرت الزراعة في أرياف المغرب الأوسط بجملة من العوامل والظروف التي سنفصل فيها خلال العنصر الموالي.

1_ أ: العوامـــــــل الطبيعيــــــــة

لقد ساعد على حركية النشاط الزراعي في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، جملة من العوامل الطبيعية منها:

- **وفـــــــرة الميـــــاه**

لقد كانت أغلب المناطق الريفية للمغرب الأوسط على ضفاف الأودية والأنهار، التي كانت تسقي منها مزارعها وبساتينها، فكانت كلا من نواحي بونة[1]، متيجة، الخضراء، مليانة، دكمة، يعلى بن باديس، آسلن[2]، كانت على أنهار تسقي بساتيها ومزارعها، بالإضافة إلى أرياف حصن كزناية ومازونة التي كانت هي الأخرى تتغذى على الأنهر والأودية المارة بها[3].

دون أن ننسى نواحي كلا من بجاية، الجزائر، ندرومة، ترنانا، جبل أوراس، الغدير[4]، طبنة[5]، بالإضافة إلى تاهرت[6]، وتلمسان ونواحيها مثل باب القصر، وقلعة هوارة التي تسقى من نهر سيرات[7]، ويؤكد ابن سعيد[8] على أن الأندلوسيون يشهدون بأن الإزدهار الزراعي لتلمسان يعود لكثرة مياهها، والأمر نفسه بالنسبة للإزدهار الزراعي في واركلان نتيجة

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص: 55، مجهول: **الإستبصار**، ص: 127.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 55، 66، 60، 51، 76، على التوالي.

[3] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص، ص: 154، 172.

[4] _ مجهول: **الاستبصار**، ص: 129، 132، 135، 163، 167، على التوالي.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 71، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177.

[6] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 157، مجهول: **المصدر السابق** ، ص: 178.

[7] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 79، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 150، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177_ 178.

[8] _ **كتاب الجغرافيا**، ص، ص: 140، 126.

لمياهها الجوفية التي تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم إلى أمد طويل ويسيح في المزارع.

- **خصوبة التربـــــــة**

ساعد هذا العنصر أيضا على الازدهار الزراعي في ريف المغرب الأوسط، فأرض هذه البلاد معروفة إلى اليوم بخصوبة تربتها، وتنوعها بحيث تناسب مختلف المزروعات، خصوصا تلك المناطق الريفية المشرفة والقريبة من هذه السهول والبسائط، والتي كانت طيبة المزارع وافرة المنتوجات النباتية مثل بونة التي كانت مشرفة على فحوصها وقراها، وهي من أنزه البلاد[1]، وهي قريبة من فحص قل[2]، وكما أن الواد الكبير المحدد لمنطقة القبائل الكبرى جنوبا وشرقا، كان محاطا بمنحدرات صالحة لزراعة الأشجار المثمرة[3]، وهذا دليل على خصوبة تلك النواحي.

ومن جهته الإدريسي[4]، يذكر بأن: "**كلا من قرية النهرين، وبجاية التي كانت أمامها في جهة الجنوب أرضا سهلة متصلة الإنفراج لا يرى الناظر فيها جبلا عاليا ولا شرفا مطلا، إلا على بعد منها وعلى مسير أربع مراحل يرى جبالا لا تبين**"، وهذا راجع لاتساع سهولها وبالتالي ازدهار الإنتاج الزراعي في أراضيها، ومن المناطق الريفية الساحلية التي اشتهرت بخصوبة أراضيها نجد كلا من جزائر بني مزغناي[5]، مليانة[6]، تنس، مرسى الدجاج، مازونة[7]، التي كانت كلها خصيبة ومطلة على فحوص واسعة ممتدة.

---

[1] _ مجهول: **الاستبصار**، ص: 127، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 115.

[2] **_ المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] _ روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 1/ 316_ 317.

[4] **_ المصدر السابق**، ص، ص: 197، 162، أنظر أيضا: مجهول: **المصدر السابق**، ص: 129، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 81، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص ص: 135_ 136.

[5] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 132، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 163.

[6] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 547.

[7] **_ المصدر نفسه**، ص: 138، 539، 522، على التوالي.

ولم تكـن المناطق الداخلية تخـلو من هذه الفحوص، مثـل فحوص قسنطينة[1]، بـادس[2]، الغدير بالقرب من فحص عجيسة[3]، طبنة[4]، بلزمة لمزاتة[5]، باغاية[6]، تهودة ، القلعة[7] والمسيلة[8]، تلمسان ونواحيها مثل قلعة هوارة[9]، وحصن تانكرمت[10]، وكلها فحوص واسعة وبسائط كثيرة، ذات مزارع جليلة ممتدة.

كما كانت الجبال الريفية أيضا على درجة كبيرة من الخصوبة مثل جبل أوراس، جبل العنصل بالقرب من ميلة، جبل باب البغل بالقرب من باب القصر الواقعة جنوب تلمسان[11]، الجبل الذي كانت به قلعة هوارة[12]، وجبل القلعة[13]، وهذه الجبال جميعا كانت بها من البساتين والمزروعات؛ الكثير الوفير.

هذا وقد كانت بعض الواحات الصحراوية هي الأخرى عالية الخصوبة مثل واركلان التي كانت خصيبة، ومطلة على فحوص واسعة وممتدة[14].

---

[1] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 166، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 481.

[2] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 180.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 167.

[4] _ البكري: **المغرب**، ص: 51، مجهول: **الاستبصار**، ص: 177.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 50، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 163.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 144، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 178.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 142، 469.

[8] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 155، **الإستبصار**، ص: 176.

[9] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 70، مجهول: **المصدر السابق** ص: 177_ 178، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 135.

[10] **_ المصدر نفسه**، ص: 128.

[11] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 163، 160، 177، على التوالي.

[12] _ **المصدر نفسه**، ص: 178.

[13] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 469.

[14] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 600.

- **الأزمـــات الطبيعيـــــة**

تتنوع وتتشعب الأزمات الطبيعية التي تؤثر سلبا على الزراعة في ريف المغرب الأوسط، في القرنين5و6هـ/11و12م، ولعل أهم هذه الأزمات هي الجوائح[1] التي تشتمل على:

✓ **الجفاف والقحط**

لقد كان معظم اعتماد أرياف المغرب الأوسط في الزراعة على الأمطار بشكل أساسي، وكان لتوقف سقوط الأمطار الأثر الكبير في تردي الزراعة وتراجع المحاصيل، فينتشر القحط مع ما يصحبه من مجاعات وغلاء في الأسعار، إذ كثيرا ما يتسبب الصر أو القحط في احداث أضرار جمة للزرع[2].

لقد عاش المغرب الأوسط أزمات مضطربة من الجفاف في نهاية القرن 5هـ/ 11م، إلى نهاية القرن 6هـ/ 12م، وهو ما أثار عدة أزمات اقتصادية وكوارث، وقد عاشت هذه البلاد أربع فترات للجفاف الذي أصاب بطريقة عميقة الحياة الزراعية للمغرب الأوسط وافريقية[3].

فالفترة الأولى تمتد من 395هـ/ 1004_1005م إلى 413هـ/ 1022_1023م، والثانية تمتد من 425هـ/1033_1034م إلى 434هـ/ 1042_1043م، أما الثالثة فمن 482هـ/ 1089_ 1090م إلى 484هـ/1091_ 1092م، لننتهي إلى الفترة الرابعة التي امتدت من 491هـ/ 1097_1098 إلى 512هـ/ 1118_1119م، حسبما ذكره علاوة عمارة[4].

---

[1] _ **الجائحة** هي الآفة أو المصيبة التي تجتاح الأموال والثمار وتأتي عليها.(أنظر: محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص: 139).

[2] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 3/ 1284.

[3] _ Allaoua Ammara: **retour à la problematique**, P

[4] _ **Ibid**: PP: 9_ 11.

ومن بين أزمات الجفاف والقحط أيضا التي عرفها المغرب الأوسط، نجد أن القحط الذي عمّ هذه البلاد عام 407هـ/ 1016م[1]، ليتكرر هذا القحط سنة 425هـ/ 1033م، وسنة 432هـ/ 1040م بسبب عدم هطول الأمطار[2]، وكان أخطر عام شهد الجفاف الذي أثر على البنى الزراعية بشكل كبير هو جفاف عام 542هـ/ 1147م، وعام 543هـ/ 1148م، بسبب شدة القحط الذي عم إفريقية[3]، ليخلف آثارا سلبية على اقتصاد البلاد خصوصا في السنوات الأخيرة من النصف الأول للقرن 6هـ/ 12م[4].

✓ **الريــــاح والأعاصيــــر، الثلـــــوج والـــــبرد**

كان لهذه العوامل أيضا آثارا سلبية، وكوارث كبيرة طالت الزراعة في المغرب الأوسط نظرا لتضرر الزروع والحيوانات والإنسان منها.

فقد كانت **الأعاصير** التي تضرب المغرب تحدث مسغبة عامة وهلاك كثير من الناس[5]، وفي عام 485هـ كانت **الرياح** الهائلة التي هدمت تلمسان وأحوازها، واقتلعت الأشجار إلى السماء، ونظر الناس إلى البهائم وهي تمر بين السماء والأرض[6]، بالإضافة إلى **البرد** الذي كان يقتل المحاصيل الزراعية وهذا ما يفسر وضع تاهرت التي كانت شديدة البرد، كثيرة الغيوم والثلج، وتلمسان التي كانت باردة المشتى لكثرة ثلجها[7].

وهذه العوامل كانت تجعل من البلاد الصالحة للزراعة قفارا، وقاعا صفصفا لا تصلح لأي نشاط، وتعرقل الفلاحين عن ممارسة نشاطاتهم الفلاحية في أراضي ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

---

1 _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 118.

2 _ النويري: **نهاية الأرب**، 9/ 438.

3 _ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، حفظه وضبطه أبو مهاجر محمد بن سعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1985م، 2/ 461، 464.

4 _ Allauoa Ammara: **OP_SIT**: p: 11.

5 _ ابن الأثير: **الكامل**، 9/ 373.

6 _ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص: 116.

7 _ البكري: **المغرب**، ص: 67، مجهول: **الإستبصار**، ص: 178، الحموي: **معجم البلدان**، 2/ 19.

✓ **الفيضانات**

يذكر الدباغ[1] أن: "**الحرث في الأراضي التي تأتي إليها الوديان فغير مأمون، فإن جاء زرعها في عام طيب يبقى أعواما لا يجيء فيها الزرع طيبا في الأعم الأغلب يفتقر الحارث فيها، وقد خسر دنانير كثيرة بسبب الحرث فيها مرارا**"، ولعل هذا الأمر ينطبق على نهر طبنة المسمى بيطام، الذي يحمل فيسقي جميع بساتينها وفحوصها[2]، وربما كان في فترات الشتاء وكثرة الأمطار يتسبب في فيضانات وكوارث على الزرع والضرع.

✓ **الجـــــــراد**

يعد الجراد من الآفات الضارة التي تتسبب في إحداث أضرار جمة للزراعة وللفلاحين في ريف المغرب الأوسط، ذلك أن هذه الحشرة تأكل مما تنبت الأرض ومن الأمثلة على ذلك نجد أنه في سنة 406هـ/ 1078م، التي عمّها الجراد وهلك كل ما فيها من الزروع والمحاصيل[3]، وغالبا كان يصاحب هذه الآفة ظهور القحط وانتشار المجاعات في أوساط سكان الأرياف، والذي لا ينفك أن ينتقل إلى المدينة بحكم علاقة الترابط بين الجانبين وتبادل المصالح الاقتصادية بينهما.

إلى جانب الجراد؛ كانت هناك حشرات تهدد محاصيل الفلاحين في ريف المغرب الأوسط منها الديدان، الخنازير، الذئاب،....إلخ، ومن دون شك أنهم كانوا يعرفون الكثير من الطرق والتقنيات للقضاء عليها والاهتمام بمحاصيلهم وغلاتهم.

كانت هذه أهم العوامل الطبيعية، الإيجابية والسلبية والتي كان لها الدور الكبير في التأثير على أوضاع الزراعة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، والملاحظ أنها لم تكن العوامل الوحيدة التي أثرت على الريف، وإنما كانت هناك عوامل البشرية أثرت بدورها على الزراعة بأريافنا، وهو ما سنتناوله بشيء من التفصيل خلال العنصر الموالي.

---

[1] _ **معالم الإيمان**، 1/ 232.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص: 51.

[3] _ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص: 116.

1ب_ العوامـــــــل البشريـــــــة (السياسية/ العسكرية)

لقد كان للعوامل البشرية أيضا بالغ الأثر على وضع الزراعة في ريف المغرب الأوسط سواء من الناحية الإيجابية والسلبية، وتتمثل هذه العوامل أساسا في:

- **جهـــود الحكام وعنايتـــهم بالــــــزراعـــة**

لقد كان للسياسة الرشيدة لبعض حكام الدول التي عمّرت هذه البلاد، الأثر البالغ في ازدهار النشاط الزراعي وتطوره خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، ومن المؤكد أن الوضع الذي آل إليه الريف في هذه الفترة كان نتاجا للفترة الفاطمية والزيرية، ولعل الإنتاج الفلاحي يشهد على هذا، والتفصيل أشرنا إليه في الفصل التمهيدي.

لقد انتفع الحماديون بحضارة التيهرتيين والعبيديين، وزادوا عليها واهتموا بالفلاحة، فأحيوا موات الأرض وغرسوا الأشجار واعتنوا بالبساتين[1]، فقد كان حماد يهتم كثيرا بالثروة الداخلية للبلاد، ويبدو أنه نجح في تحقيق رخاء اقتصادي لدولته[2]، كما أن القائد بن حماد ترك مملكة يسودها الرخاء والازدهار بعد وفاته عام 446هـ، وبالضبط أثناء عهد ابنه بلكين الذي كان امتدادا لهذا الاستقرار الاقتصادي[3].

وبالرغم من أن الفترة الحمادية قد شهدت الهجرة الهلالية، بعد أن حالف الناصر بن علناس الأثبج الهلالية عام 457هـ/ 1065م، إلا أن منشآت هذا الحاكم كان لها بالغ الأثر على ريف المغرب الأوسط، فقد أجرى المياه وأمر بغرس البساتين والحقول[4]، وهذا بدون شك قد ساهم في تشجيع الفلاحين على الكد والعمل في هذا القطاع الحيوي، الذي كان المصدر الوحيد للمواد الغذائية وحتى الصناعية للأرياف والمدن على حد سواء.

---

[1] _ عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، ص: 219، معروف بلحاج، مبخوت بودواية: **كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، د_ ت، ص: 145.

[2] _ عبد الحليم عويس: **المرجع السابق**، ص: 220، رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، ص: 143.

[3] _ عبد الحليم عويس: **المرجع السابق**، ص: 220.

[4] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 231_ 231.

بالإضافة إلى أن الصلح الذي تم بين تميم(453_501هـ/1061_1107م) وابن عمه الناصر عام 470هـ/1078م[1]، كان له هو الآخر بالغ الأثر على تحسن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في ريف المغرب الأوسط آنذاك.

هذا وقد عاشت أرياف المغرب الأوسط أيضا ازدهارا زراعيا خلال فترة المرابطين، نتيجة لجهود حكامها؛ فقد أجرى يوسف بن تاشفين أحكام الإسلام وعدّل في الجباية، وأقام الشريعة وبسط الأمن في بلاده كلها، فرخيت الأحوال وأمن الناس ونشطت النفوس[2]، وهذه العوامل هي التي كانت تؤثر على الفلاحين إيجابا أو سلبا، لذلك فمجهودات هذا الحاكم هي التي جعلت المؤرخين يشهدون بأن عهده قد ساده الازدهار الزراعي[3].

كما كان لاستقرار الأوضاع في عهد علي بن يوسف بن تاشفين وابنه أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني(537_539هـ/1142_1144م)[4]، الأثر البالغ في إصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، خاصة بعد وقف توسع عرب بني هلال وأوجدوا نوعا من التعاون بين الطبقات الاجتماعية[5]، ونشروا المعطيات الحضارية بالمغرب كله سهله وجبله[6]، ولم تكن أرياف المغرب الأوسط بمنأى عن هذا التطور.

هذا ونجد أن الزراعة قد حظيت بعناية الخلفاء الموحدين أيضا، فقد نظم قانون الخراج زراعة الأرض[7]، ولم يهمل جزءا من الأرض الصالحة للزراعة، وأصبح لزاما على الزراع أن ينهضوا بزراعتهم ليفوا بما تتطلبه معايشهم وبما تستحقه الحكومة الموحدية منهم[8]، وهذه الإدارة المالية المحكمة هي التي حثت الناس على الاستقرار والعمل والانتاج، كما راقبت الدولة أحوال الزراعة وكثيرا ما أسدت النصائح العلمية للفلاحين والمزارعين لتذر الأرض

---

[1] _ ابن عذاري: **البيان**، 4/ 300، ابن خلدون: **المصدر السابق**، 6/ 228.

[2] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 137، السلاوي: **الاستقصا**، 2/ 70.

[3] _ **المرجع نفسه**، ص: 56، حسين مؤنس: **تاريخ المغرب وحضارته**، ص: 196.

[4] _ ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص: 218، السلاوي: **المرجع السابق**، ص: 124.

[5] _ حسن علي محود: **المرجع السابق**، ص ص: 370_ 371.

[6] _ محمد العيدروس: **المرجع السابق**، ص: 438.

[7] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 32، ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص: 137، السلاوي: **المرجع السابق**، ص: 56.

[8] _ عبد الله علي علام: **المرجع السابق**، ص: 254، حسن علي محمود: **المرجع السابق**، ص: 182.

أكبر قدر من الإنتاج الزراعي[1]، ذلك أن الثروة الزراعية كانت تمثل رأس المال الأساسي للبلاد خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وطيلة العصر الوسيط.

وبالرغم من أن عز الدين عمر موسى[2]، قد أشار إلى أن جهود الموحدين كانت جزئية في مجال الزراعة وحاصلاتها، نظرا للتخريب الكبير الذي سببه الهلاليون، غير أن ابن صاحب الصلاة بأن:<<**عهد أبو يعقوب المنصور، قد نال الناس معه في خلافته من جميع الطبقات وخصوصا الرعية، بصلاح أحوالهم ونماء أموالهم ما لم يعقد مثلها في زمان، حتى شبهها الطلبة وأهل التواريخ بأيام عثمان بن عفان**>>[3]، وبدون شك أن النشاط الزراعي قد نال نصيبه من الإصلاحات، ولعل الإصلاح المذكور كان مصدره تحسن أوضاع الزراعة، فكانت أيام المنصور أحسن الأيام وأطيبها.

مما تقدم نخلص إلى أن اهتمام الحكام بالنشاط الزراعي، كان له بالغ الأثر في تحسين وازدهار هذا القطاع الحيوي، وكانت أهم العوامل التي ارتكز عليها هؤلاء الحكام هو التنظيم الزراعي ووضعية الأراضي، وطبيعة تملكها.

- **عدم الاستقــرار وتواتــر الفتــن والحــروب**

لقد ساهمت الحروب والقلاقل التي عاشتها بلاد المغرب الأوسط، في عرقلة النشاط الزراعي وانتاج المحاصيل، فكثيرا ما كانت تساهم في تخريب المحاصيل وعزوف الناس عن خدمة الأرض وزراعتها، وقد عدّ الفقهاء الحروب من الجوائح[4]، ولعل هذا راجع إلى الآثار السلبية التي تخلفها، من بوار الأرض، وحدوث الجفاف، والتي تساهم في حدوث المجاعات والأوبئة.

وخلاصة القول أن الزراعة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، لم تكن رهينة الظروف الطبيعية(قحط وجفاف) فحسب؛ وإنما كان للحروب والصراعات والسياسات

---

[1] _ عبد الله علي علام: **المرجع السابق**، ص: 254.

[2] _ **النشاط الاقتصادي**: ص: 193.

[3] _ **تاريخ المن بالإمامة**، ص ص: 236_ 237، أنظر أيضا: ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص: 231، السلاوي: **المرجع السابق**، 2/ 177_ 178.

[4] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 3/ 1614.

السلبية للدول، الأثر البالغ في تراجع الزراعة وقحط الأراضي، وبالرغم من هذه الأسباب وتلك؛ إلا أن ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة قد زخر بجملة من المنتوجات الزراعية، بشهادة الرحالة والجغرافيين الذين أرّخوا لهذه البلاد، وهو ما سيتم تناوله بعون الله في العنصر التالي.

2_ المحاصيل الزراعية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لقد زخر ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، بمختلف المنتوجات الزراعية بدليل انتشار المزارع والبساتين في مختلف المناطق الريفية في المغرب الأوسط، فما يفتأ جغرافي عند ذكره لمنطقة من المناطق، إلا ويشير إلى انتشار المزارع والبساتين، وهذا دليل على الوفرة والازدهار، ونظرا لكثرة الشواهد فسنكتفي بذكر بعض النماذج فقط، لأننا سنفصل في ذكر بعض المحاصيل الريفية.

يذكر البكري[1] إن كلا من قزرونة(متيجة)، كانتا كثيرتا "**البساتين والمزارع**"، بالإضافة إلى مرسى الزيتونة وشمالي ندرومة، وحصن تاونت وتانكرمت، وكلها كانت "**كثيرة الثمار والبساتين**"[2]، أما الإدريسي[3] فيذكر هو الآخر إن كلا من حصن كزناية على نهر الشلف، مازونة، تلمسان، كانت ذات "**زروع وبساتين كثيرة**".

والملاحظ أن معظم المناطق الريفية في المغرب الأوسط لم تتغير محاصيلها كثيرا عن الفترات السابقة، وهذا دليل على عناية سكان الأرياف بمزارعهم وبساتينهم، فعلى سبيل

---

[1] _ **المغرب**، ص، ص: 154، 172.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 79_ 83.

[3] _ **نزهة المشتاق**، ص: 154، 172، 150، أنظر أيضا: أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 123، ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 140.

المثال لا الحصر نجد أرياف ونواحي كلا من: بونة[1]، بجاية[2]، ميلة[3]، تيهرت[4]، تلمسان[5]، بسكرة[6]، حيث وصفت جميعا بأنها كثيرة الغلال والزروع تارة، ووفيرة البساتين والثمار والأشجار تارة أخرى، وهذا ما يدل على أن المناطق الريفية لمغربنا الأوسط ظلت محافظة على ازدهارها الزراعي عبر جل الفترات التاريخية.

لقد تنوعت المحاصيل الزراعية بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، واختلفت من منطقة إلى أخرى، كما أنها في الوقت نفسه تفاوتت من حيث أهميتها الاقتصادية، لسد المتطلبات والحاجيات الأساسية للسكان، والحاجات الكمالية الأخرى، ويمكن تقسيمها إلى خمسة عناصر هي: الحبوب (القمح والشعير) خصوصا، البقول، الخضر(القطاني)، الفواكه، النباتات الصناعية والعطرية، وسنعالج بإذن الله كل عنصر بالتفصيل خلال العرض الموالي.

---

[1] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 77_ 78، البكري: **المصدر السابق**، ص: 55، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 192، الزهري: **الجغرافيا**، ص: 107، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 115، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 106، الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 62، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 376.

[2] _ الادريسي: **المصدر السابق**، ص: 161، مجهول: **الإستبصار**، ص: 130، الزهري: **المصدر السابق**، ص: 107، أبو الفدا، **المصدر السابق**، ص: 137.

[3] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 165، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 569، الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 60، مارمول: **المصدر السابق**، 3/ 13.

[4] _ الأصطخري: **المصدر السابق**، ص: 34، ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 26، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 178، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 126، الحموي: **معجم البلدان**، 2/ 9، أبو الفدا: **المصدر السابق**، ص: 139.

[5] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 150، الزهري: **المصدر السابق**، ص: 114، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177، العمري: **مساك الأبصار**، ص: 124، الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 11، مارمول: **المصدر السابق**، 2/ 299.

[6] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 78، البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 71_ 72، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 113، القلقشندي: **المصدر السابق**، ص: 107، الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 130، مارمول: **المصدر السابق**، 3/ 168.

2أ_ الحبـــــــوب

كانت الحبوب الغذاء الرئيسي لسكان ريف المغرب الأوسط، والملاحظ أن هذا النوع من المحاصيل كان يعتمد أساسا على الطريقة البعلية، أي التي لا تعتمد على الري الدائم، لملائمتها مع البيئة الجغرافية لهذه البلاد، وأهم هذه الحبوب هي:

- **القمـح والشعيــر**

يعتبر كل من القمح والشعير، مادتين غذائيتين أصيلتين في هذه البلاد منذ القدم، وزراعة هذا النوع من الحبوب لا تحتاج إلى أمطار غزيرة، ولا تتطلب السقي، كما أنها تخزن لمدة طويلة دون أن يلحقها ضرر، فالإدريسي[1] ذكر بأن أهل قسنطينة يخزنون الحنطة، وتبقى سليمة لا تفسد، ومما له دلالة على ازدهار زراعة الحبوب أن بعض المناطق كان يزرع فيها المحصول مرتين، من ذلك ريف بادس الذي كان ينتج الشعير مرتين في العام[2].

لم يشر البكري كثيرا إلى مادة القمح والشعير، ولم يفصل فيهما بالرغم من أنه ذكر أن بلاد المغرب الأوسط كثيرة الزروع، وربما يكون قد عنى في إشاراته تلك؛ هاتين المادتين مثل بونة، بلزمة، تامديت، تيفاش، تامسلت، ندرومة، جبال الرحمان، حصن تانكرمت، وكل هذه المواضع كانت وافرة الزروع[3].

هذا ونجد القرى الحمادية قد شهدت نشاطا زراعيا واسعا، وكانت أراضي المغرب الأوسط جيدة الإنتاج، وكانت الحبوب هي المحصول الرئيسي بالإضافة إلى زراعة القمح والشعير[4]، التي كانت تشكل الإنتاج الأهم في المناطق الريفية المختلفة[5]، ولعل مصالحة الأمير الحمادي على نصف غلة البلاد من حبوب وتمور[6] دليل واضح على الوفرة والكثرة.

وبخلاف البكري؛ نجد الإدريسي أكثر دقة ووفرة في المعلومات المتعلقة بالقمح والشعير في ريف المغرب الأوسط، فيذكر أن بونة كانت "**وفيرة الزروع والقمح بها والشعير**

---

[1] _ **نزهة المشتاق**، ص: 166.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص: 53، أنظر أيضا: مجهول: **الإستبصار**، ص: 180.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 55، 70، 50، 53، 54، 80، 83، 79، 80، على التوالي.

[4] _ الغنيمي: **المرجع السابق**، ص: 323.

[5] _ اسماعيل العربي: **الدولة الحمادية**، ص: 227.

[6] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 27.

في أوقات الإصابات كما وصفنا كثير غزير"[1]، وظل يصفها بالازدهار بالرغم من سيطرة الأسطول النورماندي عليها بمساعدة بني هلال، وبالرغم من ضعفها في عهد عاملها "الحارث الحمادي" النائب على روجر النورماندي[2].

كما نجد بجاية هي الأخرى عاشت ازدهارا زراعيا بالرغم من الإشارة لضرر الهلاليين، إلا أن الإدريسي[3] يصفها:<<**بأن لها بواد ومزارع والحنطة والشعير بها موجودة بكثرة**>>، وقد ظلت تنتج القمح حتى في الفترات اللاحقة وهو ما يبعد تأثير بني هلال، فالغبريني[4] يذكر في أكثر من موضع أن الغداء الأساسي لسكان الأرياف، والنشاط الزراعي كان من القمح.

هذا وقد انتشرت زراعة القمح والشعير في كل من: جزائر بني مزغناي، شرشال، تنس، مرسى الدجاج، برشك، القلعة، تيفاش، قصر الإفريقي، طبنة[5]، قسنطينة، وباغاي اللتين كانتا مزدهرتين بهذه المادة الغدائية الرئيسية، والإنتاج الزراعي عامة، وكانوا يتعاملون مع الأعراب[6]، وهذا دليل على الإندماج الاجتماعي بين العنصرين العربي والبربري من جهة، ودور الأعراب في تحسين الإنتاج الزراعي من جهة ثانية، واستقرار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في هذه النواحي بالرغم من وجود الأعراب.

وعن القمح والشعير أيضا يستكمل الإدريسي الذي امتاز بدقته في الوصف وذكر القرى في المغرب الأوسط، قائلا بأنه في كل من قرية أزكو، وقرية البرذوان، وقرية النهريين،

---

[1] _ **نزهة المشتاق:** ص: 192، أنظر أيضا: ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 77_ 78، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص ص: 135_ 136.

[2] _ رشيد بورويبة: **عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي**، مجلة الأصالة، العدد 34_ 35، السنة 5، جمادى الثانية/ رجب 1396هـ، يونيو/ يوليو 1976، ص ص: 68_ 71.

[3] _ **المصدر السابق**، ص: 161.

[4] _ **الدراية**، ص، ص: 134، 145، أنظر أيضا: مارمول: **إفريقيا**، 2/ 376.

[5] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 153، 159، 164، 167، 178، 196، 197، أنظر أيضا: الحميري: **الروض المعطار**، ص: 163، 340، 138، 539، 469، 146، 475، 387، 480، 76، على التوالي، أبو الفدا: **تقويم البلدان:** ص ص: 135_ 136.

[6] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 166، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 480، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 110.

كانت بها غلات من "**القمح والشعير**"[1]، وكذا الشأن في المناطق المحيطة بمدينة ماما والمسيلة[2].

والواقع أن هذه زراعة الحنطة لم تكن حكرا على سكان الأرياف فقط، وإنما كان يمارسها البدو أيضا، ولعلهم أولئك الذين يجمعون بين حياة الترحال والاستقرار، فأهل الغدير كانوا:<<**بدو وأهل مزارع وأرضون مباركة والحرث بها قائم الذات والإصابة في زروعها موجودة، والبركات في معاملاتهم كثيرة**>>[3].

كما نجد أهل الجنوب قد استفادوا من توفر بعض المياه في الواحات، وعملوا في الزراعة وخاصة زراعة الشعير، لملائمة هذا المحصول مع البيئات الجافة؛ فهو ينبت في الأرض الفقيرة ويكتفي بالقليل من الماء، أما القمح فكان نادرا جدا لعدم توفر العناصر الطبيعية المساعدة على نموه[4]، وما يدل على وفرة القمح خلال العهد الموحدي، هي الكميات الوفيرة التي جمعها عبد المؤمن بن علي عندما عبر إلى الأندلس[5].

لقد ظل القمح والشعير من المواد الغذائية الهامة والأساسية لأهل ريف المغرب الأوسط، ولعل إشارة النوازل إلى الحنطة سواء بزرعها[6]، أو بيعها بذورا[7]، أو سنابل[8]، أو دخولها ضمن المهر[9]، أو الوراثة[10]، لخير دليل على أهمية هذه المادة الغذائية لسكان الأرياف والمدن على السواء.

---

[1] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 196_ 197.

[2] _ **المصدر نفسه:** ص، ص: 156، 157.

[3] _ **المصدر نفسه**، الصفحات نفسها.

[4] _ سعدون عباس بن نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985م، ص: 14.

[5] _ حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص: 240.

[6] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 2/ 72.

[7] _ **المصدر نفسه**، 3/ 75، 70.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 188.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 532.

[10] _ **المصدر نفسه**، 5/ 48_ 49.

هذا وقد كانت عملية الحصول على القمح الصافي تمر بعدة مراحل، فيحصد الزرع[1]، ويلقى أغمارا على الأرض، لتجمع هذه الأخيرة وتحمل على الحيوانات مثل الحمير والنوق[2]، إلى الأنذر[3] في الشباك[4]، أما فيما يتعلق بطحن القمح من أجل الحصول على الدقيق الصالح للخبز وغيره، فكان يتم إما عن طريق النساء اللائي كن يقمن بطحنه بالمطحنة اليدوية[5]، أو عن طريق الأرحاء التي كانت تقام على ضفاف الأودية والأنهار، فقد أشار الرحالة والجغرافيين، والنوازل إلى وجود الأرحاء في الكثير من المناطق الريفية في بلادنا خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م[6].

- **البقــول والقطــانـــي**

من الصعب معرفة البقول التي كانت متواجدة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، كما أن الإشارات القليلة التي أوردها الجغرافيون لم تفصل في أنواع هذه المزروعات إلا في القليل النادر، فيذكر الإدريسي[7] عن وجود "**الحبوب في تنس ومقرة**"، وربما يقصد بها البقول أيضا بالرغم من أنه أشار صراحة عن وجود البقول في المسيلة[8].

وربما انتشرت في ربوع أريافنا أيضا زراعة كلا من: الحمص الذي يتلائم مع التربة الحرشاء، بالإضافة إلى الفول الذي يجود في التربة الرطبة[9]، ويُذكر أيضا باسم الباقلا وهو لفظ معرّب[10]، ويذكر الغنيمي[11] أن الحبوب" **كانت هي المحصول الرئيسي للحماديين بما**

---

[1] _ الوسياني: **السير**، ص: 20.

[2] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 236.

[3] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 76_ 77، الوسياني: **المصدر السابق**، ص: 16.

[4] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، ص: 236.

[5] _ البرزلي: **المصدر السابق**، 2/ 72.

[6] _ للتفصيل أكثر عن الأرحاء وتجنبا للتكرار، أنظر **العنصر الخاص بالصناعة الغذائية، ضمن المبحث الثالث الخاص بالحرف ضمن هذا الفصل** ص ص: 169_172.

[7] **_ نزهة المشتاق**، ص، ص: 153، 164.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 156، أنظر أيضا: الحميري: **الروض المعطار**، ص: 569.

[9] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ص ص:43_ 44.

[10] _ محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبتي: **معجم لغة الفقهاء**، معجم عربي، انجليزي، ص: 102.

[11] **_ المرجع السابق**، ص: 323، أنظر أيضا: اسماعيل العربي: **المرجع السابق**، ص: 227.

فيها العدس والذرة"، بالإضافة إلى اللوبيا والجلبان والبسلة(نوع من الجلبان)[1]، غير أن هذه المحاصيل كانت أقل انتشارا من القمح والشعير، ومما يشير إلى انتاج البقول أيضا ما ذكره الغبريني في ترجمته لأبي زكرياء يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي(ت611هـ/ 1215م)، الذي كان عيشه من المباح من البقول[2].

كما تناولت النوازل أيضا أنواعا من البقول[3]، والجوائح التي كانت تصيبيها[4]، وهذا دليل على أنها كانت تدخل في معظم الأغذية الرئيسية لسكان أريافنا خلال الفترة قيد الدراسة، وعناية الفلاحين بهذه المحاصيل التي شكلت جزءا مهما من مصادر دخلهم من الإنتاج الفلاحي.

2ب_ الخضــــــــــر

كانت الخضر كثيرة الانتشار في أرياف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، فكان الجزر موجودا في نقاوس[5]، والبصل في بني وازلفن[6]، وذكر ابن رشيق الباذنجان في ديوانه قائلا:

وإذا صـنـعـت غـــذاءنا فـــاجعله غـــير مبـــــذخ
إيــــاك هـــامـــة أســـود عـــريـــان أصلـــع كوســـج[7].

ومن الخضر التي كانت معروفة أيضا في أريافنا نجد اللفت والبصل[8]، والفجل والكراث والثوم والكرنب والقرنبيط والسلق والخس، بالإضافة إلى الملوخية والخيار والهليون الصغير[9]، ومن الخضر أيضا التي كانت موجودة في أريافنا نجد القرعة، وهذا النوع من الخضار التي

---

[1] _ العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 88، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 110.
[2] _ **الدراية**، ص: 136.
[3]_ الونشريسي: **المعيار**، 6/ 44، 56، 62.
[4] _ فتوى اللخمي: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 394.
[5] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 90، العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 88، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 110.
[6] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 154.
[7] _ رشيد بورويبة: **المرجع السابق**، ص: 173.
[8] _ العمري: **المصدر السابق**، ص: 88، فتوى المازري: الونشريسي: **المعيار**، 5/ 87، 90، 8/ 122_ 123.
[9] _ العمري: **المصدر السابق**، ص: 88، القلقشندي: **المصدر السابق**، 5/ 110.

قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم بأن الإكثار منها يسكن قلب الحزين، ومن خواصه أن الذباب لا يقع عليه[1]، بالإضافة إلى البسباس الذي كان يسميه أهل المغرب والأندلس باسم الرازيانج[2]، والخيار[3].

لم تكن زراعة الخضر حكرا على الفلاحين الذين شكلت الزراعة مصدرا لدخلهم، وإنما كان يمارسها أيضا عامة الناس بجانب بيوتاتهم، فقد كان جد الفقيهان العالمان أبو زيد عبد الرحمان وأبو موسى عيسى ابنا الفقيه الإمام الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام من أهل برشك، كان جدهما من أولياء الله الأبرار، وكانت له أربضة يعمرها بالخضر لمعاشه[4].

ومن غير المستبعد أن سكان ريف المغرب الأوسط قد استخدموا في الطبخ عدة بهارات، والتي كان مصدرها النباتات التي كانت متوفرة في أريافنا، مثل الكمون الذي كان ينبت في قرية بنو وازلفن قرب تنس[5]، والزعفران الذي كان متواجدا بكثرة في مجانة[6]، وخلاصة القول أن عدم التفصيل في أنواع البقول والقطاني، وحتى الخضر من قبل معظم الرحالة والجغرافيين لا يعني أنها لم تكن موجودة والمرجح أن اختصارهم هذا كان هروبا من تعدادها لا غير.

2جـ_ الفــــواكـــــه

يبدو أن ريف المغرب الأوسط كان يزخر بمختلف أنواع الثمار والفواكه، وهذا بشهادة معظم المصادر وخاصة الجغرافية منها، فما يفتأ رحالة أو جغرافي يذكر منطقة من المناطق الريفية إلا ويشير إلى أن بها بساتين، فواكه وثمار، فتارة يذكرون الفواكه بالتفصيل وتارة يذكرون الفاكهة بصفة عامة بدون تفصيل.

---

[1] _ سراج الدين أبو حفص ابن الوردي: **خريدة العجائب وفريدة الغرائب الدال على بدائع الأقطار والبحار، وخصائص البلدان والأحجار**، مطبعة الهمام، القاهرة، 1303هـ، ص: 100.

[2] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 42.

[3] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 11.

[4] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 130.

[5] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 154.

[6] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 84.

ومن الإشارات التي ذكرت عن الفاكهة بصفة عامة نجد أن الأرياف المحيطة بكل من: بونة[1]، وهران[2]، تاهرت[3] كانت "**كثيرة الفواكه والثمار والبساتين**"، ويفيدنا البكري بنفس هذه العبارات في كل من: الخضراء[4]، طبنة[5]، بلزمة، تيجس، بنطيوس، طولقة، وبسكرة[6]، ومن جهته الإدريسي[7] يذكر أن "**ببجاية من الفواكه المأكولة والنعم المنتجة**"، وأيضا بكل من شرشال، تنس، مرسى الدجاج، برشك، التي يصفها بأنها "**ذات فواكه ممكنة**"[8]، كما يصف كلا من المعسكر، القلعة، مازونة، تلمسان، حصن تاكلات، قرية ريغة، قرية ماورغة، إفكان، بلاد يلّل، قرية عين الصفاصف، "**بأنها وفيرة الفواكه، بها من كل طريف، واسعة الخيرات**"[9]، بالإضافة إلى ميلة التي كانت "**ممكنة الثمار وافرة الفواكه**"[10] وكذلك المسيلة[11]، و وحصن سطيف الذي كان "**كثير المياه، والشجر المثمر بضروب من الفواكه**"[12].

ومن جهته صاحب كتاب الاستبصار[13] يصف كلا من القل، جيجل، ، تبسة، قسنطينة، نقاوس، مليانة، حصن ريان، حصن هنين، وندرومة بأنها "**كثيرة الفواكه والأثمار والخيرات**" أيضا، هذا ولم تخل المناطق الريفية من الجنان و البساتين، ولعل قيام السكان

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص: 55، الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 607، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 141، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 111.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 70، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 153، مجهول: **الإستبصار**، ص: 135.

[3] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 67، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 159، الحموي: **المصدر السابق**، 2/ 9.

[4] _ البكري: **المغرب**، ص: 75، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 176.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 51_ 52، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 50، 52، 49، 72، على التوالي.

[7] _ **المصدر السابق**، ص: 162، أنظر أيضا: مجهول: **المصدر السابق**، ص: 130.

[8] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 159، 153، 158، على التوالي.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 152، 156، 172، 150، 163، 154، 151_ 152، 156، على التوالي.

[10] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 165.

[11] **_ المصدر نفسه**، ص: 156، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 176، أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 141، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 111.

[12] _ **المصدر نفسه**، ص: 169، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 176.

[13] _ **المصدر نفسه**، ص: 127، 128، 135، 163، 166، 176، 177.

بالتصدق بجناتهم على الفقراء أو على بناتهم[1]، وتملكها حتى من قبل عامة الناس ورجال العلم[2]، وإقدام سكان الواحات على بيع الثمار للبوادي المجاورة[3]، دليل على الكثرة والوفرة.

كانت هذه نظرة عامة ومختصرة عما اشتهر به ريف المغرب الأوسط من فواكه خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وسنحاول بإذن الله تعالى عرض أهم أنواع الفاكهة التي كانت متواجدة فبي أريافنا خلال هذه الفترة، وأهم هذه الفواكه والثمار هي:

- **الزيتـــــــون**

شجرة الزيتون هي شجرة مباركة نزل ذكرها في كتاب الله تعالى في أكثر من موضع، حيث قال في محكم تنزيله:﴿ **الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب ذري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار....**﴾[4]، ويقول جلّ جلاله أيضا:﴿ **والتين والزيتون** ﴾[5].

والزيتون من الفاكهة الضرورية لتعدد فوائده، ويدخل زيته في استعمالات عديدة، في تحضير الطعام، أو يؤكل بالخبز، ويستعمل للإضاءة وللعلاج[6]، وزراعة الزيتون أصيلة في هذه البلاد منذ القدم، وهو من المحاصيل المهمة، وهو نوعان: برّي ينبت في الجبال، وبستاني وهو أكثر نضجا وأوفر زيتا وفيه أصناف من الطويل الثمرة، أو المدور[7]، ويقال إن هذه الشجرة تعمّر ثلاثة آلاف سنة، ومن خواصها أنها تصبر على الماء كثيرا مثل النخل، ولا دخان لخشبها ولا لدهنها[8]، وهذه الشجرة تصلح في الأرض الرقيقة والبيضاء، ويغرس شجره في الربيع، أما النواة فتغرس في شهر أكتوبر[9].

---

[1] _ فتوى اللخمي: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام،** 5/ 68.

[2] _ الوسياني: **السير،** ص: 28.

[3] _ **المصدر نفسه،** ص: 32.

[4] _ **سورة النور، الآية 35.**

[5] _ **سورة التين، الآية 1.**

[6] _ جودت عبد الكريم يوسف: **المرجع السابق،** ص: 227.

[7] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة،** 225/1.

[8] _ ابن الوردي: **خريدة العجائب،** ص: 93.

[9] _ ابن العوام: **المصدر السابق،** ص، ص: 225، 242.

ويثمن الرحالة والجغرافيون ثراء الأرياف بالزيتون مثل البكري[1] الذي أشار إلى كثرة الزيتون في كل من"بسكرة، بنطيوس، وطولقة"، كما اشتهرت بلاد القبائل أيضا بأشجار الزيتون أكثر من غيرها، وكان لكل قرية معاصرها التي تعصر فيها الزيتون[2]، إذ تغطي أشجار الزيتون مساحات كبيرة من جبال زواوة، كما توجد في قالمة وسكيكدة[3]، وكذلك منطقة الأوراس التي تميزت بمحاذاتها للسفوح الشمالية والجنوبية على حد سواء[4].

هذا وقد انتشرت زراعة الزيتون في بنواحي تلمسان، والتي كانت كثيرة الانتشار بها بشهادة كلا من يحي بن خلدون[5]، ومارمول كربخال[6]، كما أشارت النوازل إلى انتشار أشجار الزيتون في أرياف المغرب الأوسط، ودخولها في مختلف المعاملات اليومية لسكان الريف كطريقة عصره[7]، وبيعه والتصدق به[8]، وحتى الغصب والمعاملات مع الأعراب[9].

وعن حفظ الزيت المستخرج من الزيتون، فقد كان يحفظ في قلال أو زقاق من جلود الأغنام[10]، أو غيرها ومن هذه الإشارات جميعا يتضح أن الزيتون كان مادة غذائية هامة لسكان الريف من جهة، وكذلك مصدرا لعيشهم ومعاملاتهم.

- **العـــنــــب**

زخرت أرياف المغرب الأوسط بهذا النوع من الفاكهة، وكانت زراعة الكروم واسعة الانتشار ولعل شهادة إسماعيل العربي بكون الزبيب ذو الجودة العالية الذي كان يحمل من

---

1 _ **المغرب**، ص: 71_ 72، أنظر أيضا: مجهول: **الإستبصار**، ص: 187، الحميري: **الروض المعطار**، ص، ص: 113، 401.

2 _ معروف بلحاج، مبخوت بودواية: **المرجع السابق**، ص: 146.

3 _ موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية**، ص: 106.

4 _ ناصر الدين سعيدوني: **الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمنطقة الأوراس قبل وأثناء العهد العثماني**، مجلة الأصالة، العدد 60_ 61، السنة 7، رمضان_شوال 1398هـ/ أوت_ سبتمبر 1978م، ص: 119.

5 _ **المصدر السابق**، ص: 90.

6 _**إفريقيا**، 2/ 299.

7 _ فتوى ابن عرفة، الونشريسي: **المعيار**، 1/ 18.

8 _ فتوى اللخمي: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 575.

9 _ فتوى السيوري: **المصدر نفسه**، ص: 575.

10 _ جودت عبد الكريم يوسف: **المرجع السابق**، ص ص: 46_47.

بجاية وبونة، لا يزال يحتفظ باسمه العربي في اللغة الإيطالية إلى اليوم[1]، دليل على ازدهار زراعة هذه الفاكهة ووفرتها في أريافنا خلال الفترة قيد الدراسة.

والكرمة(شجرة العنب) أكرم الشجر، وثمرها أشرف الثمر، وللناس بفلاحتها عناية عظيمة لما في العنب من الخاصية، وهي شجرة محبة لأنها أقل عملا وأخف مؤونة، وأكثر حملا وأجود عصرا[2]، وتعتبر أحسن طريقة للحصول على كروم جيدة هو وضع قضبان الكروم في فصل الخريف[3].

وما يؤكد على انتشارها هي شهادة الرحالة والجغرافيين الذين زاروا هذه البلاد، فقد كانت قرية بني وازلفن(بني وارفن)، "**قرية كبيرة لها كروم كثيرة...، معظمها على نهر الشلف**"[4]، كما انتشرت الكروم والأعناب أيضا في كل من شرشال والخضراء[5]، طولقة[6] ، ويذكر صاحب كتاب الاستبصار[7] إلى كثرة العنب في كل من القل و جيجل[8]، كما انتشرت أشجار العنب أيضا في كل من جبال القلعة[9]، جبال الرحمان، الغدير، ميلة، وجميع هذه المناطق وصفت بأنها كثيرة العنب أيضا[10]، ولعل هذه الشهادات جميعا تدل على وجود الكروم في كثير من مناطق أريافنا، وبالرغم من إشارة روبير برنشفيك[11] إلى تقلص مجالات زراعة الكروم على غرار الحبوب والنخيل، جراء الغزو الهلالي، إلا أن

---

[1] _ **العمران والنشاط الاقتصادي في عصر بني حماد**، مجلة الأصالة، العدد 19، السنة 4، صفر/ ربيع الأول 1394هـ، مارس/ أبريل 1974م، ص: 347.

[2] _ ابن الوردي: **المصدر السابق**، ص: 96.

[3] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ص: 352.

[4] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 154، أنظر أيضا: ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 86.

[5] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 159، 154، أنظر أيضا: الحميري: **الروض المعطار**، ص: 340، 233، على التوالي.

[6] _ البكري: **المغرب**، ص: 72، الحميري: **المصدر السابق** ، ص: 401.

[7] _ مجهول: ص: 127.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 129، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص: 184.

[9] _ الحموي: **معجم البلدان**، 4/ 443.

[10] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 223، 427، 569، على التوالي.

[11] _ **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 2/ 227.

شهادات الجغرافيين المتأخرين[1] تفنّذ ما قاله هذا المؤلف.

- **التيـــــــــن**

شجرة التين هي شجرة مباركة، وفي القرآن الكريم سورة باسمها وهي سورة التين، وهذه الشجرة تغرس في فصل الخريف والربيع على السواء[2]، وقد كانت هذه الفاكهة متواجدة بكثرة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، مثل مرسى الدجاج التي "**كان تينها يحمل منها شرائح طريا ومنثورا إلى سائر الأقطار وأقاصي البلاد، وهي بذلك مشهورة**"[3]، بالإضافة إلى جزائر بني مزغناي[4]، ويذكر البكري[5] أنه "**بحصن تاونت على ساحل ترنانا بساتين، وشجر كبير يحمل من زبيب تينه إلى ما يليه من النواحي**"، وهذا دليل على ازدهار زراعته في الأرياف وحدوث فائض في الإنتاج الأمر الذي ساعد على تصبيره وتسويقه إلى مختلف النواحي.

ومن جهته الإدريسي يذكر بأنه ببجاية "**التين وسائر الفواكه بها كثير**"[6]، كما كان التين متواجدا بكثرة في كل من شرشال، قرية سوق إبراهيم[7]، وبالقلعة أشجار التين في جبالها[8]، وتلمسان أيضا كان بها من التين ما تلذ به الأعين[9]، ويمتاز بشدة حلاوته وقابليته للتجفيف وهو أسود وغليظ، يجفف ليؤكل في الشتاء[10]، ويظهر أن اتساع زراعة التين يعود لحلاوته

[1] _ فعلى سبيل المثال لا الحصر، يذكر الوزان، أنه بخارج تلمسان توجد كروم مغروسة، تنتج أعنابا من كل لون، طيبة المذاق.(أنظر: **وصف إفريقيا**، 2/ 11).

[2] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ص: 298.

[3] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 77، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 160، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 539.

[4] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 78.

[5] _ **المصدر السابق**، ص: 80.

[6] _ **المصدر السابق**، ص: 161.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 159، 152، على التوالي.

[8] _ الحموي: **معجم البلدان**، 4/ 443.

[9] _ يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 86.

[10] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 11,

وقابليته للتجفيف، وكان بعض سكان الأرياف يلجؤون إلى إنضاجه قبل أوانه بذهنه بالزيت، لتسريع قطفه[1].

- **السفرجـــــــــل**

السفرجل عدة أنواع منها الحلو والحامض وله منافع كثيرة، والملاحظ أنه إذا قطع بسكين نشف ماؤه، وإذا كسر كان رطبا مائيا، وهو بارد يابس يزهر اللون ويسر النفس[2]، وقد ذكر الرحالة والجغرافيون وجوده في ريف المغرب الأوسط، وأشادوا بجودته، فكان بتنس "**من السفرجل الطيب المعنّق، ما يفوق الوصف في صفته وكبره وحسنه**"[3]، وكان لأهل المسيلة من السفرجل المعنّق ما يحمل إلى القيروان وأصله من تنس[4]، وهذا دليل على وجود فائض عن حاجة السكان وإلا لما قاموا بتصديره إلى مختلف الأصقاع، وبدون أنه شكل موردا ماليا هاما لهم، وكذلك سفرجل برشك كان أيضا طريفا وحلو المذاق[5].

هذا وقد اشتهرت مناطق ريفية بهذه الفاكهة مثل الخضراء[6]، شرشال[7]، ميلة، جبل بني زلدوي[8]، بالإضافة إلى تيهرت التي كان بها "**من جميع الثمار وسفرجلها الذي يفوق سفرجل الآفاق حسنا وطعما ومشمّا، وسفرجلها يسمى بالفارس**"[9].

---

[1] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 46.

[2] _ ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص: 95.

[3] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 78، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 153، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 138.

[4] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 85.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 87.

[6] _ **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 154، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 223.

[7] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 159، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 340.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 569.

[9] _ البكري: **المغرب**، ص: 68، القزويني: **آثار البلاد**، ص: 169، الحموي: **معجم البلدان**، 2/ 9,

- **الجـــــــوز**

وهو من المكسرات التي اشتهرت بها أرياف المغرب الأوسط، عبر جل الفترات التاريخية، وأشجار هذه الفاكهة تنبت بنفسها ولا تصلح إلا بالبلاد الباردة، وهو حار يابس وبطيء الهضم[1]، والجوز يغرس نقله قبل الربيع ويغرس أيضا في الربيع[2]، وكان منتشرا في كثير من النواحي في المغرب الأوسط مثل تبسة التي "**كان بها أشجار الجوز، والمثل يضرب بجلالته وبطيبه وبكبره**"[3]، رغم أن تربتها غير خصبة[4]، وكذلك نقاوس التي كانت كثيرة البساتين، وأكثر فواكهها الجوز[5]، الذي يحمل منها إلى القلعة وبجاية وإلى أكثر تلك البلاد[6]، ومن المناطق التي اشتهرت بكثرة الجوز إلى حد تصديره إلى الآفاق أيضا نجد سطيف[7]، كما كان متواجدا في وهران[8]، وتلمسان[9] أيضا.

ومن المكسرات التي اشتهرت بها أريافنا أيضا نجد اللوز في نقاوس[10]، وتلمسان[11]، وكذلك الفستق وهو إلى جانب اللوز والتين المجفف كانوا من أجود ما تنتجه بلادنا خلال هذه الفترة[12].

---

[1] _ ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص: 99.

[2] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ص: 294.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص، 76، مجهول: **الإستبصار**، ص: 163، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 130.

[4] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 63، مارمول: **إفريقيا**، 3/ 15.

[5] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 165، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 579.

[6] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177.

[7] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 170، الحميري: **المصدر السابق**، 318، ابن سباهي: **المصدر السابق**، ص: 386.

[8] _ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 151.

[9] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 145، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 177، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 135.

[10] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 77.

[11] _ الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 11.

[12] _ إسماعيل العربي: **الدولة الحمادية**، ص: 347.

- **التمر**

فاكهة التمر هي الأخرى فاكهة مباركة، وقد كانت ولا تزال منتشرة في معظم المناطق الجنوبية لبلادنا، وقد اهتم سكان بلادنا بزراعتها منذ القدم لما لهذه الفاكهة من قيمة غذائية كبيرة، وهي تعوض الفاكهة الأخرى عند قلتها، وهي زاد المسافر والمقيم ، خصوصا في الواحات الصحراوية.

وتعتبر شجرة النخيل أول شجرة استقرت على وجه الأرض، ومن عجيب أمرها أنك إذا أخذت نوى ثم تمر من نخلة واحدة وزرعت منها ألف نخلة، جاءت كل نخلة منها لا تشبه الأخرى[1]، والملاحظ أن نمو هذه الفاكهة يتم عبر مراحل عديدة وهي طلع، ثم خلال، ثم بلح، ثم بسر، ثم رطب، ثم تمر الواحة[2]، وقد رتّب أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى، بعض الأبيات عن أسماء ثمار النخل وهي:

وأسمـــــاء ثمار النخل في العـــر سبعــــة حكــاهـــا بليـــغ ثيّــــب الله مثـــواه

فطلــــع وكافــــور خـــلال مرتـــب كــــــذا بلــــح بســـر وفرطاب ملـواه

كــــذا رطـــب تمــــر تـــم أمـرها وأهـــل اللغـــا قالـوه لا تعرف فحواه[3].

ومن أكثر المناطق الريفية ثراء بهذه الفاكهة هي تلك الواقعة في المناطق المتاخمة للأطلس الصحراوي، والمناطق الجنوبية الصحراوية، ويذكر إسماعيل العربي بأن غابات النخيل تمتد من جنوب قسنطينة حتى بسكرة وطولقة[4]، ويفيدنا الرحالة والجغرافيون ككل مرة بمناطق تواجد هذه الفاكهة المباركة، فيذكر الإدريسي[5] أن: "**باغاي أول بلاد التمر**"، كما

---

[1] _ ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص: 91.

[2] _ بدر الدين المالكي بن أبي حمزة القرافي: **توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبه البلح**، عدد الأوراق 3، الخزانة الحسينية الملكية، الرباط، ضمن مجموع رقم 7248، 1 و.

[3] _ **المصدر نفسه**، 3و.

[4] _ **الدولة الحمادية**، ص: 227.

[5] _ **نزهة المشتاق**، ص: 177.

كانت كلا من بنطيوس، طولقة، تهودة، "**كثيرة الثمار والنخيل**"[1]، واستمرت هذه المناطق في انتاج التمور حتى نهاية العصر الوسيط[2].

وتعد بسكرة من المناطق التي اشتهرت بإنتاج التمور ذات الجودة العالية، حيث كانت:"**كثيرة النخل...فيها أجناس من التمور، منها جنس يعرف بالليارى، أبيض أملس، كان عبيد الله الشيعي يأمر عماله بالمنع من بيعه**"[3]، ومن بسكرة كانت تجلب أصناف التمر إلى حاضرتي تونس وبجاية[4]، وهذا دليل على الكثرة والوفرة، وثراء الواحات الصحراوية وازدهارها بالتمور، وقد ظلت بسكرة أيضا تنتج هذه الفاكهة إلى نهاية العصر الوسيط أيضا[5]، وهذا ما يفنّذ أيضا ما قاله روبير برنشفيك بشأن تراجع زراعة النخيل بعد مجيء الهلاليين إلى هذه البلاد.

ومن المناطق أيضا التي اشتهرت بإنتاج التمر نجد يعلى بن بادس[6]، مسيلة، طبنة، بلاد الزاب[7]، أرض فجيج[8]، ووراكلان[9]، هذه الأخيرة التي اشتهرت هي أيضا بكثرة النخيل فبقربها كان موضع يعرف بالبكرات، لجأ إليه أبو نوح سعيد بن زنغيل الذي فرّمن أبي تميم، فأكرمه أهل وارجلان وملأوا له بيتا إلى السقف تمرا[10]، وهذا دليل واضح على الرخاء والازدهار في إنتاج هذه الفاكهة.

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص: 72، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 142، 401.

[2] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 139.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 52، أنظر أيضا: مجهول: **الإستبصار**، ص: 179، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 113، ابن سباهي: **المصدر السابق**، ص: 272.

[4] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 212.

[5] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 139، مارمول: **إفريقيا**، 3/ 168.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 72، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 180.

[7] _ **المصدر نفسه، ص**: 176_ 177، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 558، 387، 281، على التوالي.

[8] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 180.

[9] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 600، ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص: 126، مارمول: **المصدر السابق**، 3/ 166.

[10] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 1/ 145.

وأشجار النخيل لم يهتم بزراعتها الفلاحين للكسب منها فقط، وإنما كان هناك من كان يزرعها بنية الصدقة الجارية مثلما فعل عيسى بن يرصوكسن عندما نزل بتلاعيسى، حيث غرس الأشجار من النخيل وصار في النخيل ودايا كثيرة[1]، ومن أجود أنواع التمور وأطيبها نوع يسمى **إيرار**، وعرفت الصحراء أيضا نوعا يعرف **بالفرتي** وهو شبيه بالإجاص شديد الحلاوة[2].

إذا كنا قد ركزنا في عرضنا هذا على المناطق الجنوبية فلأنها الوسط الممتاز لنمو أشجار النخيل، غير أن هناك من المناطق الشمالية التي اشتهرت بإنتاج التمور، فيذكر الزهري[3] بأن كلا من: بونة، بجاية، جزائر بني مزغنة، تعرف هذه البلاد بجزائر التمر لأن فيه نخلا كثيرا، وتمرا غزيرا، وينتهي التمر عندهم إلى أكثر من عشرة أجناس، لا يشبه بعضه بعضا، وهو أكثر طعامهم لأن الزرع عندهم قليل، وذلك بسبب العرب، وهذه الإشارة تدعونا إلى التساؤل عن سبب صمت معظم المصادر التي أرخّت لهذه الفترة، عن الحديث عن تمر هذه المناطق مثل الإدريسي، وصاحب كتاب الاستبصار، وحتى المصادر التاريخية الأخرى؟

لقد كانت التمور مادة غذائية هامة في حياة سكان أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، سواء في غذائهم، أو كمصدر لمعيشتهم بعد بيعها، أو التصدق بها[4]، وملائمتها مع البيئة الطبيعية والمناخية لهذه البلاد، هي التي زادت من إقبالهم على زراعتها والاهتمام بها.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، 2/ 277_ 278.

[2] _ سعدون: **المرجع السابق**، ص: 14.

[3] _ **الجغرافيا**، ص: 107.

[4] _ فتوى اللخمي: البرزلي، **جامع مسائل الأحكام**، 5/ 48_ 49.

- **فواكـــــه أخـــــرى**

لقد زخر ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، بفواكه أخـرى ذكرها الرحالة والجغرافيون، وحتى المصادر التاريخية لكن باختصار وبدون تفصيل، وربما هذا راجع إلى قلة كمياتها مقارنة مع الفواكه التي أشرنا إليها آنفا، أو لأن الأرياف نفسها لم توليها القدر الكافي من العناية والاهتمام، ومن هذه الفواكه نجد:

التفاح: يذكر صاحب كتاب الاستبصار [1] أن"**تفــاح القـــل كان جليلا**"، وأيضا جيجل كانت كثيرة التفاح[2]، وأكثر ما يكون في جبل العنصل[3]، وانتشرت هذه الفاكهة أيضا في جبل الرحمن وجبل بني زلدوي[4]، كما اشتهرت ميلة بكثرة التفاح والإجاص وغيرها من الفواكه[5].

ولم يقتصر إنتاج هذه الفاكهة على المناطق الشمالية فحسب؛ وإنما كان موجودا حتى في المناطق الجنوبية، فيذكر الدرجيني[6] أنه "بعد زيارة أبا القاسم يونس بن أبي زكرياء وأبا نوح صالح لأبي محمد عبد الله بن مانوج، وانفصلا عن موضعه متوجهين إلى موضعهما، مرّا **بشجر التفاح** قد أينع ثمره واحمّر، والشجر لأبي محمد"، ولعل هذه الإشارة دلالة على عناية سكان الأرياف بإنتاج هذه الفاكهة.

العناب: فاكهة العناب أنواع عديدة منها البري والبستاني، وهو كثير الحمل وشجره مشوك[7]، وقد كانت هذه الفاكهة كثيرة في بونة، وسميت ببلد العناب لكثرة العناب فيها، ومنها خشب سقوفهم ووقودهم منه، وجميع ما يتصرفون فيه[8]، وكان السكان يقومون بتجفيفه ليؤكل في الشتاء[9]، وهذه الاستعمالات الكثيرة لهذه الفاكهة دليل واضح على كثرتها ووفرتها في الريف آنذاك.

---

[1] _ مجهول: ص: 127.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 128، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 184.

[3] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 166.

[4] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 569.

[5] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 60.

[6] _ طبقات **المشايخ**، 2/ 214.

[7] _ ابن الوردي: **خريدة العجائب**، ص: 92.

[8] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 115.

[9] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 62.

المشمش: شجرة هذه الفاكهة يسرع إليها الفساد عند النشوء، لكنه إذا نبت طال مكثه[1]، ذكر القلقشندي[2] وجود هذه الفاكهة بوهران، وقال إن مشمشها يقابل مشمش دمشق.

ومن الفاكهة أيضا التي اشتهرت بها أريافنا أيضا نجد الخوخ والبطيخ والكرز[3]، وكذلك الخروب الذي انتشرت أشجاره في كل من ندرومة وجبل مطغرة[4]، بالإضافة إلى أشجار التوت التي كانت موجودة في القل وشرشال[5].

كما كثرت في الواحات الجنوبية بعض الفاكهة أيضا مثل الفقوس والشتوية[6]، وعند هطول الأمطار بغزارة في بعض السنين، فيؤدي ذلك إلى نمو ثمرة في باطن الأرض تشبه البطاطا تسمى الكماة[7].

كانت هذه نظرة عامة عن الفواكه التي زخر بها ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، والتي كانت ضمن الغذاء الأساسي للسكان، ومصدرا لدخلهم المالي، وبالرغم من قلة المادة الخبرية التي أوردتها لنا المصادر، في هذا الجانب إلا أنه من المؤكد أنه لم يخل أي شبر من أريافنا من المحاصيل الزراعية سواء كانت حبوبا، أو بقولا، أو خضرا أوفواكها.

2د_ النباتات الصناعية

كانت النباتات الصناعية وفيرة ومتنوعة في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، ومن أهم هذه النباتات هي:

- **القطـــــن**

القطن نبات أصله من الهند، وهو من المحاصيل التي أدخلها المسلمون إلى هذه

---

[1] _ ابن الوردي: **المصدر السابق**، ص: 91.

[2] _ **صبح الأعشى**، 5/ 111، أنظر أيضا: أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 141.

[3] _ الوزان: **المصدر السابق**، ص: 11.

[4] _ مارمول: **إفريقيا**، 2/ 362.

[5] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها، الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 33.

[6] _ الوسياني: **السير**، ص، ص: 40، 62.

[7] _ سعدون: **المرجع السابق**، ص: 14.

البلاد[1]، ومن المناطق الريفية التي اشتهرت بكثرة القطن نجد طبنة والمسيلة[2]، بالإضافة إلى مستغانم التي "**يندر في أرضها القطن فيجود وهي بقرب نهر الشلف**"[3]، وندرومة التي يجود بها القطن بكثرة[4].

هذا وقد كانت زراعة القطن واسعة الانتشار في إفريقيا الشمالية منذ القرن 4هـ/10م، وظل القطن يعتبر من المحصولات الرئيسية في بلاد المغرب حتى القرن 10هـ/16م، حينما كان البندقيون يستوردون كميات كبيرة منه لا سيما من وهران[5].

- **الكتـــــان**

كانت زراعته هو الآخر واسعة في ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، وكانت أكثر النواحي كتانا هي بونة[6]، قزرونة(متيجة)[7]، مقرة[8]، طبنة[9]، قسنطينة[10]، كما يكثر الكتان أيضا عند أهل برشك، ويشتغل معظمهم في حياكة الأقمشة التي تحمل إلى الآفاق[11]، وهذا بدون شك دليل على وفرة هذه المادة الأولية وكثرتها في الريف.

لقد نال الكتان اهتمام الفلاحين بالدرجة الأولى، لأنه كان لباس معظم الفقراء والبسطاء في الريف، وبالإضافة إلى استعماله في صناعة الملابس فقد كان أيضا يستعمل في العلاج وخاصة القروح[12].

---

[1] _ إسماعيل العربي: **الدولة الحمادية**، ص: 249.

[2] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص، ص: 77، 85، البكري: **المغرب**، ص: 159، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 156، الحميري: **الروض المعطار**، ص، ص: 387، 518.

[3] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 80_ 81، البكري: **المغرب**، ص: 70، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 518.

[4] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 13، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 295.

[5] _ إسماعيل العربي: **العمران والاقتصاد**، ص: 347.

[6] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 77، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 192، ابن سباهي: **أقوم المسالك**، ص: 230.

[7] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 66، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 523.

[8] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 164، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 556.

[9] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 85.

[10] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 121.

[11] _ الوزان: **المصدر السابق**، 2/ 32 ، مارمول: **المصدر السابق**، 2/ 355.

[12] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 55.

- **الشهدانـــج**

يرى البعض أن أصل هذا النبات من أصل صيني أو فارسي، وهو نبات مماثل للقنب، وكانت تستعمل خيوطه في تحضير خيط قوي ومتين، ويستعمل في صناعة أثواب رقيقة وورق جيد[1]، وكانت أكثر المناطق الريفية التي يزرع فيها هذا النبات هي بني وازلفن حسبما ذكره الإدريسي[2]، غير أننا لم نجد في المصادر التي اضطلعنا عليها أية منطقة أخرى تنتج هذا النبات.

- **الحنـــاء**

ذكر الإدريسي[3] أن "**لبني وازلفن سوان يزرعون عليها الحناء**"، وهذه النبتة تستعمل عادة في تخضيب شعر الرأس واللحية والأطراف، ومن المؤكد أن سكان أرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، كان يستعملون الحناء في الأعراس(جهاز العروس)، والأعياد وحتى للأغراض الصحية والتجميلية الأخرى.

- **النيلـــة**

تستعمل النيلة عادة في تحضير الأصبغة، غير أن المعلومات المتعلقة بهذه النبتة في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة شحيحة جدا ماعدا الإشارة التي ذكرها صاحب كتاب الاستبصار[4] أن "**سكان فحص الغدير، عندهم النيلة مشهورة**"، كما كانت موجودة أيضا في قسنطينة[5].

- **الحلفـاء**

من المؤكد أن الحلفاء كانت وفيرة في أريافنا بدليل أن أبو مخلد يزيد بن كيداد قد أمر لفك حصاره في الأوراس بخمسمائة ثور، وأن يشد بكل قرني ثور منها بحزمة حلفاء[6]، وهذا

---

[1] ـ **المرجع نفسه**، ص: 56.

[2] ـ **نزهة المشتاق**، ص: 154.

[3] ـ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[4] ـ مجهول: ص: 167.

[5] ـ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 121.

[6] ـ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 99/1.

العدد ليس بالقليل وبالتالي كميات الحلفاء التي استعملت كبيرة جدا، كما تواجدت الحلفاء أيضا في قسنطينة[1].

أما عن المناطق الجنوبية والتي لا تزال إلى يومنا هذا مشهورة بالحلفاء، خصوصا في السهوب ورفارف الصحراء، ، فقد استعملها السكان في حياتهم اليومية، فكانوا يصنعون منها حبالا وحصرا، وكان البعض متخصصا في تصنيعها، كما تستعمل الحلفاء علاجا لبعض الأمراض أيضا[2].

3_ تخزيـــن المحـــاصيـــل

لقد كان سكان ريف المغرب الأوسط يقومون بتخزين المحاصيل والأطعمة، تحسبا للأزمات والعوارض التي قد يتعرضون لها، خصوصا إذا علمنا أن الحياة الريفية خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، كانت مضطربة نتيجة للعوامل الطبيعية والبشرية حسبما أشرنا إليه آنفا.

والملاحظ أن أكثر المحاصيل التي كان سكان الأرياف يقومون بتخزينها هي القمح لأنه يدوم طويلا، وللوصول إلى عملية التخزين، يمر الفلاحون الريفيون بعدة مراحل، فبعد عملية الحصول على القمح الصافي بعد حصاد الزرع[3]، ونقله إلى البيادر أو الأندر[4]، أين تقوم الدواب بدرسه، لينقل بعد ذلك إلى المطامير[5]، أو الأهراء، وقد برع أهل ريف المغرب الأوسط في تخزين المحاصيل، فيذكر الإدريسي[6] أنه في<<**قسنطينة إدخار الحنطة في مطاميرها مئة سنة لا تفسد**>>، كما تخزن الحنطة في القلعة <<**فتبقى العام والعامين لا يدخلها فساد ولا يعتريها تغيير**>>[7].

---

1 _ ابن سعيد: **المصدر السابق**، ص: 121.

2 _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 55.

3 _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 5/ 48_ 49، الوسياني: **السير**، ص: 20.

4 _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 76_ 77، الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 236.

5 _ المازوني: **الدرر**، ورقة 21ظ.

6 _ **نزهة المشتاق**، ص: 166.

7 _ **المصدر نفسه**، ص: 166.

والملاحظ أن المطامير كانت تقام في بيوت الفلاحين، وهذه المطامير يجب أن تكون في "**المواضع الباردة الرايحة النظيفة**"[1]، وعموما يشترط أن يكون مكان التخزين خاليا من البلل والرطوبة، ويكون بابها وطاقها التي للضوء من جهة الشرق لأنها مهب ريح الصبا وهي أقل الرياح رطوبة[2].

وبالإضافة إلى المطامير استخدم أهل الريف أيضا الصوامع التي تنحت في الصخور، ويتم فيها تخزين المحاصيل والأغلال[3]، كما كان يتم تخزين البصل والثوم والكراث والجزر في الأواني، ويتم تعليقها على الحيطان مختلطة بيسير من الملح[4].

المطلب الثاني: نشاط الرعي وتربية الحيوانات بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

كثيرا ما كانت تربية الحيوانات والدواجن متصلة بالزراعة، سواء من حيث المناطق أو الأشخاص القائمين بها، أو لاعتماد الواحدة على الأخرى، فدراسة مثل هذه الأعمال المتصلة بالزراعة عمل مكمل لدراسة اقتصاد ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، وتربية الحيوانات والرعي هي جزء من النشاط الفلاحي في ريف المغرب الأوسط، نظرا لاستخدام هذه الحيوانات في أعمال الزراعة من حرث ودرس ونقل المحاصيل إلى المطامير البيوت، وسقي المحاصيل بالإضافة إلى توفيرها للمواد الغذائية(لحوم، ألبان، إدام)، والأولية(جلود وأصواف)، وعلى غرار النشاط الزراعي، فقد كان نشاط الرعي أيضا مرتبطا بالظروف المحيطة به سواء الطبيعية و البشرية كالتالي:

1_ العوامل المؤثرة على نشاط الرعي

ففيما يتعلق **بالظروف الطبيعية**، فإن توفر المراعي وخصبها يساهم في ازدياد الثروة الحيوانية، وتركزت مناطق الرعي(المسارح) قرب مجاري الأنهار والمناطق الخصبة، إذ أن

---

[1] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ص: 660.

[2] _ يحي أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 2/ 191.

[3] _ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] _ ابن العوام: **المصدر السابق**، ص: 682.

الماشية تحتاج إلى المراعي المسارح ومواضع الكلأ أو الشعرى التي كانت مجعولة مسرحا للمواشي ومحتطب[1].

والملاحظ أن النباتات الصالحة لتغذية الحيوانات الداجنة كانت وافرة جدا، ومما لاشك فيه أن تلك النباتات التي كان يستعملها الرعاة لمواشيهم، كانت مماثلة للنباتات الموجودة في الوقت الحاضر دون شك[2]، ويفيدنا الرحالة والجغرافيون عن المنطق الريفية التي كانت تزخر بالمسارح والمراعي الضرورية لمواشي الفلاحين في المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، بالرغم من اختلافهم في التعبير عنها من موضع إلى آخر، فتارة يشيرون إلى ثرائها "**بالمسارح**"، وهذه كناية عن كثرة المراعي الممتدة مثل متيجة[3]، الخضراء[4]، تامسلت ودكمة[5]، قصر الإفريقي[6]، وباغاية[7]، وفحص عجيسة بالقرب من الغدير[8].

بالإضافة إلى تيجس كانت هي الأخرى "كثيرة الكلأ والربيع"[9]، كما كان حصن بكر الواقع على الطريق ما بين القلعة وبجاية، كان هو الآخر على "مراع ممتدة"[10]، ويذكر الإدريسي[11] أيضا عن بجاية بأن "**بلادها وجميع ما ينضاف إليها تصلح فيها السوائم والدواب لأنها بلاد زرع وخصب**"، غير أن الملاحظ على هذه المراعي والمسارح كانت تتراجع في فترات القحط والجفاف، فتقل الثروة الحيوانية على غرار ما كان يحدث للمحاصيل الزراعية، وبدون شك أن أرياف المغرب الأوسط لم تكن بمنأى عن هذه الظروف القاسية.

---

[1] _ ابن أبي زيد القيرواني: **النوادر والزيادات**، 10/ 511.

[2] _ روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 2/ 233.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 65، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 523.

[4] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 60.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 60.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 53_ 54، الحموي: **معجم البلدان**، 4، 442، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 475.

[7] _ البكري: **المصدر السابق**، ص ص: 49_ 50، مجهول: **الإستبصار**، ص: 163، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 76.

[8] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 167.

[9] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 54.

[10] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 163.

[11] _ **المصدر نفسه**، ص: 162، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص: 81.

أما عن **العوامل البشرية** فقد كان لها الدور البالغ على هذا النشاط أيضا، مثل الهجرة الهلالية التي أسهمت في فتح المجال لتربية الماشية، خاصة الإبل والغنم، وإن كان الأمر في رأينا قد كان بصفة جزئية بالرغم من أن كلا من صالح بعيزق ودومنيك فاليريان، نقلا عن علاوة عمارة[1]، قد أوعزا انطلاق نشاط الرعي كان بعد الهجرة الهلالية، والمتزامنة مع زيادة الطلب على الأصواف والجلود في الأسواق الأوروبية، حيث تم التوازن بين الأنشطة الرعوية والزراعية بدون طريقة كارثية.

والملاحظ أن نشاط الرعي كان يتأثر بجملة من العوامل التي تؤثر عليه مثل الحروب والصراعات التي عاشتها هذه البلاد، والتي ذكرناها في الفصل التمهيدي، كما أن جهل الناس لزراعة العلف وادخار العشب من العوامل المساهمة في تراجع أعداد القطعان[2]، فينحصر نشاط الرعي في أحواز وضواحي المدن، ويمارس على نطاق ضيق.

2_ الثروة الحيوانية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

قبل الحديث عن الثروة الحيوانية بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، تجدر الإشارة إلى أن كلمة المواشي تدل على الأبقار والأغنام والماعز والإبل، وإن كنا غير معنيين بهذه الأخيرة، لأن دراستنا مرتكزة على الريف وليس البادية، في حين تدل كلمة الدواب على حيوانات الركوب مثل الخيول، البغال والحمير.

والملاحظ على المصادر التي اضطلعنا عليها وخصوصا الجغرافية منها، قد أشارت إلى وفرة الثروة الحيوانية وتوزعها في مختلف أنحاء أرياف المغرب الأوسط، كما أشار هؤلاء في مواضع بشكل عام دون التفصيل، لكن في مواضع ريفية أخرى تذكر أنواع الحيوانات بشكل مفصّل.

ومن المناطق الريفية التي اشتهرت بكثرة "**المـــاشية والدواب وسائر الكراع**"، نجد تلك

[1] Allaoua Ammara: **retour à la problematique**, OP SIT: P: 6.

_[2] روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 1/ 234.

الواقعة في المناطق الساحلية المشتهرة بكثرة المسارح والمراعي، مثل أرياف كلا من: بونة[1]، جيجل[2]، بجاية[3]، جزائر بني مزغناي، شرشال، مرسى الدجاج[4]، ووهران[5].

ولم يقتصر الأمر على المناطق الساحلية فحسب وإنما كانت المناطق الداخلية أيضا كثيرة المواشي كذلك، خصوصا في الجبال الريفية ذات المراعي الوفيرة مثل: واسلن[6]، حصن تيكلات(تاكلات)، قسنطينة[7]، القلعة، وقرية دارست[8]، طبنة[9]، الغدير[10]، مقرة[11]، المسيلة[12]، مازونة[13]، وتلمسان[14].

كما اشتهرت بعض الواحات الصحراوية الخصبة ببعض المواشي، التي كان يعتمد عليها السكان في غذائهم ولباسهم وأغطيتهم وسائر حاجاتهم مثل **واركلان**[15]، التي كانت كثيرة اللحم والسوائم، وكل هذه المعلومات هي دلالات هامة ومفيدة على ثراء ريف المغرب

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص: 55، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 192، مجهول: **الإستبصار**، ص: 127، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 116.

[2] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 169.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 162.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 159_ 160، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 163، 340، 539، على التوالي.

[5] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 86.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 78.

[7] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 163، 166.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 156، 157.

[9] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 78، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 340.

[10] _ **المصدر نفسه**، ص: 427.

[11] _ الحموي: **معجم البلدان**، 5/ 203.

[12] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها، البكري: **المغرب**، ص: 59، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 558.

[13] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 172، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 522.

[14] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 150، الزهري: **الجغرافيا**، ص ص: 113_ 114، الحميري: **المصدر السابق**، 135، العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 124.

[15] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 600.

الأوسط ووفرته بالمواشي والدواب، التي كانت كثيرة ومتوزعة في مختلف المناطق الريفية، وسنحاول خلال العرض الموالي أن نتعرف على كل نوع على حدى.

2أ_ المواشي: والتي تتمثل أساسا في:

- **الأغنـام**

لقد كانت الأغنام من أشهر الثروات انتشارا في ريف المغرب الأوسط طيلة العصر الوسيط، وكانت الأغنام منتشرة بكثرة في بجاية التي كان من تجارتها "**الغنم والصوف والماشية من الدواب وسائر الكراع**"[1]، واستمرت بها هذه الثروة حتى في الفترات اللاحقة، فيذكر الغبريني[2] إن:<<**بها سوق يعرف بسوق الصوافين**>>، ولعل هذا دليل على كثرة الأغنام بها، كما كانت الأغنام وفيرة في كل من طبنة، قرية دابست وتيهرت[3]، كما كانت قبيلة كومية وهي قبيلة عبد المؤمن بن علي كان سكانها أصحاب فلاحة، ورعاة غنم[4] أيضا.

أما البكري فنستغرب لعدم ذكره لهذه الثروة الحيوانية، في حين نجد الإدريسي يذكر هذه الثروة الحيوانية مقترنة مع البقر في كثير من مواضع ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، فكانت كلا من: تدلس، جزائر بني مزغناي، وهران، المسيلة، وتاهرت[5]، ولم يتعلق الأمر بالإدريسي فحسب فقد ذكر الدرجيني[6] أيضا بأنه عندما "خرج أبو موسى عيسى لطلب العلم، ترك قومه أصحاب شياه وبقرات "، ومن الأدلة على ازدهار الأغنام خلال هذه الفترة أن عبد المؤمن بن علي عند مروره بإحدى قرى تلمسان أهدى لأحد العائلات ألف رأس من الغنم[7].

---

[1] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 79.

[2] _ **الدراية**، ص: 177.

[3] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص، ص: 85، 110.

[4] _ صالح بن قربة: **عبد المؤمن بن علي**، ص: 56.

[5] _ **نزهة المشتاق**، ص: 160، 159، 153، 155_ 156، 157، على التوالي، أنظر أيضا: الحميري: **الروض المعطار**، ص: 127، 132، 163، 558، 613، على التوالي.

[6] _ **طبقات المشايخ**، 2/ 187_ 188.

[7] _ ابن عذاري: **البيان**، 4/ 81.

كما كانت الأغنام عماد ثروة الكثير من المناطق الريفية الجنوبية مثل وادي أريغ(تقرت حاليا)[1]، وغيرها من المناطق بل إن هناك من الفلاحين الأثرياء من كان يستأجر الرعاة لرعي أغنامه لمدة طويلة، فهذا عبد الله بن مانوج[2] قدم ذات يوم إلى راعيه فسأله عن الغنم، فقال هي صالحة الحال، وإن وهب الله لها العافية إلى قابل فستكمل المائة[3]، وهذا دليل على أنه قليلا ما كان يتفقد الماشية الخاصة به، وهناك من كان يقوم برعي أغنامه بنفسه مثل أبو محمد واسلان المزاتي[4]، وكانت تجتمع إليه الرعاة يغني لهم، لكنه توجه فيما بعد لطلب العلم[5].

لقد ظلت الأغنام من أكثر الأنعام طلبا وتفضيلا لدى سكان الأرياف لما للحومها من فوائد صحية، أكثر من البقر والماعز، كما حرص سكان الأرياف والبوادي على اختيار الشياه الصالحة للأضاحي[6]، والتي تتلائم مع هذه المناسبة الدينية، ومن الأدلة الواضحة على أهميتها أن اغتصابها من قبل الأعراب أثار جدلا كبيرا عند الفقهاء، سواء بشأن بيعها، أو بيع لحومها[7]، أو دفع الزكاة المستحقة[8]، ....إلخ.

- **الأبـقار**

تكثر تربية الأبقار في المناطق الدائمة الخضرة والعشب، فأكثر السكان الذين مارسوا تربيتها هم سكان السهول، وكانت هذه الحيوانات موجودة بأرياف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، ولكن على الأرجح أنها لم تكن كثيرة الوفرة مقارنة بأعداد الأغنام،

[1] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، ص: 210.

[2] _ من أهل الطبقة التاسعة، كان من العلماء الأجلاء، كان كثير العلم مفعم الوعاء.(أنظر: **المصدر نفسه**، ص: 221).

[3] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 222_ 223.

[4] _ من أهل الطبقة الثامنة، اتبع الرشاد وجد واجتهد، فأصبح عالما جليلا، فكان بالمجاهدة مذكورا وبالعلم والورع مشهورا.(أنظر: **المصدر نفسه**، ص: 190).

[5] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[6] _ الدرعي: **الأجوبة الناصرية**، 48 و.

[7] _ فتوى المازري: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 171.

[8] _ فتوى السيوري: **المصدر نفسه**، 1/ 545.

ومع ذلك فقد تحدث عنها بعض المؤرخين والجغرافيين، وتكمن أهمية هذه الثروة في توفيرها للحوم والأسمان والألبان على غرار الأغنام ، إلا أنها تستخدم في أعمال الفلاحة[1].

لقد تحدث عن ابن حوقل[2] عن وفرة الأبقار في طبنة، كما كانت الأبقار أكثر ما يملكه سكان جزائر بني مزغناي حيث يذكر بأن:<<**أكثر أموالهم المواشي من البقر سائمة في الجبال**>>[3]، وبالرغم من عدم إكثار البكري الحديث عن المواشي في ريف المغرب الأوسط، إلا أنه ذكر أن أكثر لحمان بونة من "**البقر**"[4]، أما الإدريسي[5] فقد أشار هو الآخر إلى أن "**أكثر سوائم بونة البقر**".

هذا وقد ازدهرت تربية الأبقار بكثرة في العهد الموحدي، فقدى أهدى عبد المؤمن بن علي ألف رأس من البقر لإحدى العائلات أثناء مروره بإحدى قرى تلمسان[6]، كما اشتهرت منطقة الأوراس بهذه الثروة الحيوانية أيضا فقد استخدم أبو يزيد خمسمئة ثور لفك حصاره في الأوراس[7]، وهذا العدد ليس بالقليل ودليل على كثرة الأبقار بهذه المنطقة.

بالرغم من هذه الإشارات القليلة التي وجدناها في المصادر عن تربية الأبقار بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، إلا أن المرجح أن الرحالة والجغرافيون اقتصروا على ذكر"**اللحمان والأسمان**"، للدلالة على الأبقار ولذلك لم يكثروا من الحديث عنها.

- **المـــــاعــــــز**

لقد أهملت المصادر التي اضطلعنا عليها ذكر هذا النوع من المواشي، والمرجح أن السبب يعود إلى كثرة الأغنام والأبقار، كما أن سكان الأرياف كانوا يفضلون هذين النوعين

---

[1] _ الدباغ: **معالم الإيمان**، 4/ 44، 45.

[2] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 85.

[3] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[4] _ **المغرب**، ص: 55، أنظر أيضا : الحميري: **الروض المعطار**، ص: 155.

[5] **_ نزهة المشتاق**، ص: 192.

[6] _ ابن عذاري: **البيان**، ص: 81.

[7] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 1/ 99.

عن الماعز، والملاحظ أن المراعي الملائمة للماعز هي الغابات والسهوب الشجرية، وكانت أهم مناطق تواجدها هي جبال البابور وبني راشد[1].

2ب_ الـــــــــــدواب: ويشتمل هذا الصنف على:

- **الخيـــول**

لقد احتلت الخيول مكانة هامة في حياة المجتمع المغربي، بشقيه الريفي والحضري بالرغم من أن الريف هو مصدرها الأساسي، وكانت رمزا للهدايا والأعطيات، والفروسية، والفخر والاعتزاز، كما أنها من الأمور التي لا يمكن الاستغناء عليها في الحروب، والسفر،...إلخ، ولما كانت الخيول رمزا لقوة وشرف القبائل، كان تجريدها من الخيول من بين الأهداف العسكرية لإذلالها وهزيمتها[2].

والخيل أصيلة في هذه البلاد منذ القدم، وكانت متواجدة ووفيرة طيلة العصر الوسيط، فقد غنم عقبة بن نافع من أهل باغاية، خيلا لم يروا في مغازيهم أصلب ولا أسرع منها من نتاج خيل أوراس[3]، كما كانت أكثر أموال أهل كتامة؛ الخيول[4]، كما أهدى جعفر بن حمدون صاحب المسيلة لإسماعيل بن المنصور هدية منها: "**25 فرسا ومثلها نجباء**"[5]، وظلت هذه البلاد على غرار باقي بلاد المغرب الإسلامي ككل مصدرا للخيول، المتواجدة بها بكثرة[6].

وعن الفترة قيد الدراسة، يمكن استنباط بعض الإشارات عن تواجد الخيول وإنتاجها من قبل الأرياف، في بعض المصادر التاريخية، فكان من حملة ما أجراه المعز على ابن عمه حماد في إقامته كل يوم ثلاثاء ثلاثون فرسا بسروج الذهب[7]، كما بعث صندل عامل باغاية عام 408هـ، هدية إلى المعز فيها 335 برذوذا بالسروج المحلات[8]، ولعل تصدير المملكة

---

[1] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 339.

[2] _ السلاوي: **الإستقصا**، 2/ 238.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 146، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 77.

[4] _ القاضي النعمان: **إفتتاح الدعوة**، ص: 38.

[5] _ أبو بكر الصنهاجي: **أخبار ملوك بني عبيد**، ص ص: 36_ 37.

[6] _ أبو كاليوس: **قطف الزهور**، ص: 228.

[7] _ ابن أبي دينار: **المؤنس**، ص: 76.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 76_ 77، ذكر ابن عذارى هذه القصة في سنة 415هـ. **أنظر**: **البيان**، 1/ 273.

الحمادية للخيول العربية والبربرية إلى أوروبا[1]، دليل على أعداد الخيول الوفيرة التي زخرت بها أريافنا خلال تلك الفترة.

ويؤكد الرحالة والجغرافيون ما ذكرته المصادر التاريخية الآنفة الذكر، عن إنتاج ريف المغرب الأوسط للخيول، فكان لأهل المسيلة" **سوائم خيل** "[2]، وبتاهرت بها من نتاج البراذين كل حسن[3]، كما اشتهرت تلمسان بالخيل الراشدية، التي لها الفضل على سائر الخيل[4]، ومما يؤكد على ثراء تلمسان بها، أن الموحدين كانوا يعتمدون على ما يغنمون من خيل المرابطين كما فرض على تلمسان عام 580هـ/ 1184م، 700 فرس معونة للأندلس[5].

والملاحظ أن كثرة الحروب وقلة الخيول خلال القرن 6هـ/ 12م، عند المرابطين والموحدين هي التي دفعتهم لغزو سهول وادي شلف وجبال وانشريس، حيث إنتاج الخيول هناك كان وفيرا[6]، وبالرغم من الآثار السلبية التي أحدثها الهلاليون في بلاد المغرب الأوسط، إلا أنهم اهتموا بتربية الحيوانات خاصة الخيول، وانتخاب الأنواع الأصيلة حتى اشتهرت المنطقة الممتدة من برقة حتى تلمسان بتربية الخيول "**العتاق الأحساب المدرية عند الأعراب**"[7]، وتأثرت بهم بعض القبائل الزناتية في هذا المضمار[8].

خلاصة القول أنه بالرغم من الإشارات القليلة حول تواجد الخيول في أرياف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة إلا أن طبيعة المجتمع الريفي، والحروب التي عاشتها المنطقة لخير دليل على أنها كانت وفيرة في كثير من الأرياف آنذاك.

---

[1] _ إسماعيل العربي: **العمران والاقتصاد**، ص: 346.

[2] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 155.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 157.

[4] _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 52، الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 871.

[5] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 200.

[6] _ ابن عذاري: **البيان**، 4/ 11.

[7] _ مصطفى أبو الضيف: **القبائل العربية**، ص: 337، عبد الحميد خالدي: **المرجع السابق**، ص: 191.

[8] _ مصطفى أبو الضيف: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

- **الحميـــــــر والبغــــــال**

مما لاشك فيه أن الحمير والبغال كانت متواجدة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، وكانت لها أهمية بالغة في حياة الإنسان الريفي لاستعمالاتها العديدة كالركوب والسفر ونقل الأحمال، لذلك نهى الفقهاء عن أدية البهائم والعنف بها كإثقالها بالأحمال وإرهاقها في سرعة المشي بالضرب والزجر[1].

لقد أشار الرحالة والجغرافيون إلى الحمير والبغال من خلال قولهم" **سائر الكراع** "، فقد كانت كلا من بونة، المسيلة، وتاهرت، كثيرة الدواب[2]، كما كانت طبنة وافرة الكراع أيضا[3]، وأشار الإدريسي[4] إلى أن "**القلعة بها السوائم والدواب**"، ويصف ابن رشيق "**البغل**" في ديوانه حيث يقول:

فـــأوصيكـــــم بالبغـــل شـــر فإنه ـــــن العيـــر فـــي ســـوء الطبـــاع قريـــب
وكيـــف يجيـــئ البغل يوما بحاجـــة تســـــر وفيـــــه للحمـــــــار نصيـــــب[5].

وبالرغم من النظرة المشينة التي طالما يوصف بها هذا الحيوان، إلا أن المؤكد أن هذا الحيوان كان متواجدا بأعداد كبيرة، نظرا لأهميته البالغة في سائر الأعمال.

2جـ_ النحــــــــــــل

كان لوفرة البساتين في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، الأثر الكبير في ازدهار تربية النحل وإنتاج العسل، الذي يعد من المنتوجات الفلاحية ذات الأهمية الكبيرة، نظرا لاستعمالاته العديدة، علاوة على كونه مادة غذائية؛ فقد جعل الله تعالى فيه شفاء للناس من أمراض كثيرة.

---

[1] محمد بن أحمد بن قاسم التلمساني: **تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر**، تحقيق علي الشنوفي، Extrait du Bulletin d'ètudes orientales de l'institut françaises de DAMAS, Tome 19, 1967, P: 69.

[2] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 77.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 85_ 86.

[4] _ **نزهة المشتاق**، ص: 117.

[5] _ رشيد بورويبة: **الدولة الحمادية**، ص: 175.

لقد اهتم سكان ريف المغرب الأوسط بتربية النحل[1]، ويعتبر ورق التوت مفيد جدا لتربية هذا النوع من ثروات الريف[2]، ومن الأدلة على كثرة النحل في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة هي الإشارات التي ذكرها الرحالة والجغرافيون، بشأن انتشار النحل والعسل في الكثير من المناطق مثل بونة[3]، جيجل[4]، وكذلك جزائر بني مزغناي وشرشال التي كان بها" **النحل كثير والنحل بها ممكن**"[5]، بالإضافة إلى برشك[6]، وهران ومازونة[7].

ولم يقتصر إنتاج النحل على المناطق الساحلية أين تكثر الخضرة والبساتين والأزهار التي تغذي النحل، بل كانت هناك مناطق داخلية اشتهرت أيضا بتربية النحل وإنتاج العسل مثل تاهرت[8] وقسنطينة[9]، وهذه الإشارات جميعا تدل على العناية الكبيرة بتربية النحل المنتشرة في مختلف المناطق الريفية، بالرغم من أن عز الدين عمر موسى قد ذكر بأن النحل انتشرت تربيته قبل الغزو الهلالي في بونة وقسنطينة، لكن في العهد المرابطي والموحدي انتشرت في ساحل تلمسان[10].

ومما يدل على كثرة النحل أيضا هو دخول العسل في الغذاء اليومي لسكان الريف، وسنبين هذا في الفصل الثاني الخاص بالغذاء في الريف، كما أن العسل كان يقدم كغذاء

---

[1] _ الونشريسي: **المعيار**، 8/ 235.

[2] _ ابن العوام: **كتاب الفلاحة**، ص: 292.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 55، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 192، مجهول: **الإستبصار**، ص: 172، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 115.

[4] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 169، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 184.

[5] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 77_ 78، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص : 159، الحميري: **المصدر السابق**، ص ، ص: 163، 340.

[6] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 77.

[7] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 153، 172، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 613، 522.

[8] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 78، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 157، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 126.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 380.

[10] **_ النشاط الاقتصادي**، ص: 202.

لإكرام الضيوف وإطعامهم[1].

2د_ الطيـــــــــور

على غرار باقي الحيوانات الأخرى، فقد كانت أرياف المغرب الأوسط تزخر بمختلف أنواع الطيور الداجنة والبرّية، وقد استغل سكان الريف تربية الطيور لإنتاج اللحوم والبيض، كما استغلوا أزبالها في تسميد الأرض كذلك.

من الطيور الداجنة التي اعتنى بتربيتها فلاحو المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، نجد الدجاج[2] الذي يأتي في المرتبة الأولى، كما خمّن جودت عبد الكريم يوسف بأن تسمية مرسى الدجاج، يعود لشهرته بتربية هذا الطير[3]، كما ذكر الإدريسي[4] أنه "**من جزيرة الحمام إلى مصب وادي الشلف 22 ميلا، ومنه إلى قلوع الفراتين في وسط الجون 22 ميلا، والقلوع جباة بيض**"، وهذه الإشارة تدل على كثرة البيض بهذه النواحي والمرجح أنها بيض الدجاج، ومن جهة ثانية إشارة المؤلف إلى جزيرة الحمام نرجح هنا أيضا إلى كثرة الحمام بهذه النواحي كذلك.

لقد ذكر روبير برنشفيك بأن تربية الدجاج والحمام، كانت أكثر انتشارا من تربية الإوز[5]، والملاحظ أن الحمام قد نال هو الآخر عناية من قبل سكان الريف في المغرب الأوسط، وقد ورد ذكره في قصيدة للشاعر عبد الكريم الهنشلي المتوفي سنة 405هـ، في المسيلة، يصف نهرا في روضة:

عــلتهــا الــحمـــام بتــغريــدهــــا   كــــما سجـــع النـــوح فـــي مـــأتـــم

كما كان الحمام يستعمل طعاما، ويدرب على حمل الرسائل لمسافات بعيدة، كما يستعمل روثه سمادا كذلك[6]، ومن الطيور التي قام سكان الريف بتربيتها كذلك نجد طير الحجل[7]،

---

[1] _ التادلي: **التشوف**، ص: 331.

[2] _ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 113.

[3] _ **المرجع السابق**، ص: 69.

[4] _ **نزهة المشتاق**، ص: 172.

[5] _ **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي**، 2/ 235.

[6] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 69.

[7] _ التادلي: **التشوف**، ص: 302.

بالإضافة إلى طير السماني الذي كان متواجدا ببونة[1]، والخضراء[2] حيث ذكره الحميري باسم السوم، ومن الطيور أيضا نجد طائر الكيكل والمسمى بالخواص الذي كان متواجدا ببونة[3]، وطائر الباز[4]، والبط البري[5]، والملاحظ أنه كانت هناك أنواع أخرى من الطيور، لم تفصل المصادر فيها، فيذكر البكري[6] بأن:<< **بشرق قبر مادغوس بجبل شامخ؛ بحيرة مادغوس وهي مجمع لكل طاير** >>.

2هـ_ صيـــد البحـــــر(السمـــــك)

من المعروف أن بلاد المغرب الأوسط(الجزائر حاليا) تطل على البحر المتوسط، كما أنها تزخر بعدة أودية والأنهار الدائمة الجريان، وهذا بدون شك قد أمدها بثروة سمكية لا بأس بها، ومن الأدلة الواضحة على ممارسة سكان الريف لصيد السمك أن من الصيادين من كان يذهب لشراء من بعض سكان الأرياف، ليبيعوها في المدن[7].

لقد زخرت الكثير من مناطق المغرب الأوسط بكثرة الأسماك، ومن المؤكد أنه كانت هناك الكثير من المناطق الريفية التي كانت بالقرب من السواحل واستفادت من هذه الثروة البحرية، ومن الأمثلة على تلك المناطق نجد كلا من بونة[8]، مرسى الخرز[9]، جيجل[10]، ولم يقتصر الأمر على المناطق الساحلية فحسب؛ فقد كانت قرية هوز الواقعة على الطريق بين برشك وجزائر بني مزغناي "**بها قوم صيادون للحوت**"[11].

---

1 _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 131.

2 _ **الروض المعطار**، ص: 223.

3 _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 127، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 115.

4 _ الدرعي: **الأجوبة الناصرية**، 64 و.

5 _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 70.

6 _ **المغرب**، ص: 50.

7 _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 70.

8 _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 55، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 127، الحميري: **المصدر السابق**، 115.

9 _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 77.

10 _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 169، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 184.

11 _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 173.

هذا وقد زخرت أنهار المغرب الأوسط بهذه الثروة السمكية أيضا مثل نهر المسيلة الذي كان به"**سمك صغير فيه طرف حمر حسنة**"[1]، كما كان يظهر"**بنهر الشلف، في كل سنة في زمان الورد صنف من السمك يعرف بالشهبوق، وهو سمك طوله ذراع ولحمه طيب إلا أنه كثير الشوك، ويبقى شهرين ويكثر صيدها في هذا الوقت ويرخص ثمنها، ثم ينقطع إلى القابل**"[2]، وبدون شك أن المناطق الريفية الواقعة بالقرب من هذه الأنهار قد استفادت من تلك الأسماك.

2و_ حيـــوانـات أخـرى

لقد زخر ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11 و12م، بحيوانات عديـدة منـها **الأليفة** مثل القطط[3]، والكلاب[4]، **والحيوانات الصيدية** التي تشتمل على الأرنب البري والظبي والغزالة والثعلب[5]، بالإضافة إلى الظلمان والحبارى[6] و من **الحيوانات البرية والمتوحشة** نجد الحيوان المشوك المسمى بالذرب[7]، والذئاب[8]، وكذلك الغزلان والوعول والنعام[9]، والقرود والفهود والسباع التي تفترس الكثير من الناس[10]، وهنا يتضح لنا كيف أن الاستعمار هو الذي قضى على هذه الثروة الحيوانية في بلادنا والتي كانت متواجدة بكثرة في هذه البلاد خصوصا في الصحراء الجزائرية التي كانت كثيرة الأسود واللبؤات[11].

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 156، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 558.

[2] _ القزويني: **آثار البلاد**، ص: 148.

[3] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 283.

[4] _ المالكي: **رياض النفوس**، 1/ 184، الونشريسي: **المعيار**، 2/ 18، روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 2/ 235.

[5] _ **المرجع نفسه**، ص: 236.

[6] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، ص: 278.

[7] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 130.

[8] _ القزويني: **المصدر السابق**، ص: 173، الدرعي: **الأجوبة الناصرية**، 64 و.

[9] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 11.

[10] _ **المصدر نفسه**، ص: 51، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 376.

[11] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، 1/ 40_ 41.

كانت هذه نظرة عامة عن الثروة الحيوانية التي زخرت بها أريافنا خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، والملاحظ أنها كانت كثيرة ومتنوعة منها الأليفة التي استأنسها الإنسان واستفاد منها، والمتوحشة التي شكلت مصدر قلق وخوف للإنسان الريفي، وهذه الثروة الحيوانية إلى جانب المحاصيل الزراعية، قد شكلت المواد الأولية التي استخدمها الإنسان الريفي في الحرف التي كان يزاولها خلال هذه الفترة.

المبحث الثالث: النشاط الحرفي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لقد عرف ريف المغرب الأوسط الكثير من الصناعات الحرفية والتي اشتهرت بها منذ القدم، وهذه الحرف كانت تعتمد على تحويل المنتجات الزراعية والحيوانية إلى سلع قابلة للاستهلاك، وقد ساعد على قيام هذه الحرف توفر المواد الأولية والمعادن، والتي سيتم التطرق إليها بالتفصيل خلال المطلب التالي.

المطلب الأول: المواد الأولية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

تزخر بلاد المغرب الأوسط بثروة خشبية و معدنية معتبرة، توفر إلى جانب المنتجات النباتية(قطن، كتان...)، والحيوانية(جلود، أصواف...)، موادا أولية يستخدمها سكان الأرياف وحتى البوادي في بعض الحرف اليدوية، لتوفير بعض المتطلبات في حياتهم اليومية البسيطة، ومن هذه المواد الأولية نجد:

1_ الأخشاب

لقد كانت الأخشاب عماد الحياة الريفية للمغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، نظرا لتعدد استعمالاتها(طهو الطعام، التدفئة، سقوف المنازل،الأواني...)، وكان لاعتدال المناخ في المناطق الشمالية لبلادنا، أن زخرت جباله وهضابه بالخضرة التي تعود لكثرة الغابات والأشجار، التي وفرت ثروة خشبية هامة.

ومن الأدلة الواضحة على كثرة الغابات والأشجار بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م؛ هي شهادة الرحالة والجغرافيين بهذا الثراء، فتارة يذكرون "**كثرة الغابات**"

أو"**الشعراء** "، ومن المناطق التي اشتهرت بكثرة الغابات نجد زانة بالقرب من بونة من جهة الشرق[1]، كما كانت توجد غابات بجبال الرحمان، قرب القل حيث توجد أشجار خشبها قابل للخرط[2]، وكذلك ببجاية[3] فعندما وصف البلوي الطريق من الجزائر إلى بجاية، ذكر أنهم مرّوا في شعراء بالخوف مستعرة[4].

وبسفح جبل أوشيلاس (وانشريس) شعراء غامضة[5]، وهذا دليل على كثرة الغابات بهذا الجبل أيضا، كما كانت بليدة تاجرة مولد عبد المؤمن بن علي، تقع وسط دائرة من الجبال العالية وهي في القعر بحيث يتعذر اكتشافها لما يكتنفها من الغابات[6]، ولم تقتصر الغابات على المناطق الشمالية فحسب بالرغم من كثرتها هناك، إلا أنها كانت متواجدة أيضا ببسكرة التي كانت في "**غابة كبيرة مقدار 6 أميال**"[7]، وهذا دليل أيضا على وفرة الثروة الخشبية بها.

هذا ونجد في مواضع أخرى أن الرحالة والجغرافيين يشيرون صراحة إلى كثرة "**الأخشاب والأشجار**"، في عديد المناطق الريفية للمغرب الأوسط مثل بونة وبجاية[8] وأيضا تبسة[9]، وكذلك سطيف[10]، ميلة[11]، طولقة ومليانة[12]، وتاهرت[13].

كما يمكن استخلاص أنواع الأشجار التي شكلت ثروة خشبية هامة في ريف المغرب

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص: 54.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 83.

[3] _الحميري: **الروض المعطار**، ص: 81، الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 51، 101، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 375.

[4] _ البلوي: **تاج المفرق**، ص: 8.

[5] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 79، الحميري : **المصدر السابق**، ص: 600.

[6] _ عثمان الكعاك: **تلمسان عبر العصور**، ص: 121.

[7] _ البكري: **المصدر السابق** ، ص: 51، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 113.

[8] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص، ص: 192، 161.

[9] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 49.

[10] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 166.

[11] _الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 165، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 569.

[12] _ **المصدر نفسه**: ص، ص: 401، 547.

[13] _ القزويني: **آثار البلاد**: ص: 169.

الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، مثل شجر الزان بالقرب من بونة[1]، والأرز[2] في جرجرة وبوطالب والأوراس[3]، وأشجار الصنوبر بناحيتي بونة وبجاية[4]، والفلين خاصة في جيجل وبجاية والقالة، سكيكدة وعنابة، القل وجبال زواوة، جرجرة وراس بوقرعون[5]، والبلوط في جبال بابور والأوراس[6]، بالإضافة إلى أشجار الفاكهة المختلفة مثل الزيتون، التين، العنب والتمر...[7].

كانت هذه نظرة عامة عن الأخشاب التي زخرت بها معظم المناطق الريفية في المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/11و12م، والملاحظ أنها كانت تغطي مساحات كبيرة في شمال البلاد ولعل هذا يعود إلى كميات الأمطار الكبيرة والثلوج، كما احتوت المناطق الداخلية القريبة من الصحراء وحتى الواحات بهذه الثروة، التي استغلت بدن شك من قبل السكان الريفيين في حياتهم اليومية.

2_ المعـــــادن

لقد توفر ريف المغرب على كثير من المعادن، منها **الحديد** الذي كان موجدا في مجانة وبونة وبجاية[8]، و**الفضة** و**الرصاص** و**الإثمد** في مجانة[9]، كما كثر **النحاس** و**اللازورد** بجبل كتامة[10]، و**الجص** في متوسة التي تبعد عن بجاية ب12 ميلا[11]، وكان **الزئبق** في جبل

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص:54.

[2] _ فتوى بن رشد: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 136.

[3] _ موسى لقبال: **دور كتامة**، ص: 82.

[4] _ إسماعيل العربي: **العمران والاقتصاد**، ص: 351.

[5] _ موسى لقبال: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[6] _ محمد العيدروس: **المرجع السابق**، ص: 144.

[7] _ أبو كاليوس: **قطف الزهور**، ص: 228.

[8] _ البكري: **المصدر السابق**، ص، ص: 33، 70، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 192، مجهول: **الإستبصار**، ص:161، الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 607، القزويني: **آثار البلاد**، ص: 148، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 28، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 106.

[9] _ القزويني: **المصدر السابق**، ص: 148.

[10] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 83.

[11] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 169.

أرزاو[1]، كما كان يجلب من أقاليم بجاية "**الزفت البالغ الجودة والقطران**"[2]، بالإضافة إلى **الملح** الذي كان متواجدا بجبل بالقرب من بسكرة، فيقطع فيه الملح كالصخر الجليل، ومنه كان عبيد الله المهدي وبنوه يستعملوه في أطعمتهم[3]، وبدون شك أن سكان أريافنا قد استعملوه كذلك ليس في الأطعمة فحسب، وإنما لدباغة الجلود والأدوية،...إلخ.

ومن المعادن التي كثرت بأرياف المغرب الأوسط كذلك، نجد **الفحم** بجبل ترارة قرب هنين[4]، والحجارة المستعملة للمطاحن بمجانة[5]، ومعدن **التوتيا**(الزنك) بجبل ونشريس[6]، وبالرغم من أن إسماعيل العربي قد أشار إلى انعدام **الذهب** في المغرب الأوسط، الذي كان يتم استيراده إما من أوروبا أو من بلاد السودان[7]، إلا أن صاحب كتاب حدود العالم[8]، الذي يعود إلى القرن 4هـ/ 10م يذكر بأن "**سطيف كانت ذات ذهب كثير**".

3_ الصـــــــوف

يعد الصوف من أهم المواد النسيجية وأقدمها على الإطلاق بهذه البلاد، ونظرا لثراء ريف المغرب الأوسط بالأغنام خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وهو ما تناولناه في المبحث الخاص بالثروة الحيوانية، فقد كان إنتاج الأصواف وفيرا جدا في أريافنا أنذاك، وتجنبا للتكرار ارتأينا أن ننوه بهذه الإشارة باختصار، ومن الأدلة على الكثرة أيضا هناك من المناطق التي كانت تقوم بتصدير هذه المادة إلى باقي المناطق، مثل تلمسان التي كان يجلب منها الصوف إلى بلاد المغرب والأندلس[9].

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص: 70، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 28.

[2] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 161.

[3] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 52.

[4] مارمول: **إفريقيا**، 2/ 352.

[5] _ ابن حوقل : **صورة الأرض**، ص: 84.

[6] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 45، مارمول: **المصدر السابق**، 2/ 360.

[7] _ **الدولة الحمادية**، ص: 345.

[8] _ ص: 133.

[9] _ الزهري: **الجغرافيا**، ص: 114.

4_ القطـــن والكتـــان والحريـــر

كانت هذه المنتجات ذات الأصل النباتي متوفرة بكثرة في ريف المغرب الأوسط، خصوصا الكتان والقطن، وعلى غرار الأصواف فقد تم التطرق لكل من القطن والكتان والحرير في العنصر الخاص بالنباتات الصناعية، ويعتبر القطن والكتان من النباتات النسيجية التي تتطلب تربة خصبة وماءا غزيرا، وتتميز خيوط الكتان بالدقة والمرونة، والطول والصلابة، لذا تتعدد أغراض استخدامه في صناعة الملابس والحبال المتينة[1].

أما الحرير فقد ارتبط انتاجه بزراعة شجر التوت، وتربية دودة الحرير، وقد تناولت النوازل[2] الكثير من الإشارات التي تدل على شيوع زراعة الكتان، لكن الملاحظ أن الحرير كان يمثل لباس الأغنياء، أكثر من العامة التي ترتدي الملابس الكتانية والقطنية، وملابس الصوف.

5_ الجلـــــــود

كانت هذه المادة الأولية أيضا ذات الإنتاج الحيواني وفيرة هي الأخرى، في أريافنا خلال الفترة قيد الدراسة، بدليل انتشار الأبقار والأغنام والماعز في مختلف المناطق الريفية، نظرا لتعدد استعمالات الجلود في الكثير من احتياجات السكان الريفيين.

المطلب الثاني: الصناعات الحرفية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

بفضل المواد الآنفة الذكر، قامت بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، بعض الحرف والصناعات التي ساهمت في سد الحاجيات اليومية للسكان الريفيين، كما أن تطور هذه الصناعات والحرف مرتبط أساسا بتطور الزراعة والرعي، وتراجع هذه الأخيرة يؤدي حتما إلى تراجع النشاط الحرفي، وأهم هذه الحرف والصناعات هي:

[1] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 169.

[2] _ فتوى ابن رشد: الونشريسي: **المعيار**، 6/ 73.

1_ الصناعـــــة الغـــذائيـــــة

إن سعي الإنسان الريفي لتلبية احتياجاته اليومية، خصوصا الأكل جعله يهتدي إلى جملة من الصناعات الغذائية، ويمكن إجمال هذه الصناعات الغذائية في:

- **الطحن والخبـــــز**

لقد كان القمح والشعير يشكلان مادتين غذائيتين أساسيتين لسكان ريف المغرب الأوسط، وتقوم عليهما بعض الحرف والصناعات الغذائية مثل الطحن والخبز، وللحصول على الطحين كانت تستخدم الأرحاء(الأرحية)، لطحن الحبوب وقد كانت هذه الأخيرة منتشرة كثيرا في عموم المناطق الريفية لبلادنا، مثل تبسة[1]، متيجة[2]، مليانة[3]، إفكان[4]، وهران[5]، تلمسان[6] التي كانت كثيرة الأرحاء، لدرجة أن بنهرها الغربي فقط ثلاثة آلاف رحى[7].

وكانت الأرحاء توضع على أفواه الأنهار، فإذا خرج الماء أدارها، وهذا ممكن إذا كان جريان الماء يساعد على ذلك، وإلا فإن الناس يرفعون منسوب المياه ثم يدعونها تتساقط كالشلالات فتعمل قوة التساقط على إدارة العجلة، بل إن هناك الأرحية التي تدار بواسطة الحيوان[8]، ويرجح عز الدين عمر موسى[9] إلى أن أهل المغرب كانوا أكثر استعمالا للأرحاء التي تديرها الحيوانات، ونتيجة للمشاريع المائية التي حرص عليها الموحدون دفعتهم إلى إدخال الأرحاء المائية بأعداد كبيرة.

---

1 _ البكري: **المغرب**، ص: 146.

2 _ الحميري: **الروض المعطار**، ص: 523.

3 _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 60، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 154، الحموي: **معجم البلدان**، 5/ 227، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 547.

4 _ **المصدر نفسه**، ص: 51.

5 _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 135، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 613.

6 _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 76، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 150، الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 20.

7 _ أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 133.

8 _ المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص: 125.

9 _ **النشاط الاقتصادي**، ص: 237.

وإلى جانب هذا النوع من الأرحية كانت هناك أرحية أخرى متنقلة تدار باليد في المنازل[1]، والملاحظ أن الأرحاء كانت ذات أهمية بالغة في الحياة الريفية، لذلك كثيرا ما كانت تحدث النزاعات والمشاكل بين سكان الريف كإيصال المياه إلى البيوت[2]، كما كان السكان يقومون بكرائها[3]، أو الشركة فيها[4]، وكان يعمل بهذه المطاحن طحانون يطحنون الغلال للناس مقابل أجر معين[5].

وبعد الحصول على الدقيق كان سكان الريف يقومون بعملية الخبز في البيوت الخاصة بهم، وسنتعرض للخبز كغذاء رئيسي لسكان الريف في الفصل الثاني، ضمن المبحث الخاص بالتغذية في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

- **عصـــر الزيتـــون**

لقد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بهذه الشجرة، فمما لاشك فيه أن سكانه قد مارسوا حرفة عصر الزيتون وجعله زيتا، فقد كان أهل القرى الريفية يقومون بعصر الزيتون في المعاصر[6]، وربما كان بعض هذه المعاصر حكرا على أصحابها، إلا أن هناك بعض المعاصر التي كانت عامة، وكانت تدور بالماء أو الدواب، وكانت هناك طريقة ثانية تستخدم للحصول على الزيت وتتمثل في غلي الزيتون ثم عجنه، ويترك في أحواض فيطفو الزيت، لكن مردود هذه الطريقة يكون أقل إلا أن زيتها أجود[7].

---

[1] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 109.

[2] **_ فتوى عياض:** الونشريسي: **المعيار**، 8/ 388_ 389، 395.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 179.

[4] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[5] _ السقطي، **آداب الحسبة**، ص ص: 16_ 24.

[6] _ المالكي: **رياض النفوس**، 2/ 480_ 481.

[7] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص ص: 46_ 47.

لم ترد إشارات كثيرة عن كيفية استخراج الزيت، في المصادر التاريخية والجغرافية، ماعدا ما ذكره الحميري عند حديثه عن بجاية بقوله<<**ويجلب من أقاليمها الزيت الطيب**>>[1]، وهذا دليل عن وجود تقنيات خاصة كانت تستخدم في استخراج هذا الزيت، والملاحظ أن المصادر لم تذكر كثيرا عن استخلاص الزيت من مواد نباتية غير الزيتون، والمرجح أن هذا يعود إلى كثرة هذه الفاكهة ببلاد المغرب الأوسط أكثر من باقي المنتوجات الأخرى مثل السمسم والقطن.

- **تجفيف الفواكه واستخلاص العصائر**

لقد اهتم سكان أريافنا خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، بتجفيف الفواكه من ذلك التين الذي كان يعمل "**شرائح على مثال الطوب**" في كل من باجة الواقعة على الطريق ما بين سوق إبراهيم وتنس ومرسى الدجاج[2]، ومن الفواكه التي كانت تجفف أيضا نجد العنب الذي يحول إلى زبيب، هذا الأخير الذي كان يحمل من بجاية وبونة لايزال يحتفظ باسمه العربي في اللغة الإيطالية إلى اليوم[3]، ومن المرجح أن سكان ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، قد جففوا فواكه أخرى لوفرتها، كما تمت الإشارة إليه في مبحث المنتوجات الزراعية.

أما عن استخلاص المعاجن والعصائر فقد عرف أهل الريف استخلاصها أيضا مثل معجون السفرجل[4]، كما كان سكان ندرومة يصنعون من الخروب عسلا يأكلونه طوال السنة مع اللحوم[5]، كما قام فلاحوا المغرب الأوسط أيضا بتصنيع العصائر والخمور من مختلف الفواكه، لكن العنب كان أكثرها استعمالا وكانت أهم المناطق انتاجا هي جيجل[6].

- **تصنيع المنتوجات الحيوانية**

كان لانتشار الأبقار والأغنام بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، أن ساهم في توفير مواد غذائية وأولية لتصنيع منتوجات أخرى، فمن حليبها وألبانها صنعوا

---

1 _ **الروض المعطار**، ص: 81.

2 _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص، ص: 152، 160، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 539.

3 _ إسماعيل العربي: **العمران والاقتصاد**، ص: 347.

4 _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 111.

5 _ مارمول: **إفريقيا**، 2/ 295.

6 _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 242.

الأجبان والزبدة (الإدام)، وإشارة الرحالة والجغرافيين في هذا الصدد كثيرة وسنتناولها بإذن الله، في الفصل الثاني ضمن المبحث الخاص بالأغذية الخاصة بسكان ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

2_ الحياكـــة والنسيـــج

تعتبر حرفة النسيج إلى جانب الغذاء، من أهم الحرف المقومة لحياة الإنسان عامة، وليس الريفي فقط ، ونظرا لحاجة الإنسان في البيئة الريفية إلى بعض المنسوجات في حياتهم اليومية كاللباس والأفرشة، فقد زاول هذه الحرفة بدون شك والتي كانت تختلف عن منسوجات أهل المدينة، وترتبط هذه الحرفة بمدى توفر المواد الخام إما ذات أصل حيواني كالصوف والجلود، أو ذات أصل نباتي كالكتان والقطن.

والملاحظ على السكان المغاربة أنهم كانوا يتخذون ثياب الصوف في الشتاء، وثياب القطن والكتان في الصيف[1]، وكانت المنسوجات الصوفية أكثر انتشارا في بلاد المغرب لتوفر الأغنام والمراعي، ومن الأدلة على هذا أن نساء تلمسان كن يتخذن من الصوف أنواعا من الكنابيش، لا توجد في غيرها[2]، ويشهد الزهري[3] بأن "**لتلمسان أعمال كثيرة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع، من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف، والسفاسير والحنابل المكلكلة**".

ولم يقتصر الأمر على الألبسة فقط، بل كان سكان ريف المغرب الأوسط أيضا بصناعة الأغطية والزرابي[4]، ليس في المناطق الشمالية فحسب بل حتى في المناطق الجنوبية، فقد اشتهرت منطقة وادي ميزاب منذ القديم بالصناعة النسيجية، وأردية الصوف والزرابي[5].

وإلى جانب نسج الصوف، فقد قام سكان الأرياف أيضا بنسج القطن والكتان، وكانت النساء الريفيات يتجمعن في مجتمع يسمونه التويزة، يغزلن عند امرأة واحدة، ما تدعوهن

---

[1] _ **المرجع نفسه**، ص: 222.

[2] _ الحموي: **معجم البلدان**، 2/ 52.

[3] _ **الجغرافيا**، ص: 114.

[4] _ روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية**، 2/ 24.

[5] _ بكير بن سعيد أعوشت: **وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية،(دينيا، تاريخيا، اجتماعيا)**، المطبعة العربية، غرداية، د_ ت، ص: 26.

لغزله من كتان أو صوف إعانة ورفقا[1]، كما اشتهر أهل ندرومة خاصة بالأنسجة القطنية لأنه يجود بها بكثرة[2].

ونظرا لكثرة المراحل التي كان يمر بها الكتان في صناعته، فقد احتاج لأيدي عاملة كثيرة، وكانت صناعته كثيرة في البيوت الريفية، وكانت النساء هن اللاتي يقمن بها، خصوصا الفقيرات منهن، وحتى نساء الزاهدين والجواري[3]، وهنا يتضح جليا حضور المرأة في هذه الحرفة أكثر من الحرف الأخرى، لقدرتهن على الإبداع في مجال الغزل والحياكة والتطريز.

من هنا يتضح أن الصناعات النسيجية التي كان لها حضور هام في الأثاث المنزلي لسكان الريف خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، مثل الزرابي والأغطية كما اشتهر أهل الريف أيضا بصناعة السلل من الحلفاء[4]، والبرادع التي كانت تحشى بالصوف أو الديس، لكنها كانت تغلف بالجلود وتخاط بالخيوط[5]، بالإضافة إلى الحبال والحصر التي كانت تصنع في البيوت من الحلفاء، وغيرها من المواد الأولية[6]، وهذا دليل على اعتماد الريف على تغطية حاجاته المحلية بالاعتماد على ما تجود به منتوجاته الحيوانية والنباتية.

والجدير بالذكر أن هناك حرفة ارتبطت بالصناعة النسيجية ارتباطا وثيقا، وهي حرفة القزازة والمتعلقة بصناعة الخيوط من الصوف أو الكتان أو القطن من أجل غزلها، والملاحظ أن أهل الريف كانوا يعرفون هذه الحرفة، فما داموا يصنعون من الأصواف والكتان والقطن، الألبسة والأغطية والزرابي، فبدون شك أنهم كانوا يمرون بهذه المرحلة.

---

[1] _ محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص: 132.

[2] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 13، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 295

[3] _ الونشريسي: **المعيار**، 4/ 128، 5/ 22، 23، 8/ 307، الدباغ: **معالم الإيمان**، 2/ 266، عياض: **ترتيب المدارك**، 5/ 121.

[4] _ برنشفيك: **المرجع السابق**، 2/ 232.

[5] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 363_ 364.

[6] _ يحي أبو المعاطي: **الملكيات الزراعية**، 2/ 506.

ومن الحرف التي ارتبطت أيضا بالنسيج هي حرفة الصباغة، التي كانت تقام بعيدا عن المساكن وقريبة من الأنهار[1].

3_ حرفـــة الدباغـــة وصناعة الجلود

ترتبط حرفة الدباغة بوفرة الماشية، والملاحظ أن هذه الحرفة كانت منتشرة في عموم المناطق الريفية للمغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، وكان للروائح الكريهة والأوساخ التي تنبعث من هذه الحرفة، أن أقيمت خارج المدن وبالقرب من الأنهار، وكان يستعمل فيها قشور الرمان والقرط والشب[2].

وكان لوفرة الحيوانات في ريف المغرب الأوسط، أن اشتملت على أعداد كبيرة من الجلود، وكانت أكثر المناطق ثراء بهذه المادة الأولية هي تلمسان[3]، وبجاية التي اشتهرت بمنطقة تسمى "**باب الدباغين**"[4]، وهذا دليل على استمرار ازدهار هذه الحرفة حتى ما بعد القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

ومن الطرق المعهودة في تنظيف الجلود هي أن ينقع الجلد في الماء لمدة معلومة، إما في حوض أو وادي، لعدة مرات بعدها يؤخذ الجلد ليدبغ، وكثيرا ما كان ينجر عن هذه الحرفة مجموعة من الأضرار[5]، مثل الروائح الكريهة أو اقتسام الماء...إلخ، وعموما فقد اتخذت من هذه الحرفة الكثير من الأشياء التي استعملها الإنسان الريفي، مثل الأفرشة والخيام، الأحذية والنعال[6]، كما صنع أيضا من الجلود الطبول والدفوف، والجعبة والقربة[7]، والبرادع[8]...إلخ.

---

[1] _ الونشريسي: **المعيار**، 6/ 203.

[2] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 115.

[3] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 166، عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص ص: 229_ 230.

[4] _ الغبريني: **الدراية**، ص: 81.

[5] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 4/ 406.

[6] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 368.

[7] _ الدباغ: **معالم الإيمان**، 1/ 255، جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 115.

[8] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 363_ 364، الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 1/ 150_ 151، عويس: **دولة بني حماد**، ص: 220.

4_ الصناعـــة الخشبيـــة

من المؤكد أن الصناعات الخشبية كانت هي الأخرى منتشرة بأرياف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، لاستعمالاتها العديدة، ذلك أن الأخشاب تدخل في كثير من الأشياء مثل آثاث المنازل(الأَسِرّة والموائد)، أدوات الطبيخ، وسقوف المنازل...إلخ، وبالرغم من قلة المادة الخبرية في هذا المجال، غير أننا استطعنا استنباط شذرات قليلة حول هذه الموضوع، فقد انتشرت صناعة الأواني في مليانة، واستخدمت مادتها الأولية من الخشب وكانت هذه الأواني في غاية من الحسن[1]، وهذا دليل على الإتقان والتطور، ويذكر جمال أحمد طه[2]:<<**ومن الصناع من اختص في المنتوجات الخشبية، فنجد النجار والنشار الذين يصنعون الأبواب والشبابيك والصناديق**>>، وهذا دليل على تغطية سكان أريافنا لحاجاتهم اليومية من الأثاث المنزلي، فمن المعقول أن يبقوا بدون أبواب أو أواني، حتى يأتون بها من المدن.

وتقترن الصناعة الخشبية بحرفة الحطّابين، فكثرة الغابات والأخشاب في بلادنا أدى إلى شيوع هذه الحرفة بدون شك، خصوصا إذا علمنا حاجة السكان إلى الأخشاب في التدفئة وسقوف المنازل، وهناك من كان يمارسها لتلبية حاجاته اليومية ولأفراد العائلة.

5_ الصناعـــة الفخاريـــــة

لقد عرفت مناطق ريف المغرب الأوسط صناعة الأواني الفخارية، التي يحتاجونها للاستعمال المنزلي حيث صنعوا الجرة والزير والأباريق والأقداح والأطباق، كما صنعوا الكوانين لمواجهة برد الشتاء، وكذلك القدور والخوابي لحفظ الطعام[3]، والجرار لوضع الماء[4]، ومن الأدلة على ممارسة هذه البلاد لهذه الحرفة هي أن والد عبد المؤمن بن علي كان

---

[1] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، ص: 35.

[2] _ **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2008م، ص: 12.

[3] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 118.

[4] _ الدباغ: **معالم الإيمان**، 1/ 257.

يشتغل بالطين، ويعمل منه الآنية ويبيعها[1]، وهذا دليل على ازدهار هذه الحرفة وأنها كانت تشكل مصدر رزق الكثير من فلاحي المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، وباستثناء هذه الإشارات القليلة، فالمصادر التي اضطلعنا عليها لم تبين لنا عن الكيفيات التي يتم بها صنع الأواني الفخارية في الريف.

كانت هذه نظرة عامة عن الحرف التي زاولها سكان أرياف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، وقد ارتأينا أن لا نذكر حرفة الفلاحة والرعي لأنها كانت تمثل مهنة بديهية لسكان الريف، لأن ثراء الريف بالمنتوجات النباتية والحيوانية، دليل واضح على اهتمام سكان الريف بها عن طريق الفلاحين والرعاة، كما أن الطابع التنظيمي الذي خضعت له كلا من الزراعة والرعي من حيث الشركة والاستئجار، ونظام الضمان أو التعويض دليل واضح على امتهان سكان الريف لحرفة الزراعة والرعي.

ومن جهة أخرى فإن إشارة الرحالة والجغرافيين إلى ثراء الأرياف باللحوم، دليل على وفرتها ودخولها ضمن الأغذية الرئيسية لسكان ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، وأن هناك من كان يمتهن حرفة الجزارة أيضا في بلادنا آنذاك.

المبحث الرابع: المبادلات التجارية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

بالرغم من الصعوبة في ضبط صورة واضحة للنشاط التجاري بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، إلا أن المؤكد أن التجارة قد كانت من العناصر المهمة والمشكلة للاقتصاد الريفي، وخير دليل على هذا هو ثراء الريف بمختلف السلع الزراعية والحيوانية، بالإضافة إلى رواج الصناعة الحرفية حسبما تناولناه آنفا.

ولما كان المجتمع الريفي للمغرب الأوسط، هو مجتمع إسلامي؛ فقد تحكمت في هذه المبادلات جملة من الضوابط الشرعية، سواء بين أهل الريف أنفسهم أو بينهم وبين أهل

[1] _ ابن خلكان: **الوفيات**، 3/ 237 وما بعدها، مقديش: **نزهة الأنظار**، 1/ 462، الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، 3/ 29.

المدن، فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن بيع العربان[1]، وعن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها[2]، وأيضا العدل في الميزان[3]، والملاحظ أن تجارة الريف خلال هذه الفترة كانت تتحكم فيها جملة من العوامل التي يمكن تلخيصها في العنصر التالي.

1_ العوامل المؤثرة على النشاط التجاري بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

- **العامل الطبيعي**

لقد تناولنا بشيء من التفصيل خلال الفصل التمهيدي، عن تنوع التضاريس والمناخ في ريف المغرب الأوسط، ولعل هذا التنوع قد نتج عنه خصوصية في اختلاف وتنوع المنتوجات من منطقة إلى أخرى، ولم تكن التضاريس والجبال عائقا أمام تجار الريف إلا في القليل النادر، حين كانت الاتصالات تشهد تباطؤا ملحوظا خصوصا في فصل الشتاء[4]، ومن الأدلة الواضحة على ذلك نجد أن الحنطة والزروع الموجودة في تنس، كانت تنقل إلى مختلف المناطق والآفاق[5]، وكذلك الشأن بالنسبة لجوز سطيف، ونقاوس[6]، وتمور بسكرة[7]، ومواشي وأصواف بونة[8]، وهي شهادات واضحة على على أن منتوجات الريف كانت تصل إلى مختلف المناطق والنواحي دون عوائق إلا في القليل النادر.

- **سياسة الدولة وجهود الحكام**

من المعروف أن اختلاف الحاجات والمنتوجات بين سكان الريف والمدينة، يؤدي إلى خلق ديناميكية في مجال المبادلات التجارية بين الطرفين، وبدون شك أن أي تغير يحدث

---

[1] _ مالك بن أنس: **الموطأ**، ص: 235.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 330.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 370.

[4] _ Claudette Vanacker: **gèographie èconomique**, P: 662.

[5] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 133، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 138.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 318، 579.

[7] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 126، الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 291.

[8] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 77.

لأي طرف يتأثر الطرف الثاني بتلك التحولات، وكان لجهود الحكام الأثر البالغ على الوضع التجاري السائد في الريف والمدينة على السواء.

لطالما كانت تجارة الريف تخضع لجهود الحكام وتنظيماتهم، فقد كان اختيار بولوكين للعاصمة أشير على الحدود الطبيعية التي تقسم كتلة التل الغربي مع جبال القبائل[1]، وكذلك الشأن بالنسبة لقلعة بني حماد بجبل كيانة، الواقعة على المرتفعات التلية المسيطرة على سهوب الحضنة[2]، من أجل السيطرة على القوافل والطرق التجارية، وهذا بدون شك قد أدى إلى إخضاع تجارة الريف إلى مراقبة الدولة والتي لم تكن بمعزل عنها.

كما كان لإلغاء الضرائب الفادحة في عهد يوسف بن تاشفين والنصف الأول من عهد ابنه علي بن يوسف، الأثر البالغ على النشاط التجاري[3]، وبدون شك أن هذا الإجراء كان لصالح أرياف المغرب الأوسط خلال تلك الفترة، لكن بعد وفاة علي بن يوسف سنة 537هـ، تدهور الوضع الاقتصادي فانحطت الزراعة، وانتشرت المجاعات وارتفعت الأسعار[4]، وهذا من شأنه كذلك أن أثر سلبا على تجارة الريف.

كما اهتم الموحدون أيضا بتنمية اقتصاديات الأرياف، واستمر الرخاء حتى عهد المنصور الموحدي، نتيجة للأمن والاستقرار الذي عاشته المنطقة في عهده، حتى كانت البهيمة تخرج من بلاد نول لمطة حتى تصل إلى برقة وحدها، لا ترى من يعارضها ولا يمسها بسوء[5]، ولعل هذا الوضع أيضا أن شجع سكان الأرياف بقيامهم بالنشاط التجاري في هدوء مع بعضهم البعض، أو مع المدن أيضا.

---

1 _ **L'algèriè, histoire et sosiètè et culture**, ouvrage collectif sous la coordination de: Hassan Reinaoum, Casbah, èdition Hydra, Alger, s_d, P: 19.

2 _ الطاهر بونابي: **التصوف في بلاد المغرب**، ص ص: 90_ 91.

3 _ حمدي عبد المنعم: **التاريخ السياسي**، ص: 338.

4 _ عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة النشر، جامعة القاهرة، د_ ت، ص: 266.

5 _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 157.

- **عنصـــــر الأمـــــن**

يعتبر الأمن من العناصر الهامة والمؤثرة على النشاط التجاري في الأرياف والمدن، ومن المعروف أن بلاد المغرب الأوسط قد عاشت خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، فترات سادها الأمن والاستقرار وفترات أخرى تميزت بالاضطراب والفوضى.

ومن الطبيعي أن يتأثر النشاط التجاري في ريف المغرب الأوسط بما طرأ عليها في مراكز الانتاج الزراعي والحرفي، فبعد الهجرة الهلالية اتجهت جميع الأنشطة التجارية نحو الساحل، ذلك أن الطرق التجارية باتت مهجورة بسبب تخريب الأعراب[1]، وبالرغم من هذا فالأعراب وحدهم لم يكونوا المسؤولين عن هذا التخريب، بدليل أنهم قاموا بتوسيع التجارة بين التل والصحراء[2]، كما ساهموا في الحياة الاقتصادية في المناطق الجنوبية[3].

هذا وقد شهدت الكثير من المناطق الريفية معاملات مع الأعراب مثل قسنطينة التي كان سكانها مياسير، وذوي أحوال واسعة ومعاملات للعرب[4]، كما كانت الأرياف المحيطة بباغاية أيضا يعاملون العرب[5]، كما تشهد النوازل كذلك على هذا التآلف والمعاملات التجارية[6]، والواقع أن تجارة الريف خلال هذه الفترة لم تتأثر بالهجرة الهلالية فحسب، بل إن الحروب التي عاشتها الأرياف أنذاك والتي تناولناها بالتفصيل في الفصل التمهيدي الأثر البالغ على النشاط التجاري، والحياة الاقتصادية والاجتماعية ككل.

- **الطـــرق التجاريـــة**

تعتبر الطرق التجارية الشريان الحيوي للحياة الاقتصادية، وهي من العناصر المهمة التي يقوم عليها النشاط التجاري في الأرياف والمدن على حد سواء، والملاحظ أن الطرق التجارية في المغرب الأوسط قد تأثرت بالتغيرات والظروف الأمنية التي عاشتها هذه البلاد خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

---

[1] _ إسماعيل العربي: **الدولة الحمادية**، ص ص: 244_ 245.

[2] _ محمد الطمار: **المغرب الأوسط**، ص: 118.

[3] _ مصطفى أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ص: 338.

[4] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص ص: 166_ 167.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 177_ 178.

[6] _ فتوى المازري: الونشريسي: **المعيار**، 9/ 603.

ولم تكن الأرياف بمنأى عن هذه التغيرات التي طرأت على مراكز الإنتاج الزراعي والصناعي، والمناطق التي كثر سكانها نتيجة للهجرات الهلالية، ويمكن حصر هذه التغيرات على ثلاث فترات تمثلت الأولى قبل الهجرة الهلالية وقيام الدولة المرابطية، والفترة الثانية بعد ظهور هذين الحدثين والاحتلال النورماندي، أما الثالثة فكانت بعد اتحاد دول المغرب الثلاث مع الموحدين[1].

والملاحظ أن النشاط التجاري الريفي ارتبط أساسا بالنقل البري، هذا الأخير الذي ارتبط بوفرة الدواب وقلتها، وارتبطت هذه الوفرة بالفلاحة وتطورها، وهذه الأخيرة مرتبطة بالاستقرار السياسي والأمن الاجتماعي، وخلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م كانت الطرق الرئيسية تمر بالمناطق الأكثر نشاطا لإفريقيا الشمالية خلال هذه الفترة[2].

لقد كانت المنتوجات الريفية تصرف عن طريق الطرق الداخلية في الغالب، والتي شكلت شبكة واسعة ربطت بين مختلف قرى ومدن المغرب الأوسط من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وقد توفرت هذه الطرق الريفية على كثير من القرى الغنية بالمنتوجات الزراعية والحيوانية والحرفية، ولعل تسويق هذه المنتوجات إلى مختلف المناطق بالرغم من صعوبة التضاريس كما ذكرنا آنفا.

إن وقوع معظم القرى على أهم الطرق التجارية واحتوائها على أسواق دائمة ومعلومة، دليل واضح على أن تلك الطرق الفرعية كانت تلعب دورا هاما في تنشيط المبادلات التجارية بين مختلف الأقاليم الريفية من جهة، وبين الأرياف والمدن من جهة ثانية.

ومن الأمثلة على هذا نجد أنه خلال القرن 5هـ/ 11م كانت قرية الفهمين بها سوق جامعة وهي تقع على الطريق بين القيروان وبونة[3]، وكذلك قرية تانسالمت(قرية لأزداجة)، بها سوق أيضا، وكانت على الطريق الرابطة بين وهران والقيروان[4]، وبدون شك أن قرية يكسم

---

[1] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 305.

[2] _ Claudette Vanacker: **Gèographie èconomique**, P: 663.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 54.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 72.

ذات الزيت الطيب، الواقعة بالقرب من المسيلة[1]، كانت مقصدا للتجار، ومحورا رئيسيا في المبادلات، ومن المؤكد أنها كانت على طرق نشطة وإلا لما اشتهرت بجودة زيتها وطيبه.

وخلال القرن 6هـ/ 12م، كانت هناك طرقا جديدة بدليل اشتهار قرى جديدة بأسواق جديدة مثل قرية ريغة على مرحلة من سوق كزناية على الطريق بين تنس والمسيلة[2]، وهذه المعلومة تشير إلى اشتهار هذا الحصن بالسوق التي كانت قبلة لمختلف التجار.

كما أن اشتهار قرى جديدة بأسماء الأيام التي كانت تعقد فيها دليل جلّي على أن معظم الطرق الريفية كانت نشطة وآمنة، وإلا لما اشتهرت بها تلك القرى، مثل قرية سوق الخميس على الطريق بين بجاية والقلعة[3]، وقرية سوق الاثنين على الطريق بين القلعة وبجاية[4]، بالإضافة إلى قرية سوق يوسف على الطريق بين قسنطينة وبجاية[5]، وعليه فأن تواجد هذا النوع من القرى على طرق داخلية تفند ما قيل بأن الطرق بعد الهجرة الهلالية باتت ساحلية وليست داخلية، لكن الواقع أن تحول الوجهة إلى الساحل كان حسب رأينا بصفة جزئية وليس بالكامل، والدليل واضح كما أسلفنا آنفا.

كما تجدر الإشارة إلى أن اقتران معظم مناطقنا الريفية خلال هذه الفترة بالمنتوجات الريفية، دون اقترانها بسوق معينة؛ فهذا لا يعني عدم وجود طرق تجارية ريفية تشرف عليها، وقد ارتأينا تجنب ذكرها حتى لا نقع في فخ التكرار، سواء بإعادة سرد المنتوجات الريفية(محاصيل ومواشي)، وهو ما تناولناه خلال هذا الفصل، أو اقتران القرى بصفتها من حيث الكبر أو الصغر، وهو ما سنتناوله بعون الله خلال الفصل الثاني، الخاص بالمجتمع الريفي، والملاحظ أن تلك العوامل المؤثرة على النشاط التجاري، ترتبط أساسا بالأسواق لأنها أماكن تصريف المنتوجات الريفية، ومراكز الربح وهو ما سنناقشه خلال العنصر التالي.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 144.

[2] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 155.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 163.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 164.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 168.

2_ الأسواق بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

السوق هو مكان البيع والشراء، من سوق الناس بضائعهم لمكان البيع والشراء، وسمي كذلك لنفاق السلع فيه[1]، والأسواق تعكس الحياة الاقتصادية والنشاط الفلاحي والحرفي، لأية منطقة، والملاحظ أن الأسواق كانت متواجدة في الأرياف والمدن على حد سواء، ومادامت دراستنا هنا ترتكز على الحياة الريفية، فموضوعنا سيقتصر على الأسواق الريفية.

يقول ابن خلدون[2]:<<**اعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس، فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما في معناها كالباقلاء، والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحاجي والكمالي، مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع...**>>، ومن هنا يتضح أن الأسواق كانت تختص في غالب الأحيان بمكان معين وبسلعة معينة، يقصدها السكان للتبادل التجاري وللتزود بما يحتاجونه، وتقوم الأسواق في العادة حيث توجد التجمعات السكانية، فعلى سبيل المثال كانت قسنطينة يسكنها قبائل شتى، وهي قبائل كتامة وبها أسواق جامعة[3].

لا توجد لدينا معلومات كثيرة عن الأسواق الريفية بالمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، لأن معظم المصادر التي اضطلعنا عليها لم تفصل كثيرا فيها، لكن المؤكد أن ثراء الأرياف بالسلع الفلاحية والحرفية والعلاقة الدائمة بين الريف والمدينة، دليل واضح على وجود مبادلات تجارية وأسواق ريفية كانت تعج بهذه المنتوجات.

لقد وردت إشارات للرحالة والجغرافيين على احتواء الأرياف على كثير من الأسواق مثل مرسى الزيتونة وهو أول حد جبال الرحمان به أسواق كثيرة[4]، كما كان بكل من قرية أزداجة في طرف جبل حيدر، قرية الفهمين، والقرية الواقعة بالقرب من أشير "**أسواق جامعة**"[5]، وهذا دليل على ثرائها بمختلف المنتوجات الريفية من محاصيل ومواشي وصنائع،...إلخ.

---

[1] _ محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية**، ص: 317.

[2] _ **المقدمة**، ص: 401.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 63.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 83.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 72، 54، 64، على التوالي.

كما احتوت بونة على أسواق حسنة[1]، والمرجح أن هذه المعلومة تشتمل على الأسواق الريفية أيضا، بالإضافة إلى أنه كان بحصن بكر"**سوق وبيع وشراء**"، وبالخضراء "**سوق يجتمع إليه أهل تلك النواحي**"، وكذلك كثرة الأسواق في كل من حصن بلزمة، تاهرت، وحصن بسكرة[2]، ثم إن قبيلة عبد المؤمن بن علي وتسمى كومية وهي قبيلة كثيرة العدد، كانوا أصحاب أسواق يبيعون فيها اللبن[3]، والحطب وسوى تلك من سقط المتاع[4].

ونظرا لحالة الاضطراب التي عاشتها أرياف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، نجد أن الأسواق هي الأخرى قد تأثرت بهذه الظروف فيذكر الإدريسي أن:<<**لباغاية ربض عليه سور، وكانت الأسواق فيه، وأما الأن فالأسواق في المدينة والأرباض خالية بإفساد العرب لها، وهي أول بلاد التمر**>>[5]، وهذا الأمر يعود أساسا لتراجع المحاصيل الزراعية والمنتوجات الحيوانية وقلة الأمن على الطرق التجارية.

والواقع أنه لا توجد لدينا معلومات كثيرة عن أنواع الأسواق بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، فالإشارات المتعلقة بها في كتب الجغرافيا والرحلات، وحتى كتب النوازل قليلة جدا، وعموما يمكن تمييز عدة أنواع منها:

الأسواق اليومية: ربما كان هذا النوع الأكثر انتشارا في أريافنا خلال هذه الفترة، والمرجح أنها تلك التي ذكرت قبل قليل نظرا لحاجة الناس إلى سلعها، ونظن أن هذا النوع من الأسواق كانت **دائمة**، ويذكر الإدريسي أنه:**<<بالطريق من بجاية إلى القلعة، تخرج من بجاية إلى المضيق إلى سوق الأحد، إلى وادي رهت إلى حصن تاكلات وبه المنزل، وهو حصن متسع على شرف مطل على وادي بجاية، وبه سوق دائمة>>**[6].

---

[1] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 192

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 163، 154، 171، 165، 167، على التوالي.

[3] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 165.

[4] _ صالح بن قربة، **المرجع السابق**، ص: 56.

[5] _ **المصدر السابق**، ص: 177.

[6] _ **المصدر السابق**، ص: 163.

الأسواق الأسبوعية: هذا النوع من الأسواق يطلق عليها أيضا "**سوق يوم معلوم**"، وكانت تعقد في القرى في يوم معين، حتى إن بعض القرى أخذت اسم سوق متبوع باليوم الذي يعقد فيه، مثل سوق الأحد، وسوق الاثنين، وسوق الخميس،...إلخ.

ومن الجغرافيين من أشار إلى الأسواق الأسبوعية دون ذكر اسم السوق مثل "**مازونة التي كان لها سوق يوم معلوم، يجتمع فيه أصناف من البربر**"[1]، وكذلك كان "**بحصن أشير زيري سوق يوم معلوم، يجلب إليه كل لطيفة، ويباع به كل طريفة**"[2]، أما عن الاشارات التي اقترنت بذكر اسم اليوم الذي تعقد فيه الأسواق الأسبوعية مثل **سوق الجمعة** الذي كان يعقد في كل من حصن كزناية، قرية ريغة، حصن بني زندوي[3]، حيث كانت تباع بهذه الأسواق الريفية الكثير من السلع، ويقصده السكان من كل النواحي، والملاحظ أن بيع السلع في الأسواق لم يكن حكرا على الرجال فحسب، فقد كانت النساء أيضا يقمن ببيع السلع مثل الزيتون[4]، وغيرها من المنتوجات الريفية.

إن استعراضنا لأنواع الأسواق المتواجدة في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، يعطينا فكرة هامة عن احتمال وجود أسواق ريفية مرتبطة بالمدن بشكل كبير، كما كانت هناك مبادلات بين الأقاليم والتي يرجع سببها إلى تنوع الإنتاج الزراعي بحسب الطقس والمناخ، فمثلا قسنطينة كانت بالنسبة للفلاحين والرحل في الهضاب العليا مستودعا للقموح والصوف والتمور المجلوبة من الجنوب[5]، كما لعب الأعراب دورا فعالا في تنشيط المبادلات التجارية بين الأرياف والمدن منذ مجيئهم حتى نهاية العصر الوسيط.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 172، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 522.

[2] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 155.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 154، 168.

[4] _ الونشريسي: **المعيار**، 6/ 78.

[5] _ روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية**، 1/ 419.

ولعل ازدهار التجارة الخارجية بمختلف السلع الريفية يؤكد هذا، وتجنبا للخوض في سلع التجارة الخارجية حتى لا نخرج عن الموضوع وهو الريف بالأساس، غير أن عبد الواحد المراكشي[1] قد أشار إلى "**وجود خطابات بين تجار المغرب والإفرنج(البيشيون خصوصا)، الذين كانوا يقايضون القمح بالصوف والجلود والشمع والزعفران**"، وهذه المنتوجات جميعا ذات أصل ريفي.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات الأوروبية المغربية خلال القرن 6هـ/ 12م، والسنين الأولى من القرن 7هـ/ 13م، كانت جوهرية في التاريخ الاقتصادي لعالم حوض البحر المتوسط[2]، وهذه المبادلات دليل واضح على ازدهار أريافنا بمختلف المنتوجات الزراعية والحيوانية والحرفية أنذاك.

3_ السلع بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

تعتبر المنتوجات الزراعية والحيوانية والحرفية لريف المغرب الأوسط، هي الممول الرئيسي للحركة التجارية الداخلية والخارجية، وتمدنا كتب الجغرافيا والرحلات بمعلومات هامة حول هذه السلع، والتي كانت كثيرة ووفيرة الأمر الذي أمكن الإتجار بها، ومن هذه السلع نجد الحبوب، الفواكه، المواشي، اللحوم،...إلخ.

ومن هذه السلع الريفية ذات الأصل النباتي نجد **الحنطة والشعير**، التي كانت تزيد عن حاجة أهل شرشال[3]، ومن الفاكهة نجد **التين** الذي كان وفيرا في كل من بونة[4]، بجاية وشرشال حيث كان يعمل منه "**شرائح طوبا ومنثورا إلى سائر الأقطار**"[5]، و**الجوز** الذي كان

---

[1] _ **وثائق المرابطين والموحدين**، تحقيق حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 1997م، ص: 231.

[2] _ جمال أحمد طه: **دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي**، ط1، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، 2008م، ص: 45.

[3] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 159.

[4] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 77.

[5] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 161، 160، على التوالي.

يحمل من سطيف ونقاوس إلى سائر الأقطار[1]، و**التمر** الذي كان موجودا في بونة حسب ابن حوقل[2].

وبسكرة التي كانت تمورها تسوق إلى بجاية وتونس[3]، وسائر الواحات الصحراوية التي كانت تسوق هذه الفاكهة اللذيذة إلى البوادي المجاورة[4]، ومن السلع الريفية أيضا نجد الكتان الذي يحمل من قزرونة[5]، والفواكه المتنوعة من بونة[6] ومازونة[7]، وغيرها من المناطق الريفية المزدهرة.

والملاحظ أن السلع المتعامل بها في الأسواق الريفية للمغرب الأوسط، والتي كانت متنوعة، منها البذور أو الزريعة والتي كثيرا ما يقع المتعاملون فيما بينهم في مشادات في حالة عدم انباتها[8].

هذا ولم تخل أريافنا من السلع ذات الأصل الحيواني، فقد كانت المواشي، والأغنام وسائر الكراع من أبرز المنتوجات المتواجدة في أسواق كلا من بونة[9]، وتدلس[10]، بالإضافة إلى المواد الغذائية المستخلصة منها مثل العسل والأسمان والألبان التي تواجدت بكثرة في أسواق بونة[11]، جزائر بني مزغناي، ومازونة[12].

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 165، 169_ 170 على التوالي.

[2] _ **المصدر السابق**، ص: 77.

[3] _ القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 107.

[4] _ الوسياني: **سير الوسياني**، ص: 32.

[5] _ البكري: **المغرب**، ص: 66.

[6] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 77.

[7] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 172، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 522.

[8] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 266.

[9] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 77.

[10] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 160.

[11] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 77.

[12] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 159، 172.

كما كانت المواد الأولية أيضا من سلع الريف التي كانت تعرض في الأسواق مثل معدن الجص الذي كان يحمل من قرية متوسة إلى بجاية[1]، والأصواف في بونة[2] ومعظم الواحات الصحراوية[3]، ونستغرب من عدم تواجد معلومات حول المنتوجات الحرفية الريفية، في المصادر التي اضطلعنا عليها غير أن المرجح أن السبب يعود في هذا إلى أن الحرف كانت تلبي الحاجات الضرورية لسكان الأرياف، والتي كان سكان المدن في غنى عنها، عكس الغذاء والمواد الأولية التي لايمكن الاستغناء عنها من قبل أهل الحواضر والمدن.

4_ الأسعـــار، الأوزان والمكاييـــل بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

- **الأسعار**

يعتبر السعر المظهر العملي الملموس للقيمة في النظام الاقتصادي القائم على السوق أو التبادل التجاري[4]، وترتبط الأسعار بالوضع الفلاحي المتأثر بالنظام السياسي والظروف الطبيعية، ويذكر ابن خلدون بشأن الأسعار:<<**فإذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الكمالي من الأدم والفواكه وما يتبعها، وإذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الأمر بالعكس، والسبب في ذلك أن الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها، إذ كل واحد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت منزله، لشهره أو لشته فيعم اتخاذها أهل المصر أجمع أو الأكثر منهم في ذلك المصر**>>[5].

والملاحظ أن الأسعار هي الأخرى تتأثر بالظروف المحيطة بها، فعندما يسود الرخاء والازدهار تنخفض الأسعار وترخص والعكس صحيح، فعندما كانت أيام المرابطين أيام دعة ورفاهية وأمن، تناهى القمح في أيامهم إلى بيع أربعة أوسق بنصف مثقال، وبيعت الثمار بثمانية أوسق بنصف مثقال، والقطاني لا تباع ولا تشترى، وكان ذلك مصحوبا بطول أيامهم[6]، وهذا بدون شك قد كان نتيجة لرخص الأسعار في الريف خلال هذه الفترة.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 169.

[2] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 77.

[3] _ الوسياني: **المصدر السابق**، ص: 32.

[4] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 158.

[5] _ **المقدمة**، ص: 402.

[6] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص ص: 166_ 167، السلاوي: **الاستقصا**، 2/ 70.

وفي المقابل تساهم عوامل أخرى في غلاء الأسعار مثل الحروب والفتن، فبعد وصول الهلاليين هجر الفلاحون مزارعهم، وامتنعوا عن خدمة الأرض[1] فعمّ الغلاء وانعدم الأمن، وأثناء الحرب بين المرابطين والموحدين ظهرت فتنة كبيرة وغلت الأسعار، وتوالت الفتن وعم الجدب[2]، وأثناء ثورة بني غانية لبجاية عام 582هـ، خربت سائر النواحي وعدمت المؤن والغلات وارتفعت الأسعار[3].

بالإضافة إلى فترات الجفاف والقحط، التي تساهم بدورها في غلاء الأسعار مثلما حدث عام 542هـ، حين عم الغلاء كامل إفريقية حتى أكلوا لحوم الآدميين[4]، وكان من أبرز النتائج التي يخلفها الجفاف والحروب هي المجاعات والأوبئة، هذه الأخيرة أيضا التي يصاحبها الغلاء في الأسعار مثلما حدث سنة 483هـ/ 1090م، وهي السنة التي غلت فيها الأسعار ولم يسمع بمثل تلك المجاعة وذلك الوباء[5].

وعموما فمن خلال المصادر الجغرافية التي تعود للفترة قيد الدراسة، فقد أفادتها بمعلومات هامة حول وضع الأسعار في ريف المغرب الأوسط، والتي تميزت بالرخص في الأغلب وهذه بدون شك دليل على الوفرة والكثرة، فقد كانت سطيف "**رخيصة الأسعار**"[6]، ووصل قنطار العنب في الغدير بدرهمين[7]، والبركات في معاملاتهم كثيرة[8]، وهذا دليل على رخص الأسعار، كما أشار الرحالة إلى رخص الفاكهة والزروع وسائر الثمار والمواشي(بقر

---

[1] _ عبد الحميد خالدي: **المرجع السابق**، ص ص: 190_ 191.

[2] _ لسان الدين بن الخطيب: **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تحقيق البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1329هـ/ 1911م، ص ص: 88_ 89.

[3] _ محمد عبد الله عنان: **المرجع السابق**، ص: 153.

[4] _ الذهبي: **المصدر السابق**، 2/ 461.

[5] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 275.

[6] _ البكري: **المغرب**، ص: 76، مجهول: **الإستبصار**، ص: 166، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 318.

[7] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 60.

[8] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 162.

وغنم) في كل من بجاية، تدلس[1]، القلعة ووهران[2].

كما اختصت بعض المناطق الريفية بإنتاج سلع وفيرة وتباع بالأثمان اليسيرة مثل "**كثـرة اللحوم**" في كل من المسيلة[3]، مرسى الدجاج[4]، وحصن تاكلات[5]، و"**السمك**" في الشلف[6]، ومن المناطق التي عرفت فقط **برخص الأسعار** فقط، دون التفصيل في إنتاج سلع ريفية مخصوصة مثل عنابة(بونة)[7]، قسنطينة وميلة[8]، مليانة[9]، وكذلك تنس وندرومة[10]، التي اقتصر الرحالة على ذكرها باختصار.

وفيما يتعلق باستعمال العملة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، فالمؤكد أن سكان الأرياف كانوا يتعاملون بالعملة خلال هذه الفترة، وقد أشرنا في الفصل التمهيدي فيما يتعلق بصك زيري للعملة واطمئنان نفوس أهل الأرياف والبوادي، والمرجح استمرار المعاملات بتلك العملة، بدليل "**بيع قنطار العنب في الغدير بدرهم**"[11]، وكان سعر البغل يساوي حسب بنيته حوالي3 أو6 أو9 دنانير، وكان الجمل يباع بحوالي 9 دنانير[12].

وخلال العهد الموحدي كان أساس العملة الموحدية الدينار الذهبي والدرهم الفضي، واستعمل المثقال رسميا؛ الذي له نفس وزن الدينار وكذلك الأوقية التي لها نفس وزن الدينار[13]، وكان من عادات المغاربة أن يضربوا أنصاف الدرهم وأرباعا وأثمانا من الخراريب فتستريح الناس، وتجري الصروف في أيديهم فتتسع بيعاتهم، وحين قل الصرف أيام يحي بن

---

[1] _ **المصدر نفسه**: ص: 162، 160، على التوالي.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 156، 153، على التوالي، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 469، 132.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 59، مجهول: **الاستبصار**، ص: 176، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 558.

[4] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 160 وما بعدها.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 163.

[6] _ القزويني: **المصدر السابق**، ص: 148.

[7] _ الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 607.

[8] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 480، 569.

[9] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 176.

[10] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص، ص: 133، 135، الحميري: **المصدر السابق**، ص، ص: 138، 576.

[11] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 60.

[12] _ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 1/ 273 وما بعدها.

[13] _ ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص: 392.

عبد العزيز، فأعطاهم عبد المؤمن بن علي ثلاثة أكياس من صروف كلها[1]، وهذا دليل على وجود نشاط بوجود العملات في ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة.

هذا وقد كان سائدا في الأرياف والمدن المغربية البيع بالثمن المؤجل، والتسديد بالتقسيط كالثلث، والربع،...إلخ[2]، وخلاصة القول أن الأسعار بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، كانت في غالب الأحيان رخيصة ماعدا بعض الفترات الحرجة التي عاشتها البلاد خلال هذه الفترة مثل الحروب والجفاف والقحط.

- **الأوزان**

تعتبر وحدات الأوزان ضرورية لتسهيل التعامل بين الناس، وبالرغم من أنه في الغالب كان أهل الأرياف والقرى البعيدة كانوا يشترون الموزونات من اللحم والسمن والخضر والفواكه جزافا، أي دون ميزان[3]، لكن المرجح أن هناك من المناطق الريفية التي كانت تستعمل الأوزان في مبادلاتهم، بالرغم من أن أغلبية الموزونات اقترنت بالمدن ولعل أهم وحدات الأوزان التي استخدمت في الريف هي:

الرطل: اختلفت مقاديره زمانا ومكانا، وباختلاف الموزون به، فهناك الرطل الإفريقي[4]، ورطل تنس[5]، ورطل تاهرت[6]، والمرجح أنها استخدمت أيضا في الريف.

الأوقية: كانت الأوقية تختلف من مكان إلى آخر، والأوقية الشرعية تساوي 119 غراما[7]، وكان رطل إفريقية يساوي 16 أوقية، ووزن الأوقية 21 درهما[8].

---

[1] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 124.

[2] _ الهادي روجي إدريس: **المرجع السابق**، ص: 269.

[3] _ **فتوى ابن مرزوق**: الونشريسي: **المعيار**، 5/ 96.

[4] _ العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 88.

[5] _ البكري: **المغرب**، ص: 62.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 69.

[7] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 181.

[8] _ العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 87، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 107.

ومن الوحدات التي نرجح أن أريافنا استعملتها في معاملاتهم هي **القيراط** في تنس[1]، و**الدرهم** و**الخروبة** في أرشقول[2]، و**القنطار** الذي كان على نوعين هما قنطار الزيت والقنطار الفلفلي[3]، والتي سهلت بدون شك المبادلات التجارية في معظم المناطق الريفية لبلادنا.

- **المكاييل**

لقد استخدم سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، مكاييل كانوا يستعملونها في حياتهم اليومية ومعاملاتهم التجارية، ويذكر ابن عبدون بأن:<<**كيل الطعام يجب أن تكون أجنابه مرتفعة أزيد من شبر، فإن القصير الجنب يقدر فيه على السرقة والخديعة**>>[4] ، ولأهمية المكاييل فقد أولاها المحتسبون عناية كبيرة، وتختلف الموازين والمكاييل حسب نوع الفاكهة، إن كانت يابسة أو رطبة، وكذلك الشأن بالنسبة للجزارين عند وزن اللحم[5].

وعلى غرار الأوزان فقد كان من السكان الريفيين، من لا يكتال الحبوب عند شرائها من بائعها، حتى يهز الصاع في كيله ويحركونه بأيديهم، رغم تحذير الفقهاء من ذلك وأنه من الجهالة والغرر[6]، وعموما فإن أهم وحدات المكاييل المرجح أن أهل الريف استخدموها هي:

المد: كان هذا النوع من المكاييل على نوعين هما، المد الشرعي(مد النبي صلى الله عليه وسلم)، والمد الكبير ويساوي أربعة أضعاف المد النبوي، ويزن المد رطل ونصف، أو رطل وثلث[7]، والملاحظ أن هذا الكيل قد استخدمته أريافنا، بدليل أن البربر الذين حول تاهرت الذي يكتالون به، خمسة أقفزة ونصف قرطبية[8]، كما استعمل أهل أرشقول هذا المد[9]، ومن المؤكد أن أرياف تلك النواحي قد استخدمته.

---

[1] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 62.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 78_79.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 69.

[4] _ **المصدر السابق:** ص: 39.

[5] _ أبو عبد الله محمد بن محمد السقطي: **كتاب في آداب الحسبة**، د_ ت، ص ص: 14_ 15

[6] **_فتوى المازري:** الونشريسي: **المعيار**، 5/ 90، أنظر كذلك **فتوى الواغليسي** ضمن نفس المصدر والصفحة.

[7] _ أبو المعاطي: **المرجع السابق**، 2/ 523.

[8] _ البكري: **المغرب**، ص: 69.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 79.

القفيز والويبة: من المؤكد أن أهل أريافنا خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، قد استخدموا هذين الكيلين، والملاحظ أن القفيز كان يستعمل لكيل السوائل كالزيت والحليب، أما الويبة فهي وحدة لكيل الحبوب.

ومن الأدلة على استعمال القفيز هو أن البكري ذكر بأن:<<**كيل الطعام بباغاية الويبة وهي 64 من مد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قفيز ونصف قفيز قرطبي، وقفيز الزيت قروي وهو خمس ربع قرطبي**>>[1]، كما أشار العمري إلى أن:<<**القفيز ببلاد إفريقية 16 ويبة، والويبة 12 مدا قرويا يقارب المد النبوي**>>[2].

هذا وقد ذكر هذا المكيال في إحدى النوازل التي عرضت على اللخمي، فيمن أوصى أن يخرج من ثلثه بعد موته، مئة ويبة شعير، وخمسين ويبة قمحا، وستين ويبة تمرا[3]، وهذا دليل واضح على ثراء أريافنا بمختلف المحاصيل من جهة، وتعامل أهلها بنظام المكاييل من جهة ثانية.

ومن المكاييل التي استخدمها سكان الريف أيضا نجد الصحفة والقادوس في تنس[4]، والقلة[5]، الصاع، القلبة، الحفنة والقبضة[6]، ولعل هذا الترجيح يعود إلى العلاقة الدائمة والمتكاملة بين الريف والمدينة من جهة، وكذلك نتيجة للتشابه في البيئة الجغرافية، وبالتالي التشابه في المحاصيل الزراعية و الحيوانية لبيئات المغرب الثلاث، بل حتى بلاد الأندلس كذلك.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 146.

[2] _ **مسالك الأبصار**، ص: 87.

[3] _ البرزلي، **جامع مسائل الأحكام**، 5/ 48.

[4] _ البكري: **المغرب**، ص: 62.

[5] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، ص: 49.

[6] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 190.

المبحث الخامس: الضرائب بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

من المؤكد أن النظام المالي لأي بلد، يساهم في استقرار الأوضاع الاقتصادية، وإن علاقة السكان بولاة الأمور من الناحية المالية يبنى على الثقة والطمأنينة في النفوس، مما يدفع الناس للعمل والإنتاج في ظل مبادئ وقوانين يخضع لها الجميع[1]، هذا وتعتمد كل دولة في نظمها المالية بشكل أساسي على الضرائب[2].

كما أن الاهتمام بأمر جباية[3] الأموال تختلف من دولة إلى أخرى، بل تختلف في الدولة الواحدة من طور إلى طور، فيذكر ابن خلدون في هذا الشأن بأن:<<**الجباية في أول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة، وآخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة، والسبب في ذلك أن الدولة إن كانت على سنن الدين فليست تقتضي إلا المغارم الشرعية، من الصدقات والخراج والجزية، وهي قليلة الوزائع لأن مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت، وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزية والخراج، وجميع المغارم الشرعية...، وإن كثرة عوائد الملوك وحوائجهم بسبب ما انغمسوا فيه من النعيم والترف فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ، على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم، ويزيدون في كل وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية، ويضعون المكوس على المبيعات وفي الأبواب**>>[4].

وإشارة ابن خلدون هنا، تفيد بأن جزءا من مصادر بيت مال دول المغرب الأوسط، كان من الضرائب المفروضة على الريف وسكانه، وتختلف هذه الموارد المالية المفروضة على سكان الريف، باختلاف الدول وسياستها المالية من جهة، وحالة القوة والضعف التي عاشتها

---

[1] _ حسن علي حسن: **المرجع السابق،** ص: 184.

[2] _ **الضرائب** مفردها ضريبة، وهي الإتاوة أو الوظيفة المفروضة أو المقدر قدرها ومدتها ، يجمعها الراعي وصاحب الولاية ممن له عليهم هذه الولاية. (أنظر: محمد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية،** ص: 342).

[3] _ **الجباية** هي الجمع خراجا كان المال أو الزكاة. (أنظر: **المرجع نفسه،** الص: 141).

[4] _ **المقدمة،** ص ص: 308_ 309.

هذه الدولة من جهة ثانية، وتشير المصادر التاريخية والجغرافية والمنقبية ، وكتب الفقه والنوازل إلى اهتمام الحماديين، المرابطين والموحدين، بجباية الأموال وتحصيلها من سكان الأرياف التي كانت من المصادر الرئيسية لتحصيل تلك الضرائب.

خلال **العهد الحمادي** كانت تقوم الدولة بفرض ضرائب شرعية وأخرى إضافية على أهل الريف، فمن الضرائب الشرعية التي قامت بفرضها هي الخراج، حيث كانت تعتمد في جمعه على الولاة الذين تعينهم خصيصا لجمعها، إلى أن تأسست بجاية في عهد الناصر بن علناس، وانتقل الناس إليها من مناطق مختلفة وسكنوها، فقام هذا الأخير بإسقاط الخراج عن أهلها[1]، من أجل تعميرها وجلب التجار والفلاحين إليها.

ويغلب الظن بوجود أنواع أخرى من الضرائب وهي الضرائب الإضافية، فعندما أراد حماد تعمير القلعة أعفى السكان من الضرائب[2]، كما يذكر معظم الرحالة والجغرافيون عن مساهمة جباية الريف في إغناء الخزينة، فمثلا كان مستخلص بونة غير جباية بيت المال، عشرين ألف دينار[3].

وبعد وصول القبائل الهلالية إلى أرياف المغرب الأوسط، وتخريبهم للقلعة وطبنة والمسيلة والضواحي، صالحهم الحماديون على دفع الإتاوة[4]، فلم يزالوا يقبضون ذلك حتى ملك البلاد عبد المؤمن بن علي[5].

يقول مبارك الميلي في هذا الصدد:<<**وإنّا لنجهل تفاصيل تكوين ماليتها، وإنما نعلم أنها كانت تقبض الخراج وتعتمد في جمعه من الجهات التي يتغلب عليه العرب على العرب، ولكثرة حروبها وانتصاراتها نعتقد أن الغنائم أهم ما تتكون منه ماليتها، فإن الأمراء**

---

[1] _ ابن خلدون: **العبر،** 6/ 232، عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد،** ص: 211، الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية،** 2/ 223.

[2] _ عبد الحليم عويس: **المرجع السابق،** ص: 211، محمد الطمار: **المرجع السابق،** ص: 114.

[3] _ البكري: **المغرب،** ص: 55.

[4] _ ابن خلدون: **المصدر السابق،** ص: 27.

[5] _ **المصدر نفسه،** ص: 83، المراكشي: **المعجب،** ص: 294.

كانوا يغنمون أموال البغاة>>[1]، ومن أجل ذلك صالحهم الحماديون لاتقاء شرورهم، وإن كان الأمر على حساب الفلاحين والمزارعين.

أن هذه الإشارات تؤكد على أن الدولة الحمادية كانت تعتمد على مؤسسات مالية محكمة ساهمت في إثراء خزينة الدولة من الريف من جهة، وكذلك توكيل العرب بمهمة جباية الخراج وإجبار الفلاحين على دفع الغرائم من جهة ثانية، بدليل أن سطيف لما تغلب عليها العرب، كانوا يعشرونهم إذا دخلوها[2].

هذا وقد عانت دواخل البلاد أيضا من ثقل الضرائب بشهادة الإدريسي الذي ذكر بأن:<<**حصن بادس وهو في طرف جبل أوراس...والعرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل منهم>>**[3]، وقد كان لهذه الضرائب أثرها على الحركة التجارية، حيث توقف البربر عن ممارستها من جهة[4]، ووسع العرب من نطاق التجارة بين التل والصحراء من جهة ثانية[5].

وإذا كان الإدريسي قد تحدث في مواضع عن تحكم الأعراب في الجباية كما قلنا سابقا، إلا أنه في مواضع أخرى يتحدث عن الجباية بوجه عام لدى سكان الريف بعيدا من الأعراب، عند حديثه عن قلوع الفراتين في وسط الجون الذي يبعد عن جزائر الحمام ب 24 ميلا، وهؤلاء القلوع هم جباة بيض[6]، وهذا دليل كذلك على أن الجباية تشمل أي منتوج من منتوجات الريف تتوفر فيه الوفرة والكثرة، دون وجه تحديد وليس فقط الأعراب وحدهم من يقوم بالجباية.

والملاحظ أن معظم المناطق النائية والجبلية الوعرة التي جبل سكانها على رفض الخضوع ودفع المغارم، كثيرا ما كانت الدولة تستعمل القوة والسلاح لإجبارهم على دفعها،

---

[1] _ **المرجع السابق**، 2/ 237.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 76.

[3] _ **نزهة المشتاق**، ص: 165.

[4] _ محمد الطمار،، **المرجع السابق**، ص: 118.

[5] _ الميلي: **المرجع السابق**، 2/ 178.

[6] _ **المصدر السابق**، ص: 172.

فكان أهل بني زندوي لا تؤخد منهم الجبايات إلا بعد نزول الخيل والرجال عليهم في تلك النواحي[1].

هذا وتجدر الإشارة إلى أن أمر استخلاص الضرائب لم يكن حكرا على العرب الهلاليين فحسب، بل إن سياسة الحكام الحماديين أيضا كان لها الدور الكبير في ذلك، فقد أدى الإسراف والبذخ في عهد الأمير يحي بن العزيز، إلى تدهور أوضاع دولته فاتجه إلى فرض الضرائب والإتاوات والإكثار من الوظائف على الرعية[2].

أما في **العهد المرابطي؛** فالملاحظ أن حكام هذه الدولة قد ساروا في أغلب الأحيان على حكم الشريعة الإسلامية الإسلامية في جباية الضرائب بوجه عام، فلم يكن في عمل من أعمالهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية، ماعدا الزكاة والعشر[3]، ولعل هذا راجع بدون شك إلى النشأة الدينية للدولة والسياسة الرشيدة لحكامها، ولعل أهمهم يوسف بن تاشفين، ففي عهده لم يجر لا رسم مكس ولاخراج، لا في حاضرة ولا في بادية[4].

ونتيجة لهذه السياسة الضريبية الحكيمة التي سارت عليها الدولة، زاد إقبال المزارعين على زراعة أراضيهم[5]، لكن الأمر تغير في عهد علي بن يوسف بن تاشفين الذي صارت تجبى إليه الأموال من البلاد، فقد أعاد فرض ضريبة الخراج والماشية من جديد[6].

هذا وقد ظهرت ضرائب إضافية التي قام المرابطون بفرضها على سكان الريف مثل المكوس[7] والقبالات على أسواق الماشية وكذلك على الأراضي الزراعية[8]، ومن الأدلة على

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 168.

[2] _ الطاهر عمري: **المرجع السابق**، ص: 96.

[3] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص ص: 166_ 167، السلاوي: **الإستقصا**، 2/ 70.

[4] _ ابن عذاري: **البيان**، 2/ 56، ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص: 137، عيسى بن الذيب: **الضرائب في عهد المرابطين**، ص: 6، حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص: 200.

[5] _ عيسى بن الذيب: **المرجع السابق**، ص: 6، معروف بلحاج: **كتاب مرجعي**، ص: 174.

[6] _ مقديش: **نزهة الأنظار**، 1/ 447.

[7] _ **المكوس** هي الجباية، ومكس البياعة هو انتقاص زمنها، وهو دراهم تؤخذ من باعة السلع في الأسواق.(أنظر: محمد عمارة: **معجم المصطلحات الاقتصادية**، ص: 558).

[8] _ الونشريسي: **المعيار**، 8/ 160_ 169.

تواجدها بأرياف المغرب الأوسط خلال الفترة المرابطية، أن عبد المؤمن بن علي قد وعد أهل قسنطينة بإلغاء الضرائب غير الشرعية، مثل القبالات والمكوس والمغارم والمظالم[1].

والملاحظ أن التعسف في هذه الضرائب الإضافية هو الذي أدى إلى تذمر سكان الأرياف، إذ بلغت ذروتها في عهد الأمير تميم بن تاشفين الذي حكم الناحية الغربية للمغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من504هـ/1111م إلى511هـ/1117م[2]، مما دفع بالموحدين إلى شن حملة عنيفة على تلك القبالات[3]، كما أن الأمر الذي زاد من نقمة الرعية هو أن المرابطون قد عهدوا بجبايتها في الأرياف المغربية إلى الجند الرومي[4].

خلاصة القول أن أرياف المغرب الأوسط، خصوصا الجانب الغربي من البلاد قد تأثرت دون شك من الشطط الجبائي المفروض على الأرياف المغربية التي انضوت تحت لواء المرابطين في تلك الفترة، وقد أثرت هذه الإجراءات على الملاك والزراع وبالتالي على الاقتصاد الريفي أنذاك.

وخلال **العهد الموحدي؛** عاشت أرياف المغرب الأوسط في بادئ الأمر في رخاء اقتصادي لقلة الضرائب، ذلك أن عبد المؤمن بن علي سار في البداية على نهج ابن تومرت، واقتصر على الضرائب الشرعية فحسب مثل الزكاة، والأعشار وأخماس الغنائم حتى لا يرهق الشعب بالضرائب[5]، ولعل أهم إجراء يخص هذا الأمر هو أن عبد المؤمن بن علي أمر عماله عام 555هـ/ 1160م، في المغرب الأدنى والأوسط بفرض الخراج على ثلثي الأرض، وألزمت كل قبيلة بقسطها من الزرع والمال، وقد نظم قانون الخراج زراعة الأرض، وأصبح من المحتم على الزراع أن ينهضوا بزراعتهم ليفوا بما تتطلبه معايشهم، وبما تستحقه الحكومة منهم[6]، ومن هنا يتضح أن هذا الإجراء تم على أساسين إثنين هما:

---

[1] _ تأليف جماعي: **مجموع رسائل موحدية**، ص ص: 21_ 22.

[2] _ الطاهر بونابي: **المرجع السابق**، ص: 96.

[3] _ ابن القطان: **نظم الجمان**، ص ص: 202_ 203.

[4] _ حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص: 200.

[5] _ السلاوي: **الإستقصا**، 1/ 154، عبد الله علي علام: **المرجع السابق**، ص: 253.

[6] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 160، السلاوي: **المرجع السابق**، 2/ 120.

1_ فرض الخراج على الأراضي الصالحة للزراعة.

2_ جعل القبيلة هي الوحدة الأساسية لجمع الضرائب في الشرق والغرب[1].

ومن الضرائب الشرعية التي قام الموحدون بتحصيلها أيضا هي الجزية على أهل الذمة إذ خيرهم عبد المؤمن بن علي على الإسلام أو الخروج من البلاد أو القتل[2]، وخير دليل على فعالية هذا الإجراء الأخير، هو ما ذكره ابن جبير بشأن حالة اليهود وأهل الذمة بقوله:<<**وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنه لا إسلام إلا ببلاد المغرب**>>[3]، ومن غير المستبعد أن أهل الذمة كانوا يسكنون بأرياف المغرب الأوسط، وإن كانت أعدادهم ضئيلة جدا مقارنة بالسكان الأصليين والعرب الهلاليين.

وعلى غرار الحماديين، فقد قرب الموحدون القبائل الهلالية أيضا والتي لعبت دورا كبيرا في عهدهم، لكن عبد المؤمن بن علي ألغى امتياز أخذ الغلة مناصفة، إلا أنه "**صيرهم جندا له وأقطع رؤساءهم بعض تلك البلاد**"[4]، مثل زغبة[5] وبني يزيد من بطون هذه الأخيرة، وقاموا بأعمال الجباية على قبائل صنهاجة وزواوة[6].

واستمر أمر جباية الأموال وتحصيلها من قبل الحكام الذين أتوا بعد عبد المؤمن بن علي، فقد كان يوسف بن عبد المؤمن كذلك "**جمّاعا منّاعا، ضابطا لخراج مملكته عارفا بسياسة رعيته**"[7]، ونظرا لاتساع حدود الدولة الموحدية في عهد المنصور، فقد ارتفعت ضريبة الخراج أيضا[8]، فقد كان خراج إفريقية وحدها وفر150 بغلا، خلا بجاية وأعمالها،

---

[1] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص:176.

[2] _ مقديش: **المرجع السابق**، 1/ 496.

[3] _ أبو الحسن محمد بن أحمد: **رحلة ابن جبير**، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1907م، ص: 78.

[4] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 294.

[5] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 55.

[6] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[7] _ ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، 3/ 237، مقديش: **المرجع السابق**، 1/ 466.

[8] _ ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص: 253.

وتلمسان وأعمالها والمغرب[1]، ويشهد صاحب كتاب الإستبصار أيضا الذي كان معاصرا للمنصور الموحدي، عند حديثه عن القل بأن "**لها نظر وجباية عظيمة**"[2].

والملاحظ أنه بعد غزو بني غانية لبجاية، أقفرت بسائطها وقلت مادتها وغلت أسعارها، وتعذرت الجباية وجاوز تقتيرها النهاية[3]، ولعل هذه الفترة الحرجة وغيرها من الفترات كثيرا ما كانت تدفع الموحدين إلى فرض ضرائب إضافية على الرعية، ولم تكن أرياف المغرب الأوسط بمنأى عن هذه الإجراءات خصوصا فيما يتعلق بالعقار في الريف، فبعدما انتصر الموحدون على الجيوش الزيدية في تونس، طلبوا من أهلها مشاركتهم في رباعهم وأموالهم[4]، ومن غير المستبعد أن يكون الموحدون قد استفادوا من عقارات سكان ريف المغرب الأوسط أنذاك.

كما كانت الدولة الموحدية تقتطع مجموعة من الرسوم الجبائية العيشية من مداخيل الفلاحين وتجار المواد الغذائية، لتقوم بخزنها قصد التصرف فيها عند الحاجة، والراجح أن تكون هذه الدولة هي الأولى والسباقة لهذا الإجراء[5]، وأثناء الفتن والمجاعات تقوم بتوزيعها مجانا على الفلاحين[6]، ومن المؤكد أن هذا الإجراء كان لصالح الفلاحين في الغالب، نظرا لمستواهم المعيشي البسيط، وإن كان الأمر في البداية فقط.

وكما نعلم طبيعة الحياة الريفية وخصوصية بعض القبائل التي كانت ترفض دفع المغارم، فقد شهدت هذه الدولة معارضين لسياستها الجبائية، لكنها تغلبت عليهم بفضل قوتها، فقبيلة أولاد ثابت من بطون كتامة من أهل الجبل المطل على القل، وقد فرض عليهم أبا بكر الجد المغرم عليهم أيام الموحدين، ولم يكن قبل ذلك عليهم المغرم[7].

---

[1] _ المراكشي: **المصدر السابق،** ص ص: 328_ 330، ابن أبي زرع: **روض القرطاس،** ص: 217، السلاوي: **الإستقصا،** 2/ 177_ 178.

[2] _ مجهول: ص: 177.

[3] _ السلاوي: **المرجع السابق،** ص: 181.

[4] _ التيجاني: **رحلة التيجاني،** ص ص: 345_ 346.

[5] _ الحسين بولقطيب: **جوائح وأوبئة عهد الموحدين،** ص: 69.

[6] _ **المرجع نفسه،** ص: 70.

[7] _ ابن خلدون: **العبر،** 6/ 199.

وبالرغم من أن التاريخ يتحدث دائما على الشطط الجبائي المسلط على الرؤوس من قبل الدول، وبالرغم من أن الدول التي حكمت هذه البلاد خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، لم تكسر هذه القاعدة خصوصا الحماديين والمرابطين، إلا أن الموحدون قد حرصوا على حماية الزراع وحفظ الأموال بدليل أنهم أنشأوا بحائر كثيرة في السهول والجبال في بيئات المغرب الثلاث[1]، ولعل هذا الأمر قد زاد من ثقة الفلاحين بهذه الدولة وشجعهم على العمل والاستقرار.

خلاصة القول أن عهد كلا من الحماديين، المرابطين والموحدين قد اتسم بكثرة الضرائب وتنوعها، وقد كانت هذه الدول في بداية عهدها تكتفي بالضرائب الشرعية، ولكن بعد اتساع رقعتها وكثرة خرجها، تفرض ضرائب إضافية هذه الأخيرة التي كثيرا ما كانت تثقل كاهل فلاح المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، ولعل ثراء هذه الدول من المصادر الجبائية المتنوعة، لهو خير دليل على ثراء أريافنا بمختلف المنتوجات النباتية والحيوانية والحرفية.

كانت هذه نظرة بسيطة على اقتصاد ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، وانطلاقا من دراستنا لهذا الجانب خلصنا إلى نتيجة هامة وهي أن أريافنا خلال هذه الفترة عاشت رخاء اقتصاديا لتنوع المنتوجات الريفية، والتي اسهمت بدورها في تنشيط الحركة التجارية في الريف أولا ثم مع المدن ثانيا.

وبالرغم من الفترات الحرجة التي عاشتها هذه الأرياف خصوصا الحروب والهجرة الهلالية، إلا أنها استطاعت أن تتأقلم مع تلك الظروف وهو الأمر الذي أسهم في إضفاء خصوصية على المجتمع الريفي للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وهو ما سنعالجه بفضل الله وعونه خلال الفصل الثاني من هذه الدراسة.

[1] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص: 183.

الفصل الثانـي:

مجتمع ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م.

المبحث الأول: البربر والعرب المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: البربر المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: العرب المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الثاني: مناطق الاستقرار السكاني والعوامل المؤثرة على المجتمع الريفي للمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: مناطق الاستقرار السكاني بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة على المجتمع الريفي للمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الثالث: فئات المجتمع الريفي للمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: القبيلة والتنظيم القبلي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: الأسرة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثالث: الفقهاء والمتصوفة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الرابع: فئات اجتماعية أخرى بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الرابع: المستوى المعيشي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: التغذية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثاني: السكن والمرافق الريفية في المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الثالث: الملابس بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الرابع: الوضع الصحي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المبحث الخامس: العادات والتقاليد بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: الأخلاق والطبائع.

المطلب الثاني: العادات والتقاليد.

المطلب الثالث: التسلية.

المبحث الأول: البربر والعرب المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

يصعب الحديث عن المجتمع الريفي للمغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، لنقص التوثيق حول هذا النوع من المجتمعات، ومادام موضوع دراستي هذه هو الريف بالأساس، فإنني سأركز على القبائل المستقرة نظرا لأن الحياة الريفية تقوم على الاستقرار لمزاولة النشاط الفلاحي بصفة عامة.

والنقطة الثانية التي يجب الإشارة إليها قبل الخوض في هذا المبحث، هي الحديث عن عناصر المجتمع الريفي للمغرب الأوسط بشقيه البربري والعربي في إطار الاندماج الاجتماعي بين هذين الجنسين، كما أن الخوض في هذا الموضوع لا يتم دون التعريج ولو بصورة عابرة، على أصول مجتمع المغرب الأوسط بشقيه البربري والعربي، للكشف عن كثير من الظواهر المساهمة في حركية القبائل وتنقلاتها، وتحديد مناطق تواجدها خلال الفترة قيد الدراسة، وسأتناول بالتفصيل كل جنس على حدة خلال العرض التالي.

المطلب الأول: البربر المسقرون بريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

يعرف السكان الذين يعمرون بلاد المغرب منذ القدم باسم البربر[1]، وهم السكان الأصليون لهذه البلاد، وقد اختلف الكثير من المؤرخين حول أصول البربر، وأغلب هذه الروايات تشير إلى أصولهم المشرقية[2]، والمؤلفات في هذا الشأن كثيرة جدا، منذ القدم وإلى يومنا هذا ولا يتسع المجال لذكرها هنا، لكن الأمر الملفت للانتباه هنا هو ما ذكر أبو خالد الناصري[3] بأن:<<**أرض إفريقية والمغرب لم تكن في يوم من الأيام للعرب، لا في الجاهلية**

---

[1] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 116.

[2] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها، مجهول(ق4هـ): **حدود العالم**، ص: 91، مجهول(ق6هـ): **الإستبصار**، ص: 155، الجزنائي: **زهرة الآس**، ص: 6.

[3] _ **الإستقصا**، 2/ 144.

ولا في صدر الإسلام وإنما كانت للبربر>>، ويعتبر العروي بأن البربر كانوا ضحية حكم خارجي، تأثر به ابن خلدون[1].

وهناك اختلاف كذلك حول أصل تسمية هؤلاء السكان، غير أن الأقرب والأكثر منطقية، وهو أنهم ينسبون التسمية لجدهم الأعلى "**بربر**"[2]، وإن كان سكان المغرب يأنفون من تسمية البربر، ويطلقون على أنفسهم اسم "**الأمازيغ**"[3]، أو "**بني مازيغ**"[4]، وقد وصف ابن خلدون هؤلاء البربر بقوله:<<**هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلوله، وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين، ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر، ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي في ما قرب من الرحلة، لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفار الأملس، ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج، وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب**>>[5].

ويتضح من هذا القول إن البيئة الطبيعية التي تعيش فيها القبائل، هي التي تحدد الشكل الاقتصادي الخاص بها، ولذلك ينقسم البربر إلى فرعين رئيسيين يختلفان اختلافا واضحا في نوع الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهذان الفرعان هما:

_ **البتر**: وهم من ولد مادغيس الأبتر بن بر بن مازيغ حسب ابن خلدون[6]، ويتضح من هذا التقسيم أنه قد تم على أساس سلالي، وهناك من جعل من هذا التقسيم على أساس اجتماعي على أساس أن العرب هم من أطلق على هؤلاء السكان، لأنهم يرتدون ثيابا قصيرة، وإلى

---

[1] _ **مجمل تاريخ المغرب**، ص: 25.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 123.

[3] _ عبد الواحد دنون طه وآخرون: **تاريخ المغرب العربي**، ص: 21.

[4] _ مجهول(ق8هـ): **مفاخر البربر**، ص: 180.

[5] _ **المصدر السابق**، ص: 116.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 118.

هؤلاء تنتمي قبيلة زناتة[1]، وتجمع قبائل البتر في أربعة أجذام هي: أداسة ونفوسة، ضرية (ضريسة) وبنو لوا الأكبر[2].

_ **البرانس:** اختلف الأساس الذي اعتمد عليه هذا النوع من التقسيم كذلك، فهناك من جعله على أساس سلالي مثل ابن خلدون، الذي جعلهم من نسل برنس بن بر بن مازيغ[3]، وابن حزم أنكر هذا التقسيم كذلك[4]، ومن المؤرخين من جعل هذا التقسيم على أساس اللباس الذي يرتدونه وهو البرنوس، كمظهر خارجي للباس الذي كان يرتديه هؤلاء البرانس، ويشتمل على غطاء للرأس ولايزال هذا اللباس مستمرا إلى اليوم[5].

ومن قبائل البرانس نجد إزداجة، مصمودة، أوربة، عجيسة، كتامة، صنهاجة وأوريغة[6]، وهناك من المؤرخين من لم يستبعد أن الفرق بين هذين الفرعين يكون في الجانب الثقافي واللغوي، باعتبار أن البرانس أكثر تأثرا بالحضارات والثقافات، لأنهم مستقرون للزراعة والغراسة وقريبون من مراكز السلطة في المدن، لذلك فهم يتميزون بلهجة خاصة بهم، أما البتر فظلوا يعيشون وفق أنماط الحياة البدوية والاعتصام بالمناطق الجبلية البعيدة، فاحتفظوا بلهجتهم وأصالتها[7].

والواقع أن نعت القبائل البرنسية بالاستقرار والبترية بالبداوة والترحال هي مسألة نسبية قابلة للاعتراض، فهناك من أحفاد البرانس من اختص بمظاهر الحياة البدوية النقية، كقبائل صنهاجة الجنوب الضاربة في الصحراء، في حين اشتهرت قبائل بترية بممارسة أساليب

---

[1] _ محمد علي بن أحمد الأندلسي المعروف بابن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، د_ ت، ص ص: 495_ 497، عن أصل زناتة كذلك، أنظر: محمد بن عميرة: **دور زناتة**، ص ص: 15_ 16.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 118.

[3] **_ المصدر نفسه، ص: 119.**

[4] _ **المصدر السابق**، ص: 495.

[5] _ موسى لقبال: **البتر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الإسلام**، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، العدد 24، 1975م، ص: 162.

[6] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 117.

[7] _ موسى لقبال : **المرجع السابق**، ص، ص: 162، 164.

الحياة الحضرية والاستقرار كقبيلة كومية التي ينسب إليها عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين[1].

وعموما فما دام موضوع دراستنا هنا هو الريف وحياة الاستقرار، فسترتكز دراستنا بشئ من التفصيل على القبائل المغربية البرنسية، وهم البربر الذين عرفوا بالاستقرار في القرى ومختلف المناطق الريفية لبلادنا، وكذلك الواحات الجنوبية في الصحراء، ومن أشهر هذه القبائل البرنسية المستقرة، بأرياف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م هي:

1_ كتامة:

يقول ابن خلدون عن هذه القبيلة بأنها: <<**من قبائل البربر بالمغرب، وأشدهم بأسا وقوة وأطولهم باعا في الملك عند نسابة البربر، من ولد كتام بن برنس ويقال كتم...وكانت بطونهم كثيرة يجمعها كلها غرسن ويسودة ابنا كتم بن برنس**>>[2]، وكانت مراكز استقرار قبائل كتامة تقع على الساحل وفي دواخل البلاد، ومعظم هذه المناطق كانت خصبة وأريافها وفيرة مثل: مرسى الخرز[3]، القل وبونة[4]، والملاحظ على بونة أنها باتت في عهد الإدريسي في يد روجار[5]، ومن المؤكد أن أريافها قد تأثرت بهذه الحروب.

ومن مناطق استقرار كتامة في الساحل كذلك نجد: جيجل[6]، بجاية[7]، مرسى الدجاج[8]، وكانت هذه المناطق جميعا ذات وسط فلاحي وتجاري مزدهر، وقد تناولنا هذا الموضوع في الفصل الأول، أما عن تلك الواقعة في الداخل نجد قسنطينة وميلة[9]، التي كانت في طاعة

---

1 _ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين**، ص: 30، موسى لقبال: **دور كتامة**، ص ص: 59_ 60.

2 _ العبر، 6/ 195.

3 _ البكري: **المغرب**، ص: 55، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 190، مجهول: **الاستبصار**، ص: 128.

4 _ البكري: **المصدر السابق**، الصفحة نفسها، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 169، 190.

5 _ **المصدر نفسه**، ص: 192.

6 _ **المصدر نفسه**، ص ص: 167_ 168، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 128.

7 _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 160_ 161، مجهول: **المصدر السابق**، ص ص: 131_ 132.

8 _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 65، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 160، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 131.

9 _ البكري: **المصدر السابق**، ص:63، 64، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 165_167 على التوالي.

يحي بن العزيز صاحب بجاية[1]، وبقربها قرية صغيرة هي تاناقللت[2]، حصن إيكجان[3]، تيجيس[4]، قصر الإفريقي[5]، توبوت وبعض مدن الزاب والأوراس[6]، وكذلك جبل وانشريس[7].

2_ صنهاجة:

هي الأخرى قال عنها ابن خلدون بأنها:<<**من أوفر قبائل البربر وهي أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما بعده، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أول البربر**>>[8].

وكانت أعظم قبائل صنهاجة هي تلكاتة، وفيهم الملك الأول وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية وهم أهل مدر[9]، وتمتد أراضي صنهاجة المغرب الأوسط في المناطق الواقعة في شرق الجزائر بالشمال الشرقي بخط يمتد من جبال الأوراس حتى تنس[10]، ويذكر ابن خلدون بشأن مواطنهم أنها كانت:<<**من المسيلة إلى حمزة إلى الجزائر والمدية ومليانة من مواطن بني يزيد وحصين والعطاف، من زغبة ومواطن الثعالبة لهذا العهد، وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة أعقابهم هنالك من متنان وأنوغة وبنوعثمان وبنو مزغنة وبنو جعد وملكانة وبطرية وبنو يفرن وبنو خليل، وبعض أعقاب تلكاتة بجهات بجاية ونواحيها، وكان التقدم منهم جميعا لتلكاتة** >>[11]، بالإضافة إلى جبل

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص ص: 165_ 166.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 67.

[3] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 170.

[4] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 53.

[5] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 84_ 85، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 196.

[6] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 144.

[7] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 154.

[8] _ **العبر**، ص: 201.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 202.

[10] _ إسماعيل العربي: **المرجع السابق**، ص: 39.

[11] _ **المصدر السابق**، ص: 203، أنظر أيضا: الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 155، 159.

وانشريس، شرشال والجزائر[1]، وكذلك مرسى الدجاج وسوق حمزة[2]، أشير، بجاية، القلعة وبونة[3]، وجبل تيطري[4].

لقد كانت صنهاجة الشمال تعيش حياة مماثلة لحياة جيرانهم كتامة وزواوة، وتعتمد على الزراعة والرعي ويسودها الاستقرار وكانت لها دائما قرى تعقد فيها أسواقا يقصدها الناس[5]، ويذكر جورج مارسييه بأنهم يمتلكون موارد أوفر من كتامة، وكانت لهم القدرة على مقاومة زناتة[6].

ومن قبائل البرانس التي تواجدت بأرياف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م نجد **إزداجة** ومن بطونها بنو مسكن وبنو مسطاسة، وقاموا بتمصير وهران عام 902م، وسكنوا أحوازها وقراها[7]، وكما قلنا فيما سبق أنه من بطون البتر من كان **مستقرا** مثل قبيلة **زناتة**، التي انتشرت فروعها في كثير من المناطق الريفية مثل الأوراس[8]، وهران والمسيلة[9]، بونة، تيجس، تاهرت، مليانة، هنين، طبنة، وباغاي[10]، الغدير وفحص سيرات[11]، دون أن ننسى نواحي تلمسان وجبل بني راشد[12].

والملاحظ أن هذه القبائل الكبرى كانت لها فروع وامتدادات في مختلف الجهات، وهو ما يؤكد على أن القبيلة في الشمال الإفريقي منذ القديم كانت جسما متحركا، بدليل توزع عشائر

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 154، 158، 159.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص: 65، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 159.

[3] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 65، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 154_ 162.

[4] _ النويري: **نهاية الأرب**، ص: 88.

[5] _ اسماعيل العربي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[6] _ **بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق**، ص: 181.

[7] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 70.

[8] _ ابن خلدون: **العبر**، 7/ 11_ 12، البكري: **المصدر السابق**، ص: 80، مجهول: **الإستبصار**، ص: 133.

[9] _ البكري: **المصدر السابق**، ص، ص: 70، 144، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 133، 163.

[10] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 55، 63، 67، 69، 80، 144، على التوالي.

[11] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص، ص: 167، 178.

[12] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 17.

القبيلة الواحدة في مختلف جهات البلاد، وهذه القبائل الثلاث هي الكتل المشكلة لمجتمع ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة.

المطلب الثاني: العرب المستقرون بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

من المعروف أن توافد العنصر العربي لهذه البلاد كان منذ القدم، وقد سكنوا مناطق ريفية عديدة مثل سطيف، تهودة، طولقة وبنطيوس[1]، ميلة[2]، طبنة بالزاب[3]...إلخ، ومعظم هذه القبائل العربية مارست الزراعة والرعي، لكن التوافد الذي كان له بالغ الأثر في التغير الاجتماعي والبشري لبلاد المغرب الأوسط هو الهجرة الهلالية خلال القرن 5هـ/ 11م.

تقدمت القبائل العربية نحو المغرب الأوسط(الجزائر حاليا)، خلال هذه الفترة ودخلوها من ثلاث جهات؛ كانت الأولى من جهة السواحل أين تقطن كتامة ويضعف نفوذ صنهاجة، والثانية من جهة الهضاب ما بين الأطلسن التلي والصحراوي، أما الجهة الثالثة من الصحراء وانتشروا جنوب أوراس على قرى الزاب، وانتهوا أيام الموحدين إلى مزاب وجبل بني راشد[4].

وبالرغم من كثرة المؤلفات التي نعتت الهجرة الهلالية بالخراب والتوحش، لكن الواقع أنهم اختلطوا مع أهالي البلاد، ولعل هذا يعود إلى التشابه في نمط الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما ساهم في الاندماج الاجتماعي بين الجنسين، ومن أهم القبائل العربية التي استقرت في أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة نجد:

1_ الهلاليون: من فروعهم التي استقرت بالمغرب الأوسط نجد الأثبج ورياح.

- **الأثبج**

كانوا من أكثر القبائل الهلالية بطونا[5]، استقروا بجبال الأوراس الشرقية، وبعد ثورة بني غانية ازدادت قوة جيرانهم رياح واستولوا على ضواحي قسنطينة، فاضطر بقايا الأثبج إلى

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص، ص: 51، 72.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 64.

[3] _ اليعقوبي: **البلدان**، ص: 130، البكري: **المصدر السابق**، ص: 144.

[4] _ الميلي: **تاريخ الجزائر**، 2/ 182_ 183، عبد الحميد خالدي: **الوجود الهلالي السليمي**، ص: 170.

[5] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 31.

ترك الضعن والاستقرار بقرى الزاب[1]، ومن بطون الأثبج المستقرين بالمغرب الأوسط نجد **كرفة** بالأوراس مما يلي زاب تهودة[2]، **دريد** أعز بطون الأثبج وأعلاهم كعبا، كانت مواطنهم ما بين بونة وقسنطينة، إلى قرية طارف مصقلة وما يحاذيها من القفر[3]، **عياض** بجبل القلعة وملكوا قبائله وغلبوا على أمرهم وصاروا يتولون جبايتهم، وغلبهم الموحدون فيما بعد بالاستعانة برياح[4].

- **رياح**

من بطونهم التي استقرت بالمغرب الأوسط نجد عامر ومرداس، فمن بطون عامر بطن يسمى بنو شداد بن الأشجع بن هلال بن عامر بن صعصعة المستقرون بضواحي بونة[5].

- **زغبة**

قبيلة زغبة من إخوة رياح، ومن بطونهم الذين استقروا بالمغرب الأوسط نجد **يزيد** الذين أقطعهم الموحدون بلاد حمزة من أوطان بجاية، مما يلي بلاد رياح والأثبج فنزلوا هنالك[6]، وكذلك **حصين بن زغبة** بجوار بني يزيد إلى المغرب منهم، إلى جبل تيطري ونواحي المدية من مواطن الثعالبة من بطون البعوث[7].

2_ بنو سليم: هم بطن متسع من أوسع بطون مضر وأكثرهم جميعا[8]، ومن أهم بطونها التي استقرت بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة نجد **عوف** ما بين قابس وبونة(بلد العناب)، وأشهر بطونهم **مرداس** ومنهم أولاد جامع، علاق ومنهم أولاد يحي وأولاد حصين[9]، هذا ونجد

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 32.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 32، الميلي: **المرجع السابق**، 2/ 160.

[3] _ ابن خلدون: **العبر**، الصفحة نفسها.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 33.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 44.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 54_ 55.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 58.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 94.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 95_ 97.

أن بطون بني سليم قد انتشروا بصفة أكبر في نواحي سعيدة، النعامة، معسكر، وأهم قبائلهم هي الحوامة[1].

3_ المعقل: كانت فروع هذه القبيلة مجاورين لبني عامر من زغبة في مواطنهم من قبلة تلمسان[2]، من أهم بطونهم ذوي عبيد الله والثعالبة، فالبطن الأول عني بالحياة البدوية والترحال[3]، وكانت مواطن الثعالبة متيجة من بسيط الجزائر[4].

كان هذا عرضا بسيطا ومختصرا عن مواطن استقرار القبائل العربية بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، والملاحظ أن استقرارهم وتوطينهم كان بصفة أكبر خلال الفترة الزيانية أين كان الإقطاع وتغلب القبائل العربية بعضها على بعض على أشده[5].

كما تجدر الإشارة إلى أنه من الصعب تحديد مناطق استقرار القبائل العربية والبربرية، لعدم دقة المعلومات ماعدا ما ذكره ابن خلدون وكتب الرحلات حول هذه القبائل، لأن هذه القبائل لم تكن ثابتة نتيجة لحالة القوة والضعف، وهذا ما خلق حالة من المد والجزر في مناطق استقرارها وتوطينها طيلة العصر الوسيط، وليس فقط الفترة قيد الدراسة.

---

[1] _ عبد الحميد خالدي: **المرجع السابق**، ص: 189.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 77.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 77_ 78.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 84، الميلي: **المرجع السابق**، ص: 159.

[5] _ **لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع أنظر ابن خلدون: العبر**، 6/ 17_ 111، وكذلك مصطفى أبو الضيف: **القبائل العربية في المغرب**، ص ص: 207_ 234.

المبحث الثاني: مناطق الاستقرار السكاني والعوامل المؤثرة على المجتمع الريفي بالمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: مناطق الاستقرار السكاني بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

إن استقرار معظم القبائل في المغرب الأوسط دليل على بلوغها درجة حضارية أعلى من القبائل البدوية، كما أن هذا الاستقرار يوحي بوجود تجمعات سكنية لدى سكان الأرياف، وتشهد المصادر[1] التي عدنا إليها على أن أرياف المغرب الأوسط كانت آهلة بالسكان، ومع مجيء العرب الهلاليين تملكوا الأرياف[2]، واندمجوا مع سكان الأرياف المغربية.

وبالرغم من أننا لا نعرف النسبة المئوية التي كان يمثلها العنصر الريفي بالنظر إلى مجموع السكان في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، غير أن الاندماج الذي حصل بين الجنسين البربري والعربي، قد كان نتيجة لانصهار أعداد لا يستهان بها آنذاك، وحتى الفترات التي تلتها خلال العصر الوسيط.

ومن الأدلة الواضحة على هذا هو إشارة الرحالة والجغرافيين إلى استقرار القبائل الريفية في مختلف ربوع أرياف المغرب الأوسط، فقد كان حول كلا من بونة[3]، مقرة، المسيلة[4]، فحص باغاية[5] وتاهرت[6]، "**قبائل كثيرة من البربر**"، هذا وقد كان سكان "**الغدير يعتدّون في60 ألفا**"[7]، وهذه الإشارات جميعا تدل على أن أريافنا كانت غاصّة بأعداد كبيرة من السكان، ولعل اللفظ الوارد "**القبيلة**"، لأنها كانت تمثل قمة التنظيم الاجتماعي لدى سكان الريف آنذاك.

---

[1] _ حول هذه النقطة، أنظر: المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص: 62، ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص ص: 83_ 84، مجهول(ق4هـ): **حدود العالم**، ص ص: 133_ 134، ابن خلدون: **العبر**، 6/ 140.

[2] _ ابن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 27.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 55، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 115.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 556_ 558، الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 156.

[5] _ البكري: **المصدر السابق** ، ص: 144.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 67_ 69.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 60، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 427.

هذا ونجد الجبال كانت أكثر المناطق كثافة بالسكان مثل الجبال المحيطة بجيجل[1]، بجاية[2]، جزائر بني مزغناي[3]، بالإضافة إلى جبال الرحمان[4]، جبل إيكجان[5]، وجبل وانشريس[6]، كما كانت تسكن قبيلة ربيعة على الطريق الرابط بين برشك وشرشال[7]، وكذلك الطريق بين المسيلة وتاهرت، كانت تسكنه قبائل بربرية كثيرة[8].

إذا كان هذا العرض قد ارتكز أساسا على استقرار القبائل دون ذكر نوع الاستقرار، غير أننا نجد في بعض المواضع التفصيل في نوع الاستقرار من قبل هؤلاء الرحالة والجغرافيين، فتارة يذكرون لفظ "**العمائر**"[9] للدلالة على مناطق الاستقرار الريفي، والتي كانت متواجدة بكثرة في المناطق الممتدة بين القل وبونة[10]، جبل أوراس[11]، الزاب[12]، بالإضافة إلى رحل الصفاصف بين تلمسان وتنس[13]، وحول قلعة ابن الجاهل[14]، وهذا دليل على التوسع السكاني وكثافة السكان.

ونجدهم في مواضع أخرى يوضحون نوع الاستقرار مثل الضياع من ذلك ما قاله

---

[1] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 128، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 184.

[22] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 82.

[3] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 159.

[4] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 83.

[5] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 539.

[6] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص ص: 154_ 155.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 158.

[8] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[9] _ **العمائر** مفردها عمارة وعمورا وعمرانا لزمه، والمعمر المنزل الواسع من جهة الماء والكلأ الذي يقام فيه، وعامر بمعنى مقيمين ومجتمعين، والعمارة أصغر من القبيلة وقيل هو الحي العظيم الذي يقوم بنفسه، وينفرد بظعنها وإقامتها ونجعتها وجمعها عمائر. **(أنظر: ابن منظور: لسان العرب، 6/ 381_ 384.**

[10] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 170، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 65.

[11] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 165.

[12] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 176.

[13] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 151.

[14] _ البكري: **المغرب**، ص: 76.

الإدريسي بأنه << **بـأرض تاهرت ضياع جمة** >>[1]، أو ضمن **حصون**[2]، مثل حصن سطيف[3]، وحصن بكر[4]، ومن أماكن الاستقرار كذلك نجد **المشتى**[5]، مثلما ذكر البكري[6] عن"**مرسى الروم وهو مشتى مأمون**"، وأيضا **المداشر** فقد كانت تلكاتة وأنجفة، غير مستقرة عامرة في مداشرها[7].

هذا ونجد أن من القرى من كانت مملوكة لبعض الأشخاص، والذين كانت لهم مطلق الحرية في التصرف فيها مثل تحبيسها[8]، أو بيعها...إلخ، وهذا دليل واضح على أن الحياة في الريف كذلك كانت تشهد تراتبا اجتماعيا ملحوظا، وطبقة أرستقراطية كانت تتحكم في زمام الأمور، وبالرغم من اختلاف نوع الاستقرار غير أن النمط الأكثر شهرة للاستقرار الريفي في المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م هي القرى وهو ما سأعالجه بحول الله خلال العنصر الموالي.

---

[1] _ **المصدر السابق،** ص: 157، أنظر أيضا: القلقشندي: **صبح الأعشى،** 5/ 111.

[2] _ مفردها **حصن،** وهو نوع من السكن المحصن، استعمل للإحتماء في فترة القلاقل، للدلالة على التوطين ذي الصبغة العسكرية، وأهملت الحصون والأربطة خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، نتيجة للوضع المضطرب أنذاك.(**أنظر: محمد حسن: المدينة والبادية، ص: 68).**

[3] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق،** ص ص: 169_ 170.

[4] _ **المصدر نفسه،** ص: 163.

[5] _ من الفعل شتا، وشتا الشتاء، وتشتى المكان أقام في الشتوة، وتقول العرب هذه مشاتينا ومصايفنا ومرابعنا ، أي أماكننا في الشتاء والصيف والربيع، وتشتوت بموضع كذا أ، وتشتيت أي أقمت به الشتاء، وهذا الذي يشتيني أي يكفيني لشتائي، والعرب تجعل الشتاء مجاعة، لأن الناس يلتزمون فيه البيوت، ولا يخرجون للانتجاع.(**أنظر: ابن منظور: المصدر السابق، 2/ 149_ 150).**

[6] _ **المصدر السابق،** ص: 83.

[7] _ محمد الطمار: **المرجع السابق،** ص: 17.

[8] _ ابن رشد: **الفتاوى،** 1/ 193، 320، 3/ 1261،

1_ القرى بريف المغرب الأوسط القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لقد أشار الرحالة والجغرافيون إلى كثرة القرى[1] في ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، وهذا دليل على الاستقرار البشري الكبير وتركز الكثافة السكانية، في ريف المغرب الأوسط آنذاك، وقد غلب على القرى المغربية طابع الانتاج الزراعي خصوصا، وقد تناولنا هذا الموضوع في الفصل الأول، وكانت هذه القرى تختلف أحجامها بين الكبر والتوسط والصغر، تبعا لقدرتها الاقتصادية وحجم الكثافة السكانية القاطنة بها.

وقبل أن نتناول كل نوع من هذه القرى على حدى، تجدر الإشارة إلى أن بعض الرحالة والجغرافيين، قد ذكروا بعض القرى دون اقترانها بصفة الكبر أو الصغر، وإنما ذكروها بصفة عامة، والتي كانت كثيرة ومنتشرة في كامل أرياف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، ومن الأمثلة على ذلك نجد أن "**قرية النهريين وهي قرى كثيرة في فحص عريض وبساط من الأرض مديد**"[2]، بالإضافة إلى كثرة القرى في كل من بنطيوس، تهودة، مرسى تكوش[3]، بسكرة التي فيها قرية ملشون، التي كان منها الفقيه أبو عبد الله الملشوني[4]، هذا وقد أشار الحميري إلى كثرة القرى في كل من حصن بلزمة، وجبل بني زلدوي[5]، وكذلك قرية الفهمين[6]، دون اقترانها بأية صفة.

كما كان حول وادي مقرة سبعة قرى، منها قرية يكسم[7]، هذه الأخيرة التي قال عنها الحميري بأن حولها حصون كثيرة[8]، وهذا دليل على التحول في النمط العمراني لمناطق

---

[1] _ تعتبر **القرية** النواة السكنية في المجال الريفي، وهي متميزة بأهميتها الديمغرافية ووظائفها الاجتماعية والاقتصادية، وتشكلها المورفولوجي ومعالمها، وبعلاقتها المزدوجة مع المركز الحضري والمحيط البدوي، وهي كذلك وحدة استغلال زراعي قائمة على الزراعات السنوية والغراسات. **انظر: محمد حسن: المدينة والبادية، 1/ 59.**

[2] _ البكري: **المغرب**، ص ص: 53_ 54.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 72، 63.

[4] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 178، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 114.

[5] _ **المصدر السابق**، ص، ص: 103، 569.

[6]_ البكري: **المصدر السابق**، ص: 54.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 144.

[8] _ **المصدر السابق**، ص: 556.

الاستقرار الريفي خلال العصر الوسيط، وخلال القرن 6هـ/ 12م يذكر الإدريسي بعض القرى مثل قرية القصر، قرية سوق يوسف بجبل سحاوة[1].

والملاحظ أن القرى هي الأخرى قد تأثرت بالظروف المحيطة بالريف فتراجع عددها، مثل القرى الواقعة حول باغاية[2]، كما كان حول قسنطينة الكثير من القرى[3]، وفي المقابل نجد أن هناك من القرى من كان يتطور إلى مدن وهذا راجع بدون شك إلى ارتفاع الكثافة السكانية، وكثرة خيراتها فقد ذكر صاحب كتاب الاستبصار بأن كلا من وهران، المسيلة، مليانة، بادس، "**كانت قرى كبيرة**"[4]، كما تكونت تلمسان هي الأخرى من "**مجموعة قرى**"[5]، وسنتعرض بالتفصيل خلال العرض التالي إلى أنواع القرى في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

2_ أنواع القرى بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

أ_ القرى الكبيرة/ العامرة

لم تذكر المصادر التاريخية ولا الجغرافية، عدد السكان بالضبط القاطنين بهذا النوع من القرى، لكن الإشارة إلى صفتها دليل واضح على أن حجم السكان بها كان كبيرا، والملاحظ أن الاستقرار السكاني بها يعود أساسا إلى توفر عوامل مساعدة على ذلك، منها على الخصوص وفرة الأمن والرخاء الاقتصادي.

ومن الإشارات التي تشهد على وجود هذا النوع من القرى في ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، هي ككل مرة؛ شهادة الرحالة والجغرافيين ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره البكري بشأن قرية الجهنيين التي كانت" **كبيرة آهلة** "[6]، وكذلك قرية طربلة التي كان يقال

---

[1] _ **نزهة المشتاق**، ص، ص: 163، 167_ 168.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 177، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 77.

[3] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 165، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 480.

[4] _ **المصدر السابق**، ص: 135، 160، 176، على التوالي.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 180، أنظر أيضا: ابن عذاري: **البيان**، 1/ 196.

[6] _ **المغرب**، ص: 146.

لها، " **طريلة طرف من الجنة** "[1]، وهذا بدون شك دليل على الخصب والوفرة والرغد في العيش.

ومن جهته الإدريسي ذكر الكثير من القرى العامرة مثل: القل، قرية متوسطة على الطريق الرابط بين جيجل وبجاية[2]، وكذلك القرية الواقعة على مرسى فروخ على الطريق ما بين مستغانم ومازونـة[3]، والتي لم يذكـر اسمها، بالإضافة إلى قريـة مسكيانـة، العلويين، بابلوت، سنى، والمعسكر[4]، وجميع هذه القرى كانت كبيرة وهي على الطريق الرابط بين تلمسان وتنس.

ومن القرى الكبيرة العامرة أيضا نجد قرية ريغة، ماورغة على الطريق بين مليانة وكزناية[5]، قرية تاورت على الطريق من بجاية إلى القلعة[6]،و كذلك قرية أزكو، البرذوان، النهريين، أوسحنت، وهذه القرى جميعا، والتي كانت على الطريق الرابط ما بين القيروان وتاهرت[7] ، بالإضافة قرية ابن مجبر، وقرية سطيت على الطريق ما بين تلمسان والمسيلة[8]، وكذلك مرسى أرزاو الذي كان"**قرية كبيرة**" على الطريق بين وهران ومستغانم[9].

ومن هذه الإشارات جميعا نلاحظ أن معظم أرياف المغرب الأوسط كانت آهلة بالسكان وهذا دليل على أنهم كانوا يعيشون في وضع اقتصادي مزدهر، وهذا ما يفند أو على الأقل يجعلنا نعيد النظر فيما تناولته الكثير من المؤلفات التي تناولت فكرة خراب الأرياف بعد وصول القبائل الهلالية، بالرغم من أن بعض المناطق وحتى المدن شهدت

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 60.

[2] _ **نزهة المشتاق**، ص: 169.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 172.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 152.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 155.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 169.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 163، 195_ 197.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 157.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 172.

تراجعا وهو أمر لا يمكن إنكاره، مثل وهران التي أشار إليها صاحب كتاب الاستبصار إلى أنها باتت قرية[1].

ومن القرى الكبيرة العامرة أيضا نجد قرية قيطون بياضة، وهي آخر بلاد الزاب بالقرب من مدينة بادس[2]، كما كانت كورة سطيف تشتمل على قرى كبيرة سكانها من البربر[3]، وأثناء توجه عبد المؤمن بن علي إلى بجاية، وعند توسطه تلمسان نظر في طريقه إلى قريــة كثيرة الدور[4]، وهذا دليل على أنها هي الأخرى كانت عامرة بالسكان.

ب_ القـــرى الصغيـــــرة

من المؤكد أن هذا النوع من القرى كان قليل الكثافة السكانية، وهذا راجع إلى صغر مساحتها من جهة، وكذلك إلى إمكاناتها الزراعية والرعوية والتجارية المحدودة، والملاحظ أن أن المصادر الجغرافية أهملت ذكر هذا النوع من القرى، وربما الأمر يعود إلى قلة أعدادها، وأنها كانت قليلة الأهمية مقارنة بالأولى.

ومن النماذج على هذا النوع من القرى في ريف المغرب الأوسط، ما ذكره الإدريسي بشأن كل من قرية تادرّة، ندّاي، أعبر، ودارست، وهذه القرى جميعا على الطريق الرابط بين تلمسان وتاهرت[5]، كما كان على الطريق الرابط بين برشك وتلمسان، يوجد " **جون هوز**"، وهوز "**قرية صغيرة**"[6].

ومن القرى الصغيرة المتواجدة بريف المغرب الأوسط أيضا نجد قرية ملالة، وهي قرية صغيرة الحجم، وكانت مكان لقاء المهدي ابن تومرت بعبد المؤمن بن علي[7]، والتي سماها

---

[1] _ مجهول: ص: 135.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 180.

[3] _ أبو الفدا: **تقويم البلدان**، ص: 141.

[4] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 80، ابن القطان: **نظم الجمان**، ص: 176.

[5] _ **نزهة البمشتاق**، ص: 157.

[6] _ **المصدر نفسه**، ص: 173.

[7] _ النويري: **نهاية الأرب**، 24/ 153، ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 173، ابن الأثير: **الكامل**، 9/ 196.

عبد الواحد المراكشي بضيعة ملالة[1]، وهذه الضيعة كانت لبني ورياغل على فرسخ من بجاية[2].

إن الإشارة إلى لفظ ضيعة فيما قلناه سابقا، يوحي لنا بوجود نمط آخر للاستقرار الريفي، ونرجح أن الضيعة كانت تساوي في كثافتها القرية الصغيرة، وقد كانت منتشرة في كثير من المناطق الريفية وكان يملكها الأشخاص[3]، ويذكر الإدريسي[4] أنه "**بأرض تاهرت ضياع جمة**"، والأمر الملفت للانتباه أن المصادر التي عدنا إليها لم تذكر أي معلومة أو حتى إشارة عن وجود قرى من الحجم المتوسط، في ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، فهل الأمر يعود إلى عدم وجودها؟، أم أن هذا النوع كان يضم إلى القرى الكبيرة؟

مما تقدم نخلص إلى أن ريف المغرب الأوسط قد عرف مناطق استقرار كثيرة، اختلفت أسماؤها حسب أهمية كل نوع، وشكله المورفولوجي، وكثافته السكانية، كما أن أغلب القرى اقترن ذكرها بما تزخر به من إمكانات وثروات زراعية وحيوانية وأنشطة تجارية، وقد فصلنا في هذا الموضوع الخاص بالاقتصاد، والملاحظ أن هذا الاختلاف في أماكن الاستقرار يعود أساسا إلى الظروف والعوامل المتحكمة في السكان الريفيين، وهو ما سنتناوله خلال المطلب التالي.

المطلب الثاني: العوامل المؤثرة على المجتمع الريفي للمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لقد تعرضت أرياف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، لجملة من العوامل التي أثرت على وضعها الديمغرافي ونسيجها العمراني، وتتمثل هذه العوامل على الخصوص

---

[1] _ **المعجب**، ص: 247.

[2] _ الميلي: **المرجع السابق**، 2/ 301.

[3] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 236.

[4] _ **المصدر السابق**، ص: 157، أنظر أيضا: القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 111.

في الفتن والحروب، والمجاعات والأوبئة وكذلك الهجرة، وسنعالج كل عنصر من هذه العناصر بالتفصيل خلال العرض الموالي.

1_ الفتـــــن والحـــــروب

لقد شهدت أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، حروبا وفتنا كثيرة منها الداخلية والخارجية، وقد تناولناها بالتفصيل خلال الفصل التمهيدي من هذه الدراسة، والتي ساهمت بشكل واضح في إضعاف البنى الاقتصادية والنُّسُج العمرانية والبشرية، كما أن أعمال التخريب والنهب التي شهدتها هذه الأرياف، أثرت بدون شك عليها من خلال كثرة الموتى والقتل، وشيوع الفقر الأمر الذي يساهم في تراجع أعداد السكان.

والملاحظ أن الفتن والحروب تكون أخطر من الكوارث الطبيعية، ذلك أن هذه الأخيرة هي حالة مؤقتة، ولكنها تزول مهما طالت، لكن الحروب هي حالة شبه دائمة خصوصا في بلاد المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بالذات.

2_ المجاعـــات والأوبئـــة

تعتبر المجاعات والأوبئة من العوامل المؤثرة على المجتمع الريفي، وقد ظلت الجوائح والكوارث الطبيعية مصاحبة للمجتمع المغربي عبر تاريخه الطويل[1]، ويلخص ابن خلدون عند عقده لفصل في "**وفور العمران آخر الدولة وما يكثر فيها من كثرة الموتان والمجاعات**"، حيث يقول:<<**إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب فيه إما المجاعات، فلقبض الناس أيديهم عن الفلح في الأكثر بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخوارج لهدم الدول...وطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف، ويقل ويكثر والزرع والثمار على نسبته...وأما كثرة الموتان ففيها أسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه، أو كثرة الفتن لاحتلال الدولة فيكثر الهرج والقتل أو وقوع الوباء، وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران، لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة، وإذا فسد الهواء وقع المرض >>**[2].

---

[1] _ الحسين بولقطيب: **جوائح وأوبئة عصر الموحدين**، ص: 125.

[2] _ **المقدمة**، ص ص: 334_ 335.

ومن نص ابن خلدون يمكن إجمال أسباب المجاعات والأوبئة في جانبين أساسيين هما: الأسباب البشرية والأسباب الطبيعية، وسنحاول التفصيل في هذين الجانبين ضمن إطار يمس ريف المغرب الأوسط بالأساس خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

- **الأسباب البشرية**

تتجلى الأسباب المؤدية للمجاعات في هذا المضمار، في الشطط الجبائي، الأمر الذي يدفع بالسكان إلى هجرة أراضيهم، فتبور فيقل الغذاء وهو الذي يكون سببا في المجاعات المؤدية إلى كثرة الأموات[1]، ومن الأسباب البشرية أيضا نجد أن قلة تخزين الناس للزروع، فباستثناء إشارة الإدريسي لسكان قسنطينة، فلم نجد أية معلومة سواها في هذا المنحى وإن لم يكن هذا أمر عام يشمل كامل المغرب الأوسط، لكن بساطة التفكير الريفي توقعهم في هذا الخطأ.

هذا ونجد الحروب كذلك تتسبب في حدوث المجاعات والأوبئة، فقد كثرت المجاعات منذ أن بدأ عبد المؤمن بن علي بشن حملاته على المرابطين سنة 524هـ/ 1129م، والتي انتهت بسقوط المرابطين[2]، ومن المجاعات التي شهدتها بلاد المغرب وبدون شك أن أرياف المغرب الأوسط لم تسلم منها هي مجاعة عام 425هـ[3]، وفي عام 469هـ كانت أيضا بإفريقية مجاعة عظيمة ووباء عظيم مات فيه من الناس خلق كثير[4].

بالإضافة إلى المجاعات فالحروب تسبب أيضا في حدوث الكثير من الأوبئة من ذلك الوباء الذي سرا إلى بجاية بعد غزو بني غانية، وكثر الموتان بها[5]، وهذا مصدره أن مصدره كان من النواحي والمناطق الريفية وربما يكون قد حصد أعدادا كبيرة من السكان الريفيين قبل أن يسري إلى المدينة.

---

[1] _ الحسين بولقطيب: **المرجع السابق**، ص: 31.

[2] _ عز الدين عمر موسى: **النشاط الاقتصادي**، ص ص: 159_ 160، عيسى بن الذيب: **التجارة في عهد المرابطين**، ص: 10.

[3] _ ابن عذاري: **البيان**: 1/ 275.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 300.

[5] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 326_ 329، المراكشي: **المعجب**، ص: 347، ابن عذاري: **البيان_ قسم الموحدين_**، ص: 181.

- **الأسباب الطبيعيـــــة**

كان للأسباب الطبيعية كذلك الدور الكبير في إحداث المجاعات والأوبئة في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وتتجلى هذه الأسباب أساسا في:

✓ **الجفاف والقحط**

من الأمثلة الحية عن الجفاف والقحط اللذين تسببا في حدوث المجاعات والأوبئة، هي أنه في عام 407هـ كان بالمغرب والأندلس وإفريقية قحط شديد ومسغبة عامة ووباء كثير[1]، كما اشتد القحط كذلك عام 411هـ بهذه البلاد من تيهرت إلى سجلماسة وكثر الفناء في الناس[2].

إن طول فترة الجفاف يؤدي بدون شك إلى انحطاط الإنتاج الزراعي وهلاك العباد، فيضطر الناس إلى صلاة الاستسقاء، ففي عهد أبو زكريا بن يوغان الصنهاجي المتوفي عام 537هـ، أصاب تلمسان قحط شديد فاستسقوا به فسقوا[3].

✓ **الجـــــراد**

يعتبر الجراد من الكوارث الطبيعية التي تهلك المحاصيل وتتسبب في حدوث المجاعات والأوبئة، خصوصا على سكان الريف فعندما نزل الجراد "**بتين يسلي**"، كان يتلف ضيعة الشيخ أبي عبد الله[4]، وهنا نلمح كيف أن الجراد يستهدف بالأساس المناطق الريفية التي تحتوي على المحاصيل، وكذلك المناطق الحارة لأن هذه الحشرة تنشط كثيرا في هذا النوع من المناطق.

ومن العوامل المساهمة كذلك في حدوث المجاعات والأوبئة نجد **الزلازل** و**الفيضانات**، غير أن المصادر لم تذكر لنا أية معلومات حول هذه الكوارث الطبيعية، والمرجح أنها كانت تحدث آنذاك بدليل أن البيئة الطبيعية ومناخ المنطقة، لم تتغير كثيرا عن الفترة التي نعيش فيها اليوم.

---

[1] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 118.

[2] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] _ التادلي: **التشوف**، ص: 294.

[4] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 205.

والملاحظ أن المجاعات والأوبئة كثيرا ما كان يصاحبها الغلاء في الأسعار، من ذلك الغلاء الذي طال إفريقية بسبب الوباء الذي أصابها عام 495هـ[1]، وكذلك سنة 512هـ/ 1118م حيث كان الغلاء العظيم ووباء كثير حتى بلغ ربع الدقيق بتلمسان عشرين درهما[2]، وغلاء القمح هنا راجع إلى نقص إنتاج الريف لهذه المادة الغذائية الهامة.

ومن الأمثلة كذلك الغلاء الذي عم المغرب الأوسط نظرا للتدهور الاقتصادي منذ أن بدأ عبد المؤمن بن علي بشن حملاته سنة 524هـ/ 1129م، والملاحظ أن ابن خلدون قد ربط بين ارتفاع الأسعار وحروب المرابطين[3]، وارتفاع الأسعار كان يمس بشيء أكبر الطبقات المتوسطة والدنيا، ومن المعروف أن المستوى المعيشي لسكان الريف كان تقريبا متشابها لدى الغالبية العظمى للسكان، الأمر الذي كان ينتهي بهلاك أعداد كبيرة من الموتان، ويساهم في نقص أعداد سكان الريف بشكل كبير.

أمام هذه الأوضاع المتأزمة والمتمثلة أساسا في الحروب، المجاعات والأوبئة، الجفاف والقحط، لم يكن أمام سكان ريف المغرب الأوسط الذين نجوا منها ، إلا الهجرة وهو الموضوع الذي سنعالجه خلال العنصر الموالي.

3_ الهجـــــــــرة

لقد تحكمت في تطور وجمود الإنسان المغربي خلال العصر الوسيط جملة من العوامل البشرية، السياسية والاجتماعية، أكثر من العوامل الطبيعية، ذلك أن الاستقرار السياسي والاجتماعي وسيادة الأمن، قد لعبا دورا كبيرا في توجه الإنسان نحو مجاله واستغلاله[4]، والملاحظ أن أي خلل يحدث في أي جانب من هذه الجوانب يدفع به إلى الهجرة بحثا عن وضع أحسن للعيش.

---

[1] _ النويري: **نهاية الأرب**، 24/ 106.

[2] _ محمد الطمار: **المرجع السابق**، ص: 125.

[3] _ عيسى بن الذيب: **المرجع السابق**، ص: 10.

[4] _ مصطفى نشاط، محمد اسنيتو: **الديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة**، مجلة كنانيش، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، المغرب، 2001، العدد3، ص: 173.

والحديث عن الهجرة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، ومعالجتنا له سيتم في إطار جانبين أساسيين هما الهجرة الداخلية والهجرة الخارجية، وفي كلتا الحالتين نجد هناك الهجرة القسرية، والهجرة الطوعية.

أ_ الهجرة الداخلية

من نماذج الهجرة القسرية، أي تلك الهجرة التي أجبر سكان الريف على اتخاذها، نتيجة لعدة أسباب منها الكوارث الطبيعية، فالمجاعة التي مست إفريقية بكاملها عام 408هـ_409هـ، هجر سكان بعض المناطق الريفية واستقروا بالمدن الحضرية من أجل البحث عن الغذاء، الأمر الذي أدى إلى تراجع الأنشطة الفلاحية في الأرياف[1].

ونجد كذلك أن الفتن والحروب تضطر السكان إلى ترك أماكن استقرارهم، فيذكر البكري[2] أنه "**بالقرب من المسيلة جبل عجيسة وهوارة وبني برزال، ولهم كانت أرض المسيلة**"، وهذا دليل على وجود أسباب كثيرة قد تكون طبيعية أو أمنية دفعتم من تلك المناطق التي يملكونها.

هذا ونجد أن الحروب كان لها الدور الكبير في الهجرة الداخلية، فعندما غزا النورماند معظم سواحل المغرب الأوسط، مثل جيجل، القل[3] ومرسى الدجاج[4]، كان سكانها يفرون منها إلى الجبال في فصل الصيف ويعودون إليها في الشتاء، ولما سارت عساكر الموحدين إلى القلعة كذلك هرب أهلها إلى رؤوس الجبال[5]، كما ظلت القرى الريفية أيضا تستقطب السكان الفارين من الحروب مثل سكان بونة بعد غزو النورماند لها[6]، وكذلك سكان بجاية بعد تخريبها من قبل بني غانية عام 582هـ[7].

---

1 _ Allaoua Ammara: **retour à la problematique**. P: 6.

2 _ **المغرب**، ص: 59.

3 _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص، ص: 159_ 160، 174.

4 _ **المصدر نفسه**، ص: 169، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 538.

5 _ ابن الأثير: **الكامل**، 9/ 373.

6 _ محمد الطمار: **المرجع السابق**، ص: 139.

7 _ محمد عبد الله عنان: **المرجع السابق**، ص: 154.

ومن الأسباب أيضا في هذا المنحى نجد أن معظم حكام هذه البلاد انتهجوا هذا الأسلوب من الهجرة، فعند بناء أشير قام زيري بتهجير السكان إليها[1]، وبدون شك أن هذا الإجراء شمل الكثير من السكان الريفيين لبلادنا في تلك الفترة، كما قام المنصور بن الناصر عند بنائه لبجاية بنقل أهل المسيلة والقلعة، كما نقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها[2]، وكان للهجرة الهلالية كذلك الأثر لكبير في الهجرة الداخلية ذلك أنهم أخذوا كثيرا من بسائطه وتلوله عنوة وزاحت القبائل البربرية ودفعتهم إلى الجبال[3]، واغتصبوا أراضيهم[4].

أما عن الهجرة الطوعية والتي يسلكها سكان الريف بمحض إرادتهم، فالانتقال من المدينة إلى الريف هي ظاهرة مستمرة ومألوفة، ذلك أن المدينة تجتذب إليها الفقراء للعمل، وتجتذب الأثرياء من الريفيين الذين تستهويهم حياة الترف والرفاهية والكماليات فيها[5]، فعلى سبيل المثال كانت بجاية من أكثر المدن استقطابا لسكان الريف خلال الفترة قيد الدراسة، فقد كان الفلاحون القادمون من النواحي المجاورة ضمن الذين يزيدون في عدد السكان[6]، ولعل هذه الزيادة كانت نقصان من عدد سكان الأرياف المجاورة وهذا الأمر من شأنه أن يؤثر على الوضع الديمغرافي لسكان ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، على غرار باقي الأسباب الأخرى التي ذكرناها قبل قليل.

ب_ الهجرة الخارجية

لقد عرف سكان المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، هجرة إلى المحيط الخارجي كالأندلس والمغرب الأقصى وبلاد السودان وإفريقية والمشرق الإسلامي، وإذا كانت هذه الهجرة اختيارية بمحض إرادتهم، فقد كانت هناك هجرات جماعية أخرى مفروضة عليهم، مثل الحروب والكوارث الطبيعية أيضا.

---

[1] _ النويري: **نهاية الأرب**، 24/ 88.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 227.

[3] _ رابح بونار: **تاريخ المغرب وحضارته**، ص: 215، روبير برنشفيك: **تاريخ إفريقية**، 1/ 358.

[4] _ فتوى السيوري: الونشريسي: **المعيار**، 9/ 593.

[5] _ جودت عبد الكريم: **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية**، ص: 433.

[6] _ روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 1/ 417.

والملاحظ على هذا النوع من الهجرة قد كان من الناحيتين إما وفود عناصر خارجية واستقرارها بالأرياف، أو هجرة سكان الأرياف إلى الخارج، ومن الأمثلة على النموذج الأول هو الهجرة الهلالية، فقدوم الأعراب بزوجاتهم وأولادهم وقطعانهم، وقد قدر عددهم من قبل بعض المؤلفين بنحو مليون ومئتا ألف عربي[1]، ولعل هذا العدد لم يكن بالقليل وقد زاد بدون شك في عدد سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

ومن الحروب التي أسفرت عن وفود هجرات خارجية لأرياف المغرب الأوسط، هي هزيمة المعز أمام الأعراب، فانتقل الكثير من أهل القيروان إلى بلاد بني حماد المنيعة بجبالها الوعرة[2]، كما كان لكثرة الحروب والصراعات بين زناتة وصنهاجة، هاجر الكثير من السكان إلى صقلية أو بلاد الصحراء وصولا إلى تادمكت وبلاد السودان[3].

كما أن الجفاف الذي عاشته منطقة سرت، ساهم أيضا في هجرة سكان المغرب الأوسط وإفريقية على الخصوص خلال الفترة الممتدة من 432هـ إلى 434هـ[4]، والملاحظ أن أرياف المغرب الأوسط قد شهدت هي الأخرى هجرة عكسية، أي من المغرب الأوسط إلى خارج البلاد، فلما كثر عيث الأعراب وفسادهم بالمغرب الأوسط، أزال ذلك عبد المؤمن بن علي من أيديهم وصيرهم جندا له، وأسكن جزءا منهم بالمغرب الأقصى[5].

المبحث الثالث: فئات المجتمع الريفي بالمغرب الأوسط القرنين في 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: القبيلة والتنظيم القبلي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لقد اهتم المؤرخون وعلماء الاجتماع والأنثربولوجيا بالظاهرة القبلية لتحديد الملامح العامة، للمجتمع المغربي خلال العصر الوسيط، باعتبارها ظاهرة اجتماعية واقتصادية

---

[1] _ Gustave Le Bon: **La civilisation des arabes**, imprimè par IMAG, Italie, P: 194.

[2] _ ابن الأثير: **المصدر السابق**، 8/ 372.

[3] _ محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص: 34.

[4] _ Allauoa Ammara: **OP_SIT**; P: 10.

[5] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 294، ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 209.

تعكس بوضوح البناء السياسي والاجتماعي المغربي وإمكاناته المادية والبشرية وعاداته وتقاليده.

ولعل من أهم أجزاء البناء الاجتماعي في أحد أنساقه الفعالة في التاريخ هو تكوين النظام القبلي، الذي طبع في التاريخ وتوطن في الجغرافيا، بحثا عن مدى استمرار أو انقطاع فاعليته[1]، والملاحظ أن الوحدة الاجتماعية التي نستند عليها في متابعة تلك التنظيمات والتحولات الاجتماعية والاقتصادية هي القبيلة[2]، كظاهرة اجتماعية وتاريخية طبعت حياة المجتمعات المغربية منذ القدم.

هذا وقد وردت الكثير من العبارات المستعملة للدلالة على القبيلة وتفريعاتها، مثل قوم وقبيلة وهما الأكثر استعمالا، وبطن وفخد وحيّ، وصفٌّ وقبيل، ويذكر البرزلي في سياق حديثه في إحدى النوازل "**ويبدأ بالفخد ثم بالبطن ثم العمارة ثم الفصيلة ثم القبيلة**"[3]، وأضاف أيضا "**وزاد غيره ثم الشعوب ورتب القبائل**"[4]، والملاحظ على هذا التقسيم يختلف

---

[1] _ محمد نجيب بوطالب: **سوسيولوجيا القبيلة**، ص: 31.

[2] _ **القبيلة** : القبيلة من الناس بنو أب واحد، أما القبلية فمن قبائل العرب وسائرهم من الناس. أنظر: ابن منظور: **لسان العرب**، الجزء 14، **مادة قبيلة**، ص ص: 52_ 57.

وتأتي **القبيلة** على رأس التنظيم الاجتماعي للمجتمعات البدوية، وهي جماعة من الناس ينتمون إلى جد واحد مشترك، انحدروا منه ويسكنون عادة في منطقة واحدة، يتجولون فيها وتجمعهم هذا مفروض عليهم لمواجهة تحديات الطبيعة وظروف الأمن، لذا لم يكن بمقدور الفرد أن يبقى بدون انتماء قبلي، هذا وقد صيغت الكثير من النظريات الغربية حول القبيلة في المغرب العربي، وتشعبت المدارس التي تناولتها، **كالمدرسة الكولونيالية** والتي أراد من خلالها **مونتاني** أن تكون القبيلة المغربية شبيهة بالقبيلة التي قضى عليها الرومان في أوروبا، والتي لم تكن مرتبطة بالترحال بل بالزراعة، واعتبر **بيرك** أن العلاقة بين الريف ةالمدينة تتغير بتغير المناطق والجهات، ولا تخضع للنمذجة والتوحيد، أما **المدرسة الانقسامية** فيتزعمها **دوركهايم**، وتجلت أعماله حول الجزائر وبالضبط منطقة القبائل، **والمدرسة الماركسية** التي جعلت من الجزائر مجالا خصبا لاختيار الأطروحات الماركسية معتمدا على ابن خلدون، واعتبر الجزائر بعد الهند هي التي تحتفظ بأهم آثار الشكل القديم للملكية العقارية. انظر على التوالي: جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 251، محمد نجيب بوطالب: **المرجع السابق**، ص ص: 36_ 47.

[3] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 6/ 119.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 119.

عما أورده ابن الكلبي الذي قال بأن:<<**الشعب أكبر من القبيلة، ثم القبيلة، ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة**>>[1].

وقد يحدث وتنتظم القبائل في وحدات اجتماعية أكبر تنحدر من أصل واحد عندما تتوسع مضاربها وتتشابك أنسابها ويتعذر البحث في سلسلة الآباء وأسمائهم، مشكلة ما يعرف بالشعب، ومن مجموع الشعوب نشأ الجذم وهو أعلى وحدة في المجتمع المغربي، وعلى أساسه قسم ابن خلدون البربر إلى جذمين عظيمين هما مادغيس الأبتر وبرنس بن بر[2].

وعليه فقد شكلت كلا من قبيلة صنهاجة، كتامة وبعض فروع زناتة إضافة إلى القبائل العربية الوافدة ركائز المجتمع الريفي بالمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، والملاحظ أن الوحدات الاجتماعية التي كان يتألف منها هذا المجتمع الريفي لا يخرج عن الحيز العام للتنظيمات القبلية في بلاد المغرب عموما.

لقد اتسم البناء القبلي المغربي ببساطته وعدم تعقيده، ويأخذ شكلا هرميا شكلت القبيلة أعلى وحداته الاجتماعية ثم تأتي البطون إلى الأفخاذ، فالعشائر وتمثل الأسرة أصغر وحدة فيه التي تمثل الخلية الأساسية لهذا المجتمع[3]، وبالرغم من قلة المعلومات عن الكيفية التي كانت قبائل المغرب الأوسط، تدير بها شؤونها اليومية على الصعيد السياسي، الاجتماعي والاقتصادي، لكن المؤكد أنها لم تكن تختلف عن غيرها من القبائل المغربية نظرا لتجانس البيئة الجغرافية والاحتكاك وتشابه نمط المعيشة والعادات والتقاليد.

- **شيـــخ القبيلـــــة**

الملاحظ أن جبال القبائل المغربية وسهولها، كانت تزخر بمختلف الأنشطة في شتى المجالات، فبربر الجبال عالم ينبض بالحياة الجماعية، ويكرس كل مظاهر المجتمع المتكامل[4]، ولعل هذا التنظيم لا يتأتى إلا بوجود سلطة أشياخها الذين كانت لهم الحل والعقد

---

[1] _ هشام أبو المنذر بن محمد ابن السائب: **جمهرة النسب لابن الكلبي**، تحقيق محمود فردوس العظم، قدم له سهيل زكار، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، سورية، د_ ت، 1/ 431.

[2] _ **العبر**، 6/ 89_ 90.

[3] _ يوسف عابد: **الموحدون في بلاد المغرب**، 1/ 195_ 196.

[4] _ عبد الحميد الفهري: **البربر الجبالية**، ص: 143.

في مختلف الأمور التي تهم الحياة الداخلية للريف من جهة وعلاقة الريف بالسلطة المركزية من جهة ثانية.

والملاحظ أن شيوخ القبائل في بلاد المغرب كانت لهم سلطة قوية على الرعية، فيذكر ابن حوقل بأن:<<**سكان بلاد المغرب يطيعونهم فلا يعصونهم، ويأمرونهم فلا يخالفونهم>>**[1]، والأمر نفسه فيما ذكره القاضي النعمان بشأن قبائل كتامة، التي كانت لها أشياخ في كل قبيلة[2]، كما أن عبد الله الداعي قبل أن يظهر دعوته، نزل عند شيوخ كتامة[3]، وهذا دليل على أن شيوخ القبائل كانت لهم سلطة قوية على الرعية في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

هذا وقد كانت كل قرية من القرى المغربية تنتدب شخصا من بين أفرادها لإدارة شؤونها، ليقوم بتمثيله في المجلس العام للقبيلة الذي يختار من بين أعضائه رئيسا يعرف عند البربر باسم "**آمغار**"، الذي يكون بيده حق اتخاذ القرارات الحاسمة، ويتولى قيادة التشكيل القبلي[4]، ومن الأدلة على فعالية النظام القبلي هو الحلف الذي أقامه أبو قصيبة ضد الموحدين بشرقي بجاية، والذي ضم كتامة، لواتة وصنهاجة[5].

والملاحظ أن شيخ القبيلة كانت تتوفر فيه جملة من الشروط، التي تؤهله لاعتلاء هذا المنصب، وتكمن أساسا في الشجاعة والسخاء والحكمة وحسن التدبير وقوة العصبية، وكانت الصفات الحربية هي التي تضمن للرئيس الاستمرار في حكم القبيلة وتوجيهها والتفاف قلوب شبابها حوله[6]، والمرجح أنه كان يشترط أن يكون في سن مبكرة تؤهله للقيام بهذه المهمة، إلا أننا نجد زيري بن منّاد وابنه بلكين، قد توليا الحكم في سن مبكرة[7].

---

[1] _ **صورة الأرض**: ص: 97.

[2] _ **إفتتاح الدعوة**، ص: 37.

[3] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[4] _ مصطفى أبو الضيف، **القبائل العربية بالمغرب**، ص ص: 259_ 261.

[5] _ ابن الأثير: **المصدر السابق**، 7/ 372.

[6] _ مصطفى أبو الضيف: **المرجع السابق**، ص ص: 259_ 261.

[7] _ ابن الأثير: **المصدر السابق**، ص: 47.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن منصب شيخ القبيلة كان وراثيا في غالب الأحيان، لدى كل من قبيلة صنهاجة، كتامة وزناتة، والدليل على ذلك تسلسل الأسر الحاكمة في الدول التي قامت على أكتاف هذه القبائل مثل الدولة الزيرية، الدولة الحمادية، الدولة الزيانية...الخ، وكان على شيخ القبيلة أن يعمل على ضمان التوازن الداخلي بين الأسر والعشائر، بمساعدة مجلسه الاستشاري وحل النزاعات في حال وقوعها وتنشيط التعاون فيما بينهم ومع القبائل الأخرى[1].

غير أن الملاحظ أن سلطة شيخ القبيلة كانت محدودة في بعض الأحيان، فقد ذكر الحجاج الكتاميون للداعي بأن عندهم قوم نظروا في شيء من العلم، ومعلمون يستفتونهم في أمر دينهم ويتحاكمون فيما بينهم؛ إليهم فيما يكون بينهم[2]، ومعنى هذا أن سلطة شيوخ القبائل كانت محدودة وأن معظم الأمور يتولاها رجال الدين والعلم من القوم، ورغم هذا فالريادة كانت في غالب الأحيان لسلطة الأشياخ، من خلال تغلغلها في أوساط المجتمع الريفي، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الإدريسي بأن باغاية:**<<أكثر غلات أهلها الحنطة والشعير، وقبض معاونيها وتصرف أحوالها لأشياخها>>**[3].

هذا ونجد استمرار سلطة ونفوذ الأشياخ وامتيازاتهم تمتد حتى لأحفادهم، فجبال الأوراس مثلا كان سكانها من لواتة الذين كانوا يسيطرون على بقايا كتامة وهوارة، وكانت بينهم مجموعة من زناتة من بني عبد الواد الذين يحظون بنفوذ لدى أجوادهم بسبب ما قام به أجدادهم من دور أثناء الحملة العسكرية التي نظمها عقبة بن نافع في اتجاه المغرب الأقصى[4].

---

[1] _ ابراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م، ص: 237.

[2] _ القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص: 37.

[3] _ **نزهة المشتاق**، ص: 178، أنظر أيضا: الحميري: **الروض المعطار**، ص: 76.

[4] _ روبير برنشفيك: **المرجع السابق**، 1/ 325.

صفوة القول؛ نخلص إلى أن التنظيم القبلي داخل مجتمع ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، كان رمزا لقوة تلك القبائل من خلال تناول واحتواء جميع القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والعلاقات مع القبائل المجاورة، ولعل تراتب الوحدات الاجتماعية داخل هذا النوع من التنظيمات دليل على كونه مجتمعا منظما.

إن مشاركة جميع الوحدات الاجتماعية في مختلف الحركيات والفعاليات للمجتمع الريفي، دليل أيضا على تنظيمه وتتمثل هذه الوحدات أساسا في الأسرة باعتبارها النواة الأساسية للمجتمع بمختلف مكوناتها(المرأة، الرجل والأبناء)، والفقهاء والمتصوفة باعتبارهم أصحاب السلطة الدينية، وكذلك الفلاحون والمزارعون، فنشاطهم هذا يدل على وجود تنظيم اجتماعي ضمن نشاطهم الاقتصادي، وهو ما سنتناوله بالتفصيل خلال المطالب الآتية.

المطلب الثاني: الأسرة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

تعتبر الأسرة أصل التنظيم الاجتماعي لأي مجتمع، والعمود الفقري والركيزة الأساسية لبنيانه، وهي أصغر وحدة في التنظيم الاجتماعي، ولاشك أنها هي أول بيئة اجتماعية تتولى عملية التنشئة الاجتماعية، باعتبارها عملية دينامية متغيرة، تشمل كامل مراحل الفرد منذ ولادته وتستمر حتى وفاته[1].

ولما كان المجتمع الريفي للمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، هو مجتمع منظم فلا شك أن الأسرة كانت من ضمن مكوناته الأساسية، وتشتمل الأسرة عادة على عميد الأسرة(الأب)، والزوجة أو عدة زوجات، وأبنائهم وأحفادهم وزوجاتهم والأعمام، وهم مسؤولون عن إعالة أفرادهم العجزة ويتعاونون في العمل ويشتركون في تحمل المسؤولية، وهي أوسع من الرهط الذي يشمل الأب والأبناء فقط[2].

---

[1] _ منال عبد المنعم جاد الله: **التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف بالإسكندرية، د_ ت، ص: 182.

[2] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 252.

والملاحظ أن الأسرة بشكلها الواسع؛ كانت تجمعها رابطة القرابة التي هي بنية اجتماعية أساسية لدى معظم القبائل، وداخل هذا النظام تعتبر العائلة صورة مصغرة لهذه القبيلة أو تلك، وتمثل السلالة الأبوية أساس نظام القرابة الذي يعتمد عليه التنظيم العائلي[1].

1_ العائلـــــــــة

لازلنا نفتقر إلى المعلومات الكافية، حول الحياة العائلية بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، لقلة الإشارات حول هذا الموضوع في كتب التاريخ العام والمصنفات الفقهية والنوازل وكتب الجغرافيا والطبقات، خصوصا فيما يتعلق بوظائف الأسرة والعائلة في هذا النوع من المجتمعات، ومكانة أفرادها في البناء الاجتماعي.

والعائلة هي مؤسسة اجتماعية ساهمت بشكل فعال في صياغة تاريخ الشعوب، فهي نواة تكوين المجتمع وأداة لدراسة بنيته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية[2]، لذلك قامت كجل المؤسسات الأخرى على نظام هرمي أساسه السلطة والنفوذ الذي يمثله رب الأسرة، باستثناء بعض القبائل الصنهاجية التي احتكرت فيها الزوجة السلطة المطلقة بفضل مركزها الاقتصادي[3].

وتتكون العائلة الريفية في المغرب الأوسط في الغالب من الأب والأم والأولاد، كما تتكون من الأب وعدة زوجات والأبناء، وتتكون أيضا من الجدة والجد والأب والأم، الأولاد ، الأخ والأخت والخادم[4]، ومن خصائص العائلة الجزائرية أنها عائلة موسعة(الأسرة)، حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية، وتحت سقف واحد[5]، وفي نفس المنزل ويشتركون

1 _ بنسالم وآخرون: **الأنثريولوجيا والتاريخ**، ص: 13.

2 _ سهام دحماني: **العائلة الصوفية بين القدسية والتفكك، قراءة في تاريخ العائلة الصوفية المغربية في الفترة الممتدة من القرن 6هـ/ 12م إلى القرن 9هـ/ 15م**، مقال ضمن كتاب **المرأة والخطاب الصوفي**، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2010م، ص: 103.

3 _ بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص: 21.

4 _ **المرجع نفسه**، ص: 108.

5 _ مصطفى بوتنفوشت: **العائلة الجزائرية**، ص: 37.

في النفقات والمصاريف الخاصة بهذه العائلة[1]، وقد شملت هذه العائلات على عدد كبير من الأطفال، وكانت تضم حتى بني العمومة[2].

وهي عائلة بطريقية الأب فيها والجد هو القائد الروحي للجماعة العائلية، كما أن النسب فيها ذكوري والانتماء أبوي، والأمثلة كثيرة خصوصا تلك المتعلقة بالفقهاء والمتصوفة في الريف، وتجنبا للتكرار فإننا سنتناولهم بالأسماء عندما نصل للعنصر الخاص بالفقهاء والمتصوفة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

هذا ونجد أن انتماء المرأة يبقى لأبيها، مثل عائشة بنت أبي الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني من أهل القرن 6هـ/ 12م[3]، والبنات يتركن المنزل العائلي عند الزواج ويلزمها العرف والدين بالوفاء لزوجها[4]، والميراث ينتقل في خط أبوي[5]، وكان الابن الأكبر هو الذي يحظى بنصيب الأسد في الميراث[6].

2_ تكويــــن الأســــرة

- **الزواج**

يعتبر الزواج أول لبنة لبناء الأسرة، وهو من الظواهر الاجتماعية التي كانت تمارس منذ القدم، وقد حثّ الدين الإسلامي على الزواج لما له من تحصن للمرأة والرجل، وإبعادهم عن الفواحش وغض البصر، ويشترط في النكاح ثلاث فرائض هي الولي والصداق وشاهدا عدل، وسنن ثلاث هي إظهاره والوليمة والدخلة[7].

ليست لدينا معلومات دقيقة حول سن الزواج ولا نسبة العوانس والأرامل، عن المجتمع ككل فما بالك بالمجتمع الريفي، لكن المرجح أن الحروب والصراعات المستمرة التي عاشتها

---

1 _ بوتشيش: **المرجع السابق**، ص: 36.

2 _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 241.

3 _ الغبريني: **الدراية**، ص ص: 78_ 79.

4 _ البكري: **المغرب**، ص ص: 183_ 184، الونشريسي: **المعيار**، 2/ 46.

5 _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 9/ 154، 11/ 297.

6 _ ابن رشد: **الفتاوى**، 1/ 312.

7 _ ابن سهل: **الأحكام الكبرى**، ص: 175.

أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، قد جعلت من عدد النساء كان أكبر من عدد الرجال.

لقد كان الزواج يتم عن طريق الخاطبات، اللائي كن يتولين الاتفاق بين أهل العروسين بشأن الزواج[1]، واعتبر يوم الجمعة يوما مفضلا للخطبة[2]، وبالرغم من سكوت المصادر عن العادات والتقاليد التي يتم فيها الزواج، إلا أنها لم تخرج عن الإطار العام للأعراف والشريعة الإسلامية في كامل بلاد المغرب الإسلامي والأوسط كجزء منه.

والملاحظ أن تكاليف الزواج كانت تختلف بين الأرياف والبوادي[3]، والمناطق الحضرية والمرجح أنه في هذه الأخيرة كان أغلى ثمنا، وبالرغم من أنه نصف الدين إلا أن هناك من الزهّاد خصوصا من كان يعزف عنه[4]، وهناك من امتنع عنه خوفا من كثرة النفقات[5]، ومع هذا فقد اعتبر الزواج لا مفر منه، لأنه وسيلة لانجاب الأولاد وتعزيز الروابط بين الأسرة والحفاظ على إرثها.

- **المهر(الصداق)**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:<<**التمس ولو خاتما من حديد**>>[6]، وقد اهتم الشرع الإسلامي بتحديد قيمة الصداق، إذ لا حد لأكثره ولكن أقله محدود، وهو ربع دينار ذهب أو ثلاثة دراهيم كيلا وما قيمة أحدهما، ولا يبني بها حتى يقدمه إذا كان هذا المقدار[7]، والملاحظ أن المهر في مجتمع المغرب الأوسط قد اختلفت قيمته حسب الوسط الاجتماعي، وكذلك باختلاف البيئات وحسب موقع العائلات في الهرم الاجتماعي، ومادام موضوعنا متعلق بالريف؛ فسنحاول إماطة اللثام ولو بالشيء القليل حول هذا الموضوع خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

---

[1] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 3/ 100، 116، 249، 406.

[2] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 2/ 182، بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص: 23.

[3] _ فتوى المازري: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 2/ 208، الونشريسي: **المعيار**، 3/ 246.

[4] _ ابن الزيات: **التشوف**، ص: 255، 301، 342.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 161.

[6] _ مالك : **الموطأ**، ص: 275.

[7] _ ابن سهل: **الأحكام الكبرى**، ص: 175.

لم يكن الصداق(المهر)؛ محددا في أريافنا[1]، فهو يرتبط بقدرة الزوج ورضا الطرفين، وجرى العرف في كامل بلاد المغرب أن يقسم إلى جزئين يعرفان بالنقد والمهر[2]، وتستلم الخطيبة الشطر الأول قبل الزواج لشراء الشوار وبعض الحناء والصباغ، واستئجار الحلي والملابس، وهو ما يسمى بحق العرس[3].

هذا ونجد في بعض المناطق الريفية أن أهل العروسين لا يقدمون الصداق نقدا، بل عددا من المواشي، أو قطعة من الأرض[4]، وكان يقدم كذلك في شكل لوازم تحتاج إليها الخطيبة كالصوف والكتان والحلي[5]، ومن العادات المتعارف عليها لدى سكان بعض الأرياف والبوادي أنهم لا يسمون صدقاتهم، ولا يشهدون عليها وقت العقد ولكن عند الابتناء، ولكن العادة أن الصداق عندهم معروف مقرر لا يزاد لجمال ونحوه ولا ينقص لقبح ونحوه[6].

- **عـقــد القـــران**

بعد الاتفاق على الخطبة والمهر يتم عقد القران، وكان هذا العقد يتم على يد إمام مسجد القرية[7]، وإذا ما تعذر ذلك فإن أهل العروسين يستدعيان أحد العدول من النواحي القريبة وفي حالة ما إذا كانت القرية نائية، يكتفى بأهل القرية أو بخمسة أشخاص من أهل المرأة للشهادة على صحة الزواج[8].

وفي فترات القلاقل والفوضى؛ كان الناس يلجؤون إلى عقد المناكح في الحصون والقرى بشهادة شرار الناس، فأفتى الفقهاء بعدم جواز ذلك لما لهذه المناكح من فساد وضرر على الطرفين[9]، ونظرا لحالة الحروب والصراعات التي شهدتها أريافنا خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، فمن المؤكد أن هذا النوع من عقد القران قد ساد بمعظم تلك المناطق.

---

[1] _ الوسياني: **السير**، ص: 25.

[2] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 3/ 299.

[3] _ فتوى ابن رشد: **المصدر نفسه**، ص: 122، 129، 130، 156.

[4] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 1/ 608، **فتوى المازري**: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 2/ 208.

[5] _ المالكي: **رياض النفوس**، 2/ 251.

[6] _ **فتوى المازري**: البرزلي: **المصدر السابق**، ص: 256، الونشريسي: **المعيار**، 3/ 111.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 97، 198.

[8] _ **المصدر نفسه**، 9/ 18، 181.

[9] _ **فتوى ابن لبابة**، **المصدر نفسه**، 2/ 137.

- **وليمـــة العـــرس**

بعد استكمال الاستعداد للزواج تقام وليمة العرس لإعلان القران، ويدعى فيها أهل العروسين وتنحر الذبائح من الأغنام والأبقار، وغالبا ما يتحمل العريس نفقات العرس[1]، وهي التي تسمى "**بهدية العرس**"، حيث يبعث الزوج بها إلى أهل زوجته فيطعم منها أل العروسين والأقارب والجيران، وجميع المعزومين[2].

ونظرا لتكاليف الزواج الباهظة والوليمة فقد كان كثير من أهل المغرب يتهادون في الأعراس مجموعة من الأشياء، مثل الدراهم والدنانير والجزور، وبعض الأطعمة كالزيت والقمح والشعير واللحم والفاكهة[3]، وهذا دليل على تماسك المجتمع الريفي وحرصه على تطبيق الأعراف والعادات والتقاليد، وكانت تصاحب حفلة الزفاف؛ الزغاريد والغناء[4].

ظلت البكارة أهم شرط يشترطه الرجل في المرأة التي يعتزم نكاحها[5]، وكان للرجل الاختيار بين ردها أو انتقاص الصداق، حسب رغبة صاحب الأمر[6]، وهناك من النساء من كن يعترفن بفعلتهن عند زواجهن[7].

- **الحيـــاة الـــزوجيـــة**

في بيت الزوجية؛ الزوج هو الوحيد الذي له حق الطلاق، وبالرغم من إشارة بعض الدراسات إلى أنه لا يحق للزوجة أن تطلب الطلاق، مهما قاست وعانت وما عليها سوى الخضوع التام[8]، غير أن الملاحظ أن هناك من نساء الأرياف والبوادي من كانت تلجأ إلى الهروب أو مغادرة بيت زوجها، وتدعي أن زوجها تخلف وتريد الطلاق، غير أن الفقهاء كانوا لا يصدرون أمرا إلا بوجود شهود على صحتها[9].

---

[1] _ البرزلي: **المصدر السابق**، 2/ 233، المالكي: **المصدر السابق**، 2/ 168.

[2] _ الونشريسي: **المعيار**، 3/ 92، 11/ 223، 6/ 417.

[3] _ **المصدر نفسه**، 9/ 181_ 182.

[4] _ بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص: 30.

[5] _ **فتوى السيوري**: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 2/ 230، 248.

[6] _ **فتوى السيوري**: **المصدر نفسه**، ص: 320.

[7] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 3/ 167.

[8] _ سهام دحماني: **المرجع السابق**، ص: 20.

[9] _ **فتوى المازري**: البرزلي: **المصدر السابق**، 3/ 111.

وهناك من النساء من يلجئن إلى الخلع[1]، لكن غالبا ما كان الأزواج يتدخلون لمنعهن من إعادة الزواج، بسبب إرضاع الطفل أو لسبب غيره[2]، وبلغت درجة سيطرة الرجل على المرأة، في بعض الأرياف والبوادي حتى التصرف في أملاكها واستغلالها[3]، وكان معظم سكان المغرب قد اعتادوا على نكاح المرأة لمالها[4].

وتجدر الإشارة إلى أن عادة تعدد الزوجات كانت منتشرة نوعا ما في ريف المغرب الأوسط، وكان الميل إلى زوجة وهجر الأخرى وتعدد الأبناء أيضا كثيرا ما كان يؤدي إلى حدوث نزاعات على ميراث الأب بعد وفاته[5]، ولا توجد لدينا دلائل حول ما إذا كان الزواج يتم عن حب أم لا، وحتى إذا كان موجودا فقد ظل مكتوما، بسبب القيود الاجتماعية ولم تجهر المرأة خوفا من الرقباء خاصة في الأرياف والبوادي المغربية[6]، لكن طبيعة الإنسان وميولاته لهي خير دليل على وجود الحب في أوساط المجتمعات الريفية خلال الفترة قيد الدراسة، وحتى تاريخ الإنسانية جمعاء.

هذا وقد شاعت ظاهرة الزواج المختلط، فقد شاع الزواج بين العرب والبربريات[7]، أو قد تكون الزوجة سوداء والرجل أبيضا والعكس[8]، وكانت النساء ممن وصفن بالتهم والدناءة، بالقرى المغربية كثيرا ما يلجأن إلى إمام مسجد القرية ليتولى تزويجهن دون إذن من قاضي الحاضرة، على أساس أن إصلاح شأنهن يكون بالزواج[9].

كما كان هناك زواج السر، متفشيا في بعض المناطق وكان الشيوخ والفقهاء يحاربون مثل هذه الظواهر حتى لا تتفشى في المجتمع[10]، وبعد عرض قصة المرأة التي تزوجت

---

[1] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 4/ 8.

[2] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] _ **المصدر نفسه**، 10/ 284.

[4] _ كمال السيد أبو مصطفى: **جوانب من حضارة المغرب**، ص: 20.

[5] _ **فتوى ابن رشد**: الونشريسي: **المعيار**، 5/ 127.

[6] _ بوتشيش: **المرجع السابق**، ص: 25.

[7] _ كمال السيد: **المرجع السابق**، ص: 17.

[8] _ التادلي: **التشوف**، ص: 326.

[9] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 3/ 121، 198.

[10] _ الوسياني: **السير**، ص: 36.

رجلين على الشيخ أبي يعقوب بن سلهون(من أهل الطبقة التاسعة)، أمر بأن يؤذن في كل جهة من الجهات بأن لا يشهد في النكاح خاصة أو النكاح والطلاق إلا رجال معلومون من أهل الدين والورع[1].

وكان إجبار المرأة على الزواج من شخص لا تريده كأن يكون شيخا مثلا، الأمر الذي يدفعها إلى خيانته، مثلما حدث بنواحي القلعة وكانت نتيجة الخيانة أن أعدم الشاب وقطعت عنقه، وأجبرت المرأة على تحمل الشيخ العجوز[2].

بعد استعراضنا للعائلة والحياة الزوجية عموما بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، وإن كان الأمر سطحيا بعض الشيء لقلة المادة الخبرية المتعلقة بهذه الفترة، بقي علينا أن نلقي الضوء بشيء من التفصيل عن وضعية كل من المرأة والأبناء داخل الأسرة الريفية، وهو ما سنتناوله خلال العرض التالي.

3_ المـــرأة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لم تحظ المرأة الريفية بالعناية الكافية من الدراسات في العصر الوسيط، ولم تتم الإشارة إليها إلا بصورة عابرة، وما ورد عن المرأة كان متعلقا بالمرأة الحضرية أو المرأة الحاكمة، أما المرأة الريفية فقد ظلت مهمشة والدراسة المتعلقة بها شبه منعدمة، وإذا كانت الوثائق التاريخية قد أهملت دور المرأة على الصعيد السياسي والعسكري، غير أن دورها في بيت الزوجية يشهد لها بالخدمات الكبيرة، التي كانت تؤديها لزوجها وأولادها عبر العصور.

لقد نالت المرأة البربرية كامل حقوقها في عهد الإسلام الذي حررها من الوأد والاستعباد، وجميع العادات التي تهينها وتقلل من شأنها، والملاحظ أن الفقه الإسلامي أرحم بكثير من العرف البربري[3]، ومن الأمثلة الواضحة على تهميش العرف للمرأة هو منعها من الميراث، فقد سئل القاضي أبو سالم العقباني(880هـ/ 1175م)، عن مسألة متعلقة بمنع النساء من

---

[1] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 247.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص : 189، مجهول: **الإستبصار**، ص ص: 168_ 169.

[3] _ سهام دحماني: **المرجع السابق**، ص: 28.

الميراث من القرن الخامس إلى اليوم[1]، بالرغم من أن الإسلام أباح لها ذلك تبعا لقوله تعالى﴿ **وللذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾[2].

لقد ظلت المرأة الريفية عبر العصور نواة الأسرة ومحركها في القرى والبوادي، وبدون شك فلا تختلف الأعمال المنزلية التي كانت تقوم بها هذه المرأة في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، عن المرأة الريفية في أيامنا هذه من طبخ وعجن وفرش وحمل الماء والاحتطاب[3]، كما كانت تسهم في رفع المستوى المادي للبيت، فكانت تبيع اللبن والزبدة والنسيج وحتى الدجاج والهررة[4]، كما كانت النساء يشتغلن كقابلات في القرى، فكان القضاة يلجؤون إليهن لحل بعض المشاكل الأسرية[5]، بالإضافة إلى تحمل الأعباء الاجتماعية الأخرى إلى جانب الرجل مثل تربية الأبناء، وحفظ شرف الزوج أثناء غيابه...إلخ.

وإذا كان الغالب على الأعراف البربرية تهميش المرأة[6]، إلا أنها ظلت رمزا لهيام وعشق الرجل إلى درجة التضحية من أجلها[7]، والواقع أن أكثر ما يميز المرأة هو اهتمامها بجمالها[8]، وهو الأمر الذي دفع بكثير من الخلفاء من المشرق إلى طلب الحسناوات من بلاد المغرب[9]، ويذكر الحميري بأن نساء بربر واركلان موصوفات بالحسن[10].

هذا وقد كانت النساء في القرى والبوادي المغربية، يتصرفن في حوائجهن سافرات الوجوه، وحضور الأعراس والولائم مع الرجال وكن يشاركن في الرقص في تلك الأعراس[11]،

---

[1] _ الونشريسي: **المعيار**، 11/ 297، أنظر أيضا، **المصدر نفسه**، 9/ 154.

[2] _ **سورة النساء**، الآية 11.

[3] _ الدباغ: **معالم الإيمان**، 1/ 255، 257، البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 2/ 55.

[4] _ الدباغ: **المصدر السابق**: 2/ 343.

[5] _ الونشريسي: **المعيار**، 4/ 54.

[6] _ السلاوي: **الإستقصا**، 1/ 81.

[7] _ القزويني: **آثار البلاد**، ص: 164.

[8] _ الوسياني: **المصدر السابق**، ص ص: 168_ 169، الدرعي: **الأجوبة الناصرية**، ورقة 49 و.

[9] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 95.

[10] _ **الروض المعطار**، ص: 600.

[11] _ كمال السيد أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص: 19.

بالإضافة إلى اختلاطهم مع الرجال في الأعياد أيضا[1]، وكشف المرأة لزوجها كثيرا ما كان يزعج الفقهاء لأنها كانت خارجة عن التقاليد الدينية والاجتماعية[2].

وكان من عادات خروج النساء لسقي الدواب وغسل الصوف وجمع الحطب، وكن يلتقين ببعض الرجال الفاسقين الذين يحرضونهم على الهرب معهم[3]، وكثيرا ما كانت النساء في الأرياف والبوادي يهربن أيام المجاعة، وغالبا ما كان القضاة يمتنعون عن تزويجهن لعدم وجود بينة على أنهن أرامل أو مطلقات، فيلجأن إلى التسول أو السقوط في الرذيلة وتعاطي البغاء[4].

وعلى عكس المرابطين؛ فقد باتت المرأة في العهد الموحدي تحتجب عندما تضطرها الضرورة إلى لقاء رجل غريب عن عشيرتها، إذ كان الموحدون لا يسمحون باختلاط الرجال بالنساء في الأسواق العامة أو في الأعياد والمواسم[5]، وهوما يدل على حرصهم على تطبيق الشرع الإسلامي بشأن صيانة المرأة وحمايتها.

أما عن أخلاق المرأة الريفية، فالملاحظ أنها كانت رفيعة، وتمدنا بعض المصادر عن هذه الأخلاق وبالرغم من أنها قليلة إلا أنها مهمة جدا، مثل الحفاظ على الشرف والعرض من ذلك القصة التي أوردها البكري بشأن إمرأة من البربر، وبالضبط من نواحي قلعة بني حماد، التي تعرضت للسبي ولم يكن أمامها سوى قتل نفسها، لحماية سمعتها وسمعة أبيها[6].

هذا وقد حظيت النساء الصالحات بمكانة عالية في الأرياف والبوادي، وقد كان الناس يقصدهن للتبرك بهن، كما كان للمرأة حضور في التصوف المغربي ومن متصوفات المغرب الأوسط نجد خصيبة من بني رياح، نزلت وابنها بطولقة وسارة اللواتية بوادي سوف[7].

---

[1] _ الدرعي: **المصدر السابق**، ورقة 70و.

[2] _ حسن علي محمود: **المرجع السابق**، ص: 362، حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص: 355.

[3] _ **فتوى العقباني**: الونشريسي: **المصدر السابق**، 4/ 475.

[4] _ الحسين بولقطيب: **المرجع السابق**، ص: 66.

[5] _ عبد الله علام: **المرجع السابق**، ص: 245، حسن علي حسن: **المرجع السابق**، ص: 255.

[6] _ **المغرب**، ص ص: 187_ 188، أنظر أيضا: مجهول: **الإستبصار**، ص : 169.

[7] _ سهام دحماني: **المرجع السابق**، ص: 90.

وبالرغم من مكانة المرأة ودورها في المجتمع الريفي، إلا أن هذا المجتمع قد اتسم بسمته الرجالية، حيث سيطر الرجال على مظاهر الحياة الدينية والفكرية، والاقتصادية خصوصا بدليل أن أصحاب المهن الأساسية التي يقوم عليها الريف هي من اختصاص الرجل، ويبقى الرجل دائما هو السند الذي ترتكز عليه المرأة عبر العصور، ويكفينا قوله جل وعلا﴿ **الرجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا**﴾[1].

4_ تربية الأبناء بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لاريب أن المجتمع الريفي للمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، قد أولى عناية كبيرة بتربية الأبناء، وحرص على تنشئتهم وفقا للشريعة الإسلامية والأعراف القبلية، كما تعتبر تربية الأبناء حجر الزاوية داخل الحياة العائلية، وهي عملية تسعى لتنشئة الطفل ونقل المعرفة من الموروث الحضاري والبيئة الاجتماعية، وتكوينه جسميا وأخلاقيا وفكريا لتحمل مسؤولياته داخل المجتمع[2].

وتربية الأبناء هي قضية خاصة بثقافة المجتمع، وتتم أساسا عن طريق التربية ونظام التعليم الاجتماعي للطفل، لأن الثقافة والتربية شيئان لا ينفصلان من الناحية العملية[3]، وقد ظلت الأسرة هي المؤسسة الأولى التي يتلقى فيها الطفل التربية، والملاحظ أن سكان الريف كانوا يؤثرون الذكور على البنات، ولعل حرمان البنت من الميراث كما أشرنا سابقا خير دليل على هذا.

ومن الأدلة على اهتمام المجتمع المغربي بتربية النشأ ما جاء في كتاب "**الإعلام بقواعد الإسلام**" الذي ألفه القاضي عياض؛ نقلا عن يوسف عابد الذي يحث فيه الآباء والأولياء على ضرورة تلقين الأطفال تربية دينية منذ الصغر[4]، كما طالب ابن عبدون هو الآخر الآباء على تأديب أبنائهم عند تقصيرهم[5].

---

[1] _ **سورة النساء**، الآية: 34.

[2] _ بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص ص: 55_ 56.

[3] _ مصطفى بوتنفوشت: **المرجع السابق**، ص: 75.

[4] _ **المرجع السابق** ص: 276.

[5] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

لقد حرص الفقهاء على ضرورة المحافظة على تربية النشأ وتماسك الأسر، ولعل لجوء الفقهاء إلى القابلات لمعرفة حمل المرأة من عدمه أثناء حل بعض الخلافات الأسرية[1]، لهو خير دليل على ذلك، وإلى جانب الأسرة فقد تولى الكتاب في المساجد أيضا مهمة تربية النشأ، وتلقينهم التربية وتوجيه السلوك وتكوين شخصية الطفل[2]، بدليل أن معظم الفقهاء في الريف قد ورثوا العلم والتربية من آبائهم وأجدادهم، والنماذج كثيرة سنتناولها بالتفصيل خلال المطالب الخاص بالفقهاء في الريف خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

كما كان للمحيط الدور الأكبر في توعية الأبناء وتربيتهم من خلال الحياة اليومية، فمثلا نظام الفقارة في الجنوب الجزائري، كانت لها علاقة وطيدة بتربية النشأ من خلال حث الأطفال على حبها واحترامها منذ نعومة أظافرهم، حيث حرّموا عليهم العبث بنظام توزيع مياه الفقارة ورمي الأوساخ بها، واستعانوا بالزواجر الدينية أحيانا والعادات والتقاليد أحيانا أخرى[3].

لقد كان للمستوى المادي للأسرة في الريف الدور الأكبر في تربية النشأ، فحالة الفقر التي تعيشها معظم العائلات في الريف، كثيرا ما كانت تدفع بالأبناء إلى العمل بجانب أوليائهم، ومادام الفلاحون والرعاة الريفيين كانوا يشكلون الشريحة الأكبر، في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة ، ونتيجة لحالة الفوضى والحروب التي عاشتها أريافنا خلال هذه الفترة، فبدون شك أن أولادهم ساعدوهم في العمل في المزارع، ورعي الأغنام، والبيع في الأسواق،...إلخ.

كما حظي الأيتام برعاية خاصة من قبل الفقهاء[4]، نظرا لحساسية المرحلة التي يمر بها هؤلاء الأطفال خلال هذه الفترة العمرية، وعملا بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، الذي أوصى بكفالة اليتيم وحمايته وماله حتى يبلغ الحلم.

[1] _ الونشريسي: **المعيار**، 4/ 54.
[2] _ بوتشيش: **المرجع السابق**، ص: 62.
[3] _ أحمد جعفري: **نظام الفقارة**، ص: 152.
[4] _ الونشريسي: **المعيار**، 154/5_ 155، 102/10.

كانت هذه نظرة عامة عن الحياة العائلية في ريف المغرب الأوسط والتي كانت حياة تسودها التعاليم الدينية، والضوابط الشرعية وتسير وفقا للعادات والتقاليد السائدة في مجتمعنا الريفي خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وقد شكلت المرأة والطفل عنصرين هامين في هذه الحياة، بالرغم من بعض الفترات الحرجة التي كانت تعتريهم من حين لآخر.

المطلب الثالث: فئات اجتماعية أخرى بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

1_ الفقهـــــــاء

شكل الفقهاء شريحة هامة من الطبقات الاجتماعية، داخل المجتمعين الريفي والحضري على حد سواء، وبالرغم من قلة المصادر التي تتحدث عن الفقهاء في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، إلا أنه من المؤكد أن هذه الفئة المهمة كانت تسهر على التدريس وتفقيه الناس وتعليمهم أمور دينهم، وتقديم المساعدات إذا ما احتاجوا إليهم.

والملاحظ أن ما ساعد على انتشار العلوم الفقهية والتفاف الناس حول الفقهاء وتبجيلهم لهم، دليل على اعتناق المجتمعات البربرية للدين الإسلامي، وتغلغل هذا الأخير في الأوساط الشعبية وتعريب أغلب المناطق الريفية بسبب الاحتكاك بالعنصر العربي، وإن كان الفضل في هذا التعريب يعود إلى القبائل الهلالية الوافدة إلى هذه البلاد منذ القرن 5هـ/ 11م[1]، ومن هنا نلمس الانتشار الواسع للدين واللغة العربية في سهول وجبال المغرب الأوسط[2].

ومما زاد من تقرب الناس من الفقهاء، هو انتشار المذهب المالكي بأرياف المغرب الأوسط، ولما كان هذا المذهب يمتاز بتمسكه بالسنة ومحاربة البدع والتشبث بآثار الصحابة والتابعين، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم[3]، فقد زاد هذا الأمر من مكانة الفقهاء بين سكان ريف المغرب الأوسط.

---

[1] _ محمد حسن: **المدينة والبادية**، ص: 38، معروف بلحاج: **كتاب مرجعي**، ص: 441.

[2] _ يقول رابح بونار:"...لم يبق للغة البربرية أداة تخاطب إلا بين قبائل جرجرة والأوراس " رابح بونار: **المغرب العربي**، ص: 200. يبدو أن في هذا الكثير من المبالغة لأن مناطق من الغرب الجزائري وكذلك مناطق سوف وريغ إلى وارجلان ومزاب وتوات لا تزال الأمازيغية فيها إلى اليوم فضلا عن القرنين 5و6هـ.

[3] _ الونشريسي: **المعيار**، 3/ 207، عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، ط1، د_ن، 1993م، ص: 36، علاوة عمارة: **انتشار المذهب المالكي**، ص ، ص: 184، 189.

وتجدر الإشارة إلى أن الأمر الذي زاد من تغلغل هذا المذهب في المغرب الأوسط بحواضره وأريافه كلها، هو عودة الحماديين إلى المذهب السني، وتعزيز الموحدين فيما بعد لهذا المذهب، ولم تبق إلا بعض الجهات القليلة بمنأى عنه[1]، مثل بعض مناطق القبائل الصغرى(كتامة)، الذين كانوا شيعة[2]، كما تواجد المذهب الإباضي خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، بجبل أوراس[3]، وفحص باغاي(زناتة)[4]، ووارجلان، ووادي سوف وأريغ[5].

وحتى لا نخرج عن موضوع الدراسة وهو الفقهاء في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، الذين كانوا يسهرون على التدريس وتفقيه الناس والتقرب منهم[6]، وتقديم المساعدات لهم وإعانتهم[7]، والتوبة على أيديهم[8]، ومن الأدلة الواضحة على كثرة الفقهاء في أريافنا هو انتشار الأربطة ودور التعليم، فقد درس عبد المؤمن بن علي بإحدى القرى التي تعرف بفنزازة[9].

كما انتشرت خلال هذه الفترة الكثير من المراكز الثقافية في القبائل الكبرى مثل: بني غبرين، بني يتورغ وزرخفارة، بنو فراوصن، بنو يراثن، قشتولة، بنو صدفة، بنو منقلات، مشدالة، وبنو مليكش[10]، وما دامت هناك علاقة دائمة بين الريف والمدينة، فبدون شك أن هذا الازدهار قد بلغ حتى المناطق الريفية، سواء برحيل علماء الريف لطلب العلم أو العودة

---

[1] _ محمد الطمار: **المغرب الأوسط**، ص: 8.

[2] _ البكري: **المغرب**، ص: 82، مجهول: **الإستبصار**، ص: 128.

[3] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 72.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 144، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 77.

[5] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 197، أبو زكريا: **السير**، ص: 174.

[6] _ الغبريني: **الدراية**، ص: 161.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 161_ 162.

[8] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 210.

[9] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 249.

[10] _ المهدي بوعبدلي: **تراجم بعض مشاهير علماء زواوة**، مجلة الأصالة، مكتبة البعث، السنة 3، العدد 14_ 15، ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب 1393هـ/ ماي، جوان، جويلية، أوت، 1973م، ص: 267.

إليها، أو وفود شيوخ وعلماء لتعليم أهالي الريف وتثقيفهم، فقد كانت القلعة وبجاية قبلة لكثير من الطلاب الريفيين، خاصة من منطقة زواوة المحيطة ببايتها[1].

وبعد سقوط بجاية، انتشرت أكثر المعاهد العلمية بالقرى المتواجدة بمنطقة القبائل الصغرى مثل بني يعلى العجيسي وزمورة[2]، وكان لقاء المهدي بن تومرت بعبد المؤمن بن علي؛ بقرية ملالة والتي كان بها مسجدا تعرف به[3]، وكان يزاول بها تدريس العلم[4]، ويعرف في بعض المصادر باسم رباط ملالة[5]، وهذه الإشارات دليل واضح على غزارة العلوم الدينية في أريافنا خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

هذا وقد انتشرت الأربطة هي الأخرى بمختلف المناطق الريفية للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، والتي كان لها عدة وظائف إلى جانب الدفاع؛ وهي التربية وتلقين الناس وطلاب العلم مختلف العلوم الدينية مثل رباط تلمسان[6]، رباط ندرومة[7]، رباط تنس، هنين، مستغانم، جيجل وجبل بني زندوي[8]، بالإضافة إلى رباط وهران[9]، ومرسى تكوش[10]، وماسين[11]، كما كثرت الأربطة بشرشال أيضا[12].

ومن فقهاء ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة نجد أبو عبد الله الملشوني، وابنه إسحق عالمان يحمل عنهما العلم، وكان بقرية ملشون وهي إحدى قرى بسكرة، وقد سمع

---

[1] _ مفتاح خلفات: **علماء زواوة والإرث الثقافي القلعي**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 16، ص: 6، عبد العزيز فيلالي: **قلعة بني حماد، الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/ 11م**، نفس المجلة، العدد7، ص ص: 14_ 15.

[2] _ المهدي بوعبدلي: **المرجع السابق**، الصفحة نفسها.

[3] _ النويري: **نهاية الأرب**، ص: 153، ابن الأثير: **الكامل**، 9/ 196، ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 173.

[4] _ المراكشي: **المصدر السابق**، ص: 248.

[5] _ ابن القطان: **نظم الجمان**، ص: 77.

[6] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[7] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 135.

[8] _ عثمان الكعاك: **تلمسان عبر العصور**، ص: 122.

[9] _ السلاوي: **الإستقصا**، 1/ 128.

[10] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 188.

[11] _ البكري: **المغرب**، ص: 80.

[12] _ **المصدر نفسه**، ص: 82.

عنهما أبو عبد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما[1]، وهذا دليل على أن المراكز الريفية وعلمائها وفقهائها كانوا قبلة لطلبة العلم من مختلف الأصقاع، كما كان أبو عبد الله بن الربيع اللمائي(من أهل الطبقة التاسعة)، يخرج في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب(أي بنو مزاب في المصادر الإباضية) لإراحة خواطره وخواطر التلاميذ من طلاب العلم[2].

كما كان من الفقهاء الريفيين من يستكمل دراسته خارج قراه، مثل أبي عبد الله بن علي بن حماد الصنهاجي القلعي أصله من قرية حمزة من حوز القلعة، ودرس ببجاية[3]، والملاحظ أن الأمر الذي زاد من مكانة هؤلاء الفقهاء أيضا هو عناية الدولة بتعميم العلوم الدينية، وإنشاء المدارس والكتاتيب مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي[4]، والخليفة أبي يعقوب يوسف[5].

فكانت النتيجة؛ أن بات السكان حريصين كل الحرص على صفاء دينهم، وتأدية الواجبات الدينية على أكمل وجه، مثل الطهارة، الصلاة، الصوم[6]،...إلخ، ولعل تحبيسهم للأراضي الزراعية خدمة للأغراض الخيرية دليل على وعيهم التام بدينهم، ومعنى الصدقة الجارية، وفهمهم للأحكام الشرعية[7].

وكان من اهتمامات الدول التي حكمت هذه البلاد، إرسال القضاة إلى مختلف الأقاليم للنظر في مختلف الأمور التي تهم سكان الريف، وفي حالة عدم وجود قاض أو أي عون من أعوان السلطة يمكن للعدول والصالحين من القوم الذين لا عيب في اتخاذ قرارات صالحة في نظر الفقهاء[8]، إذ تحدث كل من الداودي(ت402هـ/1011م)، وأبو عمران

---

[1] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 53، مجهول: **الإستبصار**، ص: 173، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 154.

[2] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 1/ 184، 2/ 235.

[3] _ الغبريني: **الدراية**، ص ص: 191_ 192.

[4] _ تأليف جماعي: **مجوع رسائل موحدية**، ص، ص: 26، 63، عبد الله علام: **المرجع السابق**، ص ص: 291_ 293.

[5] _ ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص: 237، ابن الأثير: **المصدر السابق**، 10/ 127.

[6] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 134.

[7] _ **المصدر نفسه**، 1/ 134، كمال السيد أبو مصطفى: **المرجع السابق**، ص ص: 31_ 32.

[8] _ الونشريسي: **المعيار**، 10/ 76.

الفاسي(ت430هـ/1038م)، بصحة الأحكام العادلة، أحكام الجماعة التي يصدرها مجلس الأعيان أو عمال المنازل في المناطق التي لا تخضع للسلطة[1].

والملاحظ أنه كان من اهتمامات يوسف بن تاشفين إرسال القضاة إلى مختلف الأقاليم، وحرص على نشر الإسلام السني الصحيح[2]، ومن الأمثلة أيضا على تواجد القضاة ببعض المناطق الريفية للمغرب الأوسط نجد أبو الطاهر عمارة بن يحي بن عمارة الشريف الحسني(من أهل القرن 6هـ/ 12م)، الذي قضى ببعض نواحي بجاية[3].

كانت هذه نظرة بسيطة عن فقهاء المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، والتي شكلت شريحة اجتماعية هامة، والملاحظ أن هؤلاء الفقهاء كانوا على درجة كبيرة من الاضطلاع على العلوم الدينية، والتواضع للناس وهو ما ساعد على التفاف سكان الأرياف حولهم.

2_ الأولياء والمتصوفة

شكل الأولياء والمتصوفة أيضا شريحة اجتماعية هامة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، مع أن البعض يفترض أن المرحلة الجنينية لظهور التصوف[4]، كانت الربع الأخير من القرن 5هـ/ 11م، أما النمو والانتشار فكان طيلة القرن 6هـ/12م، وقد

[1] _ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 127.

[2] _ المراكشي: **وثائق المرابطين والموحدين**، ص: 29.

[3] _ الغبريني: **المصدر السابق**، ص ص: 78_ 79.

[4] _ يرى البعض أن كلمة **التصوف** اشتق من لباس الصوف، وقال آخرون أنها اشتقت من الصفّة، وهو رعاية حسن الآداب مع الله في الأعمال الباطنة والظاهرة، بالوقوف عند حدوده، مقدما الاهتمام بأفعال القلوب، وهو الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، باتباع سنته ولزوم ظاهر العلم، **والتصوف** تجربة روحية، خصائصه ومبادئه وأهدافه ووظائفه، التي تعمل على حفظ كيانه وهيكله، كظاهرة اجتماعية حيث لعبت أدوارا خطيرة في حياة المجتمع الإسلامي، ولا تزال حتى الآن. **أنظر على التوالي:** ابن خلدون: **شفاء السائل وتهذيب المسائل**، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، 1417هـ/ 1996م، ص ص: 51_ 54، كمال الدين أبو الفضل الأدفوي المصري: **الموفى بمعرفة التصوف والصوفي**، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد عيسى صالحية، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/ 1988م، ص: 35، منال عبد المنعم جاد الله: **التصوف في مصر والمغرب**، ص: 115.

جازف المستشرقون الذين أرجعوا نجاح التصوف إلى حاجة الأوساط البربرية للحماية الغيبية، ونفسيتهم المتخوفة من قوى الشر[1].

والواقع أن ظاهرة التصوف جاءت إفرازا لتجليات الأزمة التي طالت المجتمع المغربي منذ المرحلة الأخيرة من العصر المرابطي[2]، كما أن الانهيار الاقتصادي وتحول الأشكال الاجتماعية، والبحث عن الخلاص الروحي على حد تعبير جاك بيرك، هي التي ساعدت على بروز المتصوفة[3]، وما ساعد على التفاف الناس حول المتصوفة، هو ابتعادهم عن السلطة ومحاولاتهم الإيجابية لإعادة التوازن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فلعب المتصوفة أدوارا متنوعة على كل المستويات مستندين على توظيف الكرامة الصوفية، كأداة لإصلاح المجتمع.

لقد اختار المتصوفة؛ المناطق المنعزلة والريفية بعيدا عن الفتن والسلطة، فكان بظاهر وهران ربوة مطلة على البحر، وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظَّم عندهم[4]، كما كان بظاهر تلمسان موقع يعرف "بالعباد"، نزل به ابن تومرت[5]، كما كان حصن بشر من أعمال بسكرة، به كثير من العباد[6]، وهذه الإشارات جميعا تؤكد على شيوع التصوف في معظم المناطق الريفية.

ظل المتصوفة يعيشون في أوساط الطبقات الشعبية الكادحة والبسيطة، ولعل امتناعهم عن دفع الجباية يعتبر موقفا متضامنا مع المزارعين والرعاة، وسكان الأرياف والبوادي عموما، وهو ما ساهم في تعميق تأثير هؤلاء الصوفية على العامة، الذين لجأوا إليهم للتخفيف من حدة الضرائب، وكان المتصوف أبو عبد الله بن شعيب يقول:<<**ليس في**

---

[1] _ عبد السلام غرميني: **المدارس الصوفية، المغربية والأندلسية في القرن السادس الهجري**، ط1، دار الرشاد الحديثة، 1420هـ/ 2000م، ص: 251.

[2] _ بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص: 125.

[3] _ بنسالم وآخرون: **المرجع السابق**، ص: 124.

[4] _ النويري: **نهاية الأرب**، ص: 161، ابن القطان: **المصدر السابق**، ص: 77.

[5] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 250.

[6] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 171.

الشريعة مكس>>[1]، وكان الهدف منها رفع الظلم الجبائي على العامة، وهو ما كان يؤدي إلى توتر العلاقة بين السلطة والصوفية، ويزيد من التفاف العامة حول هذا الصوفي وذاك.

هذا وتظهر كرامات الأولياء والمتصوفة في جميع القضايا التي كانت تهم سكان الريف، مثل الجفاف الذي كثيرا ما كان يتسبب في المجاعة، وهو ما دفع بأبي الحسن الحرالي إلى القيام بصلاة الاستسقاء في بجاية، فنزل المطر وسقى الناس[2]، وكذلك الشأن عندما صلى أبو محمد اللواتي(من أهل الطبقة 11) وأمثاله من المشايخ، بوغلانة بوادي ريغ فهطلت الأمطار ودامت أياما[3]، وبدون شك أنها حسنت من أوضاع السكان والماشية على حد سواء.

ويبرز دور الأولياء والمتصوفة أيضا بقوة، للتخفيف من درجة الفقر والرفع من مستوى المعيشة لأفراد المجتمع[4]، وإن كان يطغى عليها جانب خيالي ممزوج بالكرامات في غالب الأحيان، كما قام المتصوفة كذلك بإصلاح ذات البين داخل الأسر للمحافظة على تماسكها وسلامتها من التفرقة، مثلما فعل أبو القاسم القرطبي(ت662هـ/ 1263م)، مع زوج فرّ من زوجته عندما ولدت بنتا[5].

ومن كرامات المتصوفة أيضا كثرة الأتباع الذين يتوبون على أيديهم[6]، وكيف أن الناس كانوا يسخِّرون أنفسهم لخدمة هؤلاء الأولياء لكسب رضاهم وكراماتهم[7]، لأن معظم الأولياء كانوا مستجابي الدعاء على من ظلمهم[8]، والملاحظ أن كرامات هؤلاء كانت تعمل على الإيحاء بأن القوة الحقيقية هي قوة الصوفية وليس قوة الحكام المتصارعين على السلطة، وفي هذا الصدد يقول أبو مدين شعيب:<<**قوة العارف معروفة، وقوة الغير فمعتادة مألوفة**>>[9].

---

[1] _ الغبريني: **المصدر السابق**، ص: 171.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 151

[3] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 290.

[4] _ الغبريني: **المصدر السابق**، ص، ص: 134، 161.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 161.

[6] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 121.

[7] _ الوسياني: **السير**، ص ص: 82_ 86.

[8] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، ص: 210.

[9] _ الغبريني: **المصدر السابق**، ص: 312

لقد كان لكرامات الأولياء أثر نفسي قوي على شرائح عريضة من أفراد المجتمع، بشطريه الحضري والريفي على وجه الخصوص، نظرا لارتباط حياة الإنسان الريفي الاجتماعية والاقتصادية، بهؤلاء المتصوفة الأمر الذي زاد من التفاف هؤلاء الناس حولهم، لأنهم كانوا يرون فيهم ملاذهم الأخير، وعلى حد تعبير الحسين بولقطيب[1] "**كانت هذه المساعدات إرساء لدولة الولي عوض دولة الأمير**".

3_ الفلاحون والرعـــاة والحرفيون

يعتبر الفلاحون والرعاة من الشرائح الاجتماعية الهامة، لا تقل أهمية عن الشرائح الأولى، خصوصا إذا علمنا أنها المحرك الأساسي للاقتصاد الريفي خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وسنتناول بالتفصيل كل شريحة على حدة في العرض التالي.

- **الفلاحون**

ويسمون كذلك بأهل الفلح، وهم الذين يقومون بفلاحة الأرض، سواء تلك التي يملكونها، أو في مزارع كبار الملاك، وكان هؤلاء الفلاحين يعيشون في القرى، واعتمادهم الأساسي يتم على الزراعة وفلاحة الأرض[2]، ونظرا لأهمية الفلاح في الحياة الاقتصادية في الريف أولا، والحياة الحضرية ثانيا؛ لأن المدن لا تستطيع العيش بدون الغذاء الذي معظمه كان من الريف(قمح، خضر، فواكه، لحوم...إلخ)، فقد حرص عليهم الفقهاء والقضاة وأمروا بالرفق بهم وحمايتهم.

يقول ابن عبدون:<<**ويأمر الرئيس بالحرث وبالمحافظة عليه، وبالرفق بأهله والحماية لهم في أعمالهم ويأمر وزراءه وأهل القدرة من أهل بلده بالحرث، فيكون له ولهم أنفع ولأحوالهم أرقع، وللناس أمنع وأشبع، ولبلاده أطيب وأرخى، ولحمايته المنى وأزكى**>>[3]، والملاحظ أن هناك اختلاف في درجة الفلاحين، فهناك **الفلاحون الأغنياء أصحاب الملكيات**

---

[1] _ **المرجع السابق**، ص: 35.

[2] _ محمد عمارة: **معجم المصطلحات الاقتصادية**، ص: 73.

[3] _ **المصدر السابق**، ص: 5.

الكبيرة، مثل الضياع[1]، التي كانت منتشرة بكثرة في كثير من مناطق ريف المغرب الأوسط، فقد كان بتاهرت ضياع جمة[2].

وهناك الفلاحون الذين يملكون ملكيات صغيرة من الأرض، والملاحظ على هذه الشريحة أنها كانت تمثل الغالبية العظمى من فلاحي المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، والدليل على هذا ما ذكره الرحالة والجغرافيون بشأن ثراء الأرياف بالإنتاج الزراعي، والملاحظ على هذه الشريحة كانت في مستوى اجتماعي بسيط، قريب من درجة الفقر وربما كانت الغالبية منهم تعاني الفقر، وكانت كثيرا ما تتأثر بالأزمات الطبيعية والعسكرية التي شهدتها الأرياف خلال هذه الفترة[3]، وكان معظمهم لا يملك حتى الأرض، بل كانوا يعملون في مزارع غيرهم مقابل أجرة زهيدة، أو جزء من الإنتاج، أو عن طريق المزارعة والمغارسة والمساقاة، أو حتى كراء الأرض[4].

- **الرعـــــاة**

شكل الرعاة أيضا شريحة هامة في المجتمع الريفي للمغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وكان لانتشار المراعي والمسارح في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، أن شجع هذا النشاط بشكل واسع، ومن الأدلة على الطابع التنظيمي لهذه الحرفة هو استئجار الرعاة من قبل السكان، ونظام الضمان والتعويض في حال حدوث خلاف بين السكان،...إلخ[5].

- **الحرفيـــون**

هذه الشريحة كانت أقل عددا من الفلاحين والرعاة، نظرا لطبيعة الحياة الريفية ولكن

---

[1] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 236، **فتوى السيوري: المعيار**، 10/ 603.

[2] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 157، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 5/ 111.

[3] _ للتفصيل أكثر في الموضوع وتجنبا للتكرار يُرجى العودة للمبحث الخاص **بالزراعة، والرعي في الريف**، ص ص: 117_164.

[4] _ للتفصيل أكثر انظر العنصر الخاص بأشكال **الانتفاع بالأرض،** ضمن المبحث الخاص بالأرض، ص ص: 74_80.

[5] _ **حول هذا الموضوع،** انظر الصفحة 83 من هذه المذكرة.

هذا لا ينفي من وجود عدد من أصحاب الحرف الريفية مثل الطحان، والصواف، والدباغ، والفخار،...إلخ، وعموما كان هؤلاء الحرفيون مرتبطون أساسا بما تدره الأرض الزراعية وبما تنتجه المواشي من مواد أولية(صوف، جلود...) وغذائية(لبن، إدام،..)[1].

4_ الأقليـــات الدينيـــة: الملاحظ أن الأقليات الدينية[2]، كانت أعدادها قليلة في ريف المغرب الأوسط مقارنة بعدد السكان، ويمكن تقسيمهم إلى اليهود والنصارى.

- **اليهـــــود**

تشير وثائق الجنيزة التي تعود إلى القرن 6هـ/ 12م إلى أن شؤون الزراعة والصناعة ظلت بأيدي الأهالي من الذميين، وتم إحصاء ما لا يقل عن 260 حرفة يدوية كان اليهود يحترفونها[3]، فقد لعب اليهود دورا كبيرا في تجارة المغرب الأوسط، فمن المنتوجات الزراعية التي ساهموا في تصديرها من المغرب هي الزيت، الزعفران، قشر اللوز والقمح[4].

كما قام اليهود أيضا بتصدير الفضة والرصاص والزئبق وجلود الحيوانات والصوف[5]، ومن الأعمال التي قام بها اليهود على نطاق ضيق هي الاشتغال كباعة متجولين بين المدن والقرى والمداشر قصد البيع والتجارة[6]، كما اشتغل اليهود كهمزة وصل بين مراكز الإنتاج في الأرياف والبوادي، والأسواق في الحواضر والعكس، ومارسوا مختلف الأنشطة الاقتصادية في الأرياف[7].

[1] _ أنظر المبحث الخاص **بالحرف في الريف**، ص ص: 164_ 176.

[2] _ الأقليات الدينية هي تلك الجماعات الصغيرة من المقيمين في بلد ما، والتي تدين بأديان وعقائد غير الدين الرسمي الذي تتبعه الغالبية الكبرى من سكان ذلك البلد، وجرى العرف على تسمية هؤلاء بأهل الذمة أو الذميين، ويدخل ضمن هذه الزمرة اتباع الأديان السماوية من غير المسلمين كاليهود والنصارى، الذين يعرفون كذلك بأهل الكتاب. انظر: رشيد باقة: **الأقليات الدينية في بلاد المغرب ومدى مساهمتها في ازدهار الحياة الاقتصادية من الفتح إلى العهد الموحدي**، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، العدد 4، ص ص: 77_ 78.

[3] _ **المرجع نفسه**، ص: 93.

[4] _ مسعود كواتي: **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، ط2، دار هومة، 2000م، ص: 123.

[5] _ **المرجع نفسه**، ص ص: 122_ 123.

[6] _ الونشريسي: **المعيار**، 5/ 245.

[7] _ بوتشيش: **مباحث التاريخ الاجتماعي**، ص: 97.

- **النصارى**

لقد كانت أعداد النصارى أقل من اليهود في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، لكن الملاحظ أنه ابتداء من القرن 6هـ/ 12م بدأت أعدادهم تتوافد للعمل كجنود مرتزقة في جيش المرابطين، والموحدين لتحصيل الضرائب، وحراسة جباة الضرائب لا سيما في المناطق النائية أين تضعف السلطة المركزية[1]، وهذا دليل على استقرار هذه الفئة في الأرياف خلال تلك الفترة.

المبحث الرابع: مستوى المعيشة بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

يقتضي الأمر لتحديد مستوى المعيشة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، الإلمام بثلاث نقاط أساسية هي التغذية، اللباس والسكن، لأن هذه العناصر الثلاثة مكملة لبعضها البعض من جهة، ومحددة لاستقرار السكان في الريف من جهة ثانية.

ولا غرو أن الأحوال المعيشية لا تتغير تغيرا جذريا بين عشية وضحاها، وبالأحرى المحيط الطبيعي، خصوصا ونحن نتكلم هنا عن الحياة في الريف، إذ تمادى الناس في حياتهم على طريقة من سبقوهم في الفلاحة، والصناعة والزي والمعاش في إطار طبيعي خاص بهم[2]، ويرتكز المستوى المعيشي في الريف وكباقي المجتمعات الأخرى على الطبيعة الاقتصادية السائدة، فيتحسن في أوقات الرخاء ويتدنى في أوقات الأزمات[3].

لقد عاشت أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة فترات رخاء تارة، وفترات حروب وصراعات تارة أخرى، وبدون شك أن مستواها المعيشي قد تأثر بهذه التغيرات، بالرغم من قلة المعلومات عن الريف خصوصا، مع أنه يمثل المحرك الأساسي لأي مجتمع.

---

[1] _ رضوان البارودي: **أضواء على المسيحية والمسيحيين**، مقال ضمن كتاب دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، 2007م، ص: 203.

[2] _ محمد الطمار : **المرجع السابق**، ص: 147.

[3] _ بوتشيش: **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص: 210.

تفيدنا كتب الجغرافيا والرحلات بإشارات بسيطة عن الوضع المعيشي لسكان الريف من خلال ذكرها لكلمة "**خصب**" و"**رخص الأسعار**"، وهذان مؤشران هامان لمعرفة الحالة المعيشية للإنسان الريفي في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وهي دليل واضح على أن معظم السكان قادرين على اقتناء الحاجات الضرورية للعيش(الغذاء)، كما أن هذا الخصب يساعد الفلاحين على القيام بنشاطاتهم الفلاحية بسهولة.

ومن الأمثلة على هذا الخصب الذي كان يعم معظم المناطق الريفية للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، التي كانت تزخر بمختلف الزروع والبساتين والمواشي الموجهة للاستهلاك فنجد أنه بكل من: بونة[1]، جيجل[2]، مرسى الدجاج[3]، المسيلة[4]، ميلة[5]، قسنطينة[6]، جبل زلدوي[7]، سطيف[8]، طبنة[9]، القلعة[10]، فحص الغدير[11]، حصن بلزمة ومقرة[12]، وكذلك المناطق الوسطى والغربية مثل مليانة[13]، تلمسان[14]، ندرومة[15] وقلعة

---

[1] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص، ص: 169، 172.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 166، مجهول: **الاستبصار**، ص: 166.

[3] _ الإدريسي: **المصدر السابق** ص: 159، الحميري: **الروض المعطار**، 539.

[4] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 162، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 166، الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 403، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 81.

[5] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص:166، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 135.

[6] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 164، مجهول: **الاستبصار**، ص: 166، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 558.

[7] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 179، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 468.

[8] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 166، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 135.

[9] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 128.

[10] _ **المصدر نفسه**، ص:177.

[11] _ **المصدر نفسه**، ص: 179.

[12] _ الحميري: **المصدر السابق**، ص: 576، 103، 556.

[13] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص:176.

[14] _ **المصدر نفسه**، ص:177، الحميري: **المصدر السابق**، ص:468.

[15] _ **المصدر نفسه**، ص:576.

هوارة[1]، وحتى تهودة[2] في الجنوب، وجميع هذه المناطق كانت بها من "**الخصب ورخص الأسعار**" الشيء الكثير.

وهذه الإشارات جميعا دليل واضح على وفرة المحاصيل واللحوم في الريف، وكذلك نتيجة انفاق الأشغال ومرابح التجارة الريفية، وهو ما ينعكس إيجابا على المستوى المعيشي في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

كما تجدر الإشارة إلى أن ما ذكره هؤلاء الرحالة والجغرافيون، قد تغلب عليها العمومية، خصوصا إذا علمنا أنه حتى المدن لم تكن متجانسة الثراء عند جميع أفراد المجتمع، فما بالك بالريف، بالرغم من جهود الحكام في تحسين أوضاع سكان الريف، والتي ساهمت في تحسن المستوى المعيشي للسكان، فقد منح المرابطون للجند أراض زراعية ليستغلوها ويتصرفوا في غلتها مقابل خدماتهم[3]، وكذلك الشأن في عهد الأمير أبي يعقوب المنصور الموحدي[4].

والملاحظ أن هذه السياسات لم تستمر، وما يؤكد على فشل السلطتين المرابطية والموحدية في تحسين الأوضاع الاجتماعية وإخراج الرعية من حالة البؤس والفقر هو انتشار ظاهرة التسول في معظم المدن[5]، فإذا كانت هذه هي حالة المدن التي تكون دوما أول المستفيدين من الإصلاحات والأموال، فما بالك بالمناطق الريفية والأطراف البعيدة والمهمشة، التي لا تصلها الإصلاحات والمعونات إلا في القليل النادر، ولعل جل أو بعض أولئك المتسولين في المدن هم أصلا من سكان الريف وهذا غير مستبعد خاصة إذا كان الفقر مرتبطا بندرة الأمطار أو الحروب التي تهلك الحرث والنسل في الريف والبادية قبل المدن عموما.

---

[1] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص:179.

[2] _ **المصدر نفسه**، ص: 177.

[3] _ ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 142، حسن علي محمود: **قيام دولة المرابطين**، ص: 360.

[4] _ ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص ص: 236_ 237.

[5] _ إبراهيم القادري بوتشيش: **ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ/ 12م**، مقال ضمن ملتقى التغيرات الاجتماعية، ص: 181.

لقد ساهمت الهجرة الهلالية في تراجع الاقتصاد الريفي وهي حقيقة لا مناص منها، وكما تناولنا في بعض سطور هذه الدراسة، أنهم تسببوا في انحسار الزراعة، فتراجع المستوى المعيشي للسكان بسبب الفقر، وبالتالي نقص الغذاء مما اضطر السكان إلى اقتناء الأقوات بالدَّيْن، ليعيدوه في زمن الحصاد[1]، ولم يكن الأعراب وحدهم المتسبب في تدني المستوى المعيشي للسكان، فقد كان للحروب التي عاشتها المنطقة خلال هذه الفترة الدور الكبير في ذلك.

كانت هذه نظرة عامة عن المستوى المعيشي لسكان ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، وقد ساهمت الظروف الطبيعية والأمنية في التحكم بالاقتصاد الريفي وبالتالي بالأسعار، هذه الأخيرة التي كانت على علاقة وطيدة بالمستوى المعيشي في الريف، وسنحاول التفصيل في العناصر الثلاثة المتحكمة في المستوى المعيشي، وهي التغذية، اللباس والسكن في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: التغذية بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

نادرة هي الدراسات التي تتحدث عن الغذاء والطبيخ في الريف بعامة، والمغرب الأوسط على الخصوص لندرة المصادر التاريخية الفقهية وحتى المنقبية التي تتطرق لهذا الموضوع، ويعتبر الغذاء من أولى المؤشرات التي نعرف من خلالها المستوى المعيشي، ومن خلاله تتضح معالم الفقر والغنى في أية بقعة من الأرض.

وبطبيعة الحال فغذاء المدن يختلف عن غذاء القرى والبوادي، وبما أننا نتحدث عن المجتمع الريفي الذي هو مجتمع فلاحي بالأساس، يعتمد على خدمة الأرض ورعي

---

[1] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 169.

المواشي، لذلك فالعناصر الغذائية لهؤلاء السكان لا تخرج عن هذه المكونات، كما أن هذا الغذاء دائما يكون تحت رحمة الطبيعة من جهة، ورهين فترات الاضرابات والفتن من جهة ثانية.

لقد كان النشاط الفلاحي؛ عصب قوام الحياة الريفية، فأي خلل يصيب هذا النشاط يؤثر بدون شك على الغذاء والإنتاج، فيذكر ابن العوام بأن:<<**بالغراسات والزراعات تكثر بمشيئة الله الأقوات**>>[1]، كما ربط ابن خلدون بين الظروف الطبيعية(مناخ ملائم وتضاريس)، ووفرة الغذاء والعكس صحيح فصعوبة التضاريس تجعل من سكانها يعيشون الفقر[2].

لقد كانت معظم المناطق الريفية لبلادنا خلال الفترة قيد الدراسة، تنعم بالخيرات التي تنتجها الأرض إضافة إلى لحوم الأنعام التي يقومون بتربيتها، الأمر الذي جعل معظم المناطق الريفية تزخر بمختلف أنواع الأغذية ذات الأصل الحيواني والنباتي، فكتب الجغرافيا والرحلات كالعادة تذكر لنا أنواعا من الأغذية مثل الألبان والأسمان والعسل والفواكه والحنطة، وسائر الخيرات التي كانت وفيرة في كل من أرياف: بونة، جيجل، قسنطينة، المسيلة، مازونة ووهران [3].

وهذه الإشارات جميعا تؤكد أن المأكولات التي يتعاطاها سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، كانت تستمد من المنتوجات الحيوانية والغلات الزراعية التي تجود بها أرضهم، ولعل تصدير أهل الريف للحنطة والأسمان والألبان[4]، ومختلف الفواكه[5]، لهو خير دليل على ذلك، فصاحب كتاب الاستبصار يقر بذلك صراحة حيث يقول:<<**تنس يحمل منها الطعام إلى الأندلس وبلاد إفريقية وبلاد المغرب، لكثرة الزرع عندهم**>>[6].

---

[1] _ **كتاب الفلاحة**، ص ص: 1_ 2.

[2] _ **المقدمة**، ص: 97.

[3] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 192، 169، 153، 166_ 167، 172، 155_ 146، على التوالي.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 153، 171، الحميري: **الروض المعطار**، ص، ص: 138، 613، ابن سعيد: **الجغرافيا**، ص: 142.

[5] **_ المصدر نفسه**، ص: 126، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 318، 579، 613، ابن حوقل: **صورة الأرض**: ص: 77.

[6] _ مجهول: ص: 133.

لقد كانت الحبوب وعلى رأسها القمح والشعير، هي الغذاء الأساسي لسكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، ولعل كثرة الأرحية(الأرحاء) بالمناطق الريفية خير دليل على هذا[1]، ويصنع دقيق القمح والشعير؛ الخبز الذي يعتبر أهم مادة في تغذية السكان، ولعل خبز الشعير هو الأكثر تناولا وشهرة عند سكان الريف[2]، وكان يصنع عادة في المنازل، وتقوم النسوة بطهيه في الطاجين[3].

كما كان سكان ريف المغرب الأوسط يتناولون **البسيسة**[4]، ويتم تحضير هذه الأكلة بطحن القمح أو الشعير وخلطها بالسمن والعسل، وهي أكلة لذيذة جدا لا يزال الكثير من سكان بلادنا يتناولونها في الشتاء، أو من قبل المرأة النفساء عند إنجابها للمولود.

ومن الأطعمة أيضا المصنوعة من الحبوب، نجد **الكسكس** أو المسمى با**لطعام**، بالدارجة الجزائرية، والملاحظ أن هذه الأكلة كانت منتشرة في بلاد المغرب ككل، ويتم تحضير هذه الأكلة عن طريق الدقيق والماء والسيار، وتفتل على شكل حبيبات صغيرة حتى نحصل على الكسكس، ومن عجيب الأمر أن هذا الطعام بالرغم من شهرته إلا أن المصادر قلما تذكره، ما عدا بعض الاشارات القليلة جدا، فقد ذكره المقري عند حديثه عن الشيخ أبو القاسم بن محمد اليمني مدرس دمشق، وقال بأن:<<**هذا الطعام(الكسكسي)، مما يعتاده المغاربة ويشتهونه على كثرة استعمالاته** >>[5].

وكان لتوفر القمح والسمن والعسل بكثرة في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، أن حضر سكانه أطباق متنوعة من هذه المواد **كالعصيدة**[6]، التي تصنع من الحنطة وتمزج بالسمن والعسل بعد طهيها، ومن الأكلات أيضا نجد أكلة **الثريد** والزيت الذي كان طعام

---

[1] _ انظر العنصر الخاص بالصناعة الغذائية في الريف، ضمن الفصل الأول من هذه المذكرة، ص ص: 169_172.

[2] _ التادلي: **التشوف**، ص: 302.

[3] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 3/ 275.

[4] _ ابن عذاري: **البيان**، 1/ 27، الدباغ: **معالم الإيمان**، 1/ 63.

[5] _ أبو العباس أحمد القرشي التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م، 5/ 258.

[6] _ الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية**، ص: 27.

البسطاء من أهل الريف على غرار أهل إفريقية[1]، وطريقة تحضيره بسيطة جدا تعتمد على تفتيت الخبز إلى قطع صغيرة في حساء مطهي باللحم.

والملاحظ أنه مفضل عند عامة سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فقد حدّث بعض العزابة عند خروجهم من أريغ إلى وارجلان، ومرّوا بتلاّعيسى بمنزل الشيخ عبد الرحمان فقدم لهم تمرا كبيسا معسلا، ولبنا عجيبا وصحفة **ثريد**[2]، وهذا ما يؤكد على تكامل الوجبات الغذائية لأهل ريفنا في العصر الوسيط وقيمتها الغذائية العالية.

وكان من سكان الريف من كان قوته وقوت موضعه الزبيب أو القطاني، واللبن والدخن[3]، وكان طعام الفقراء يقتصر على خبز الشعير المصنوع من الدشيش(الجشيش)[4]، أو خبز الشعير واللبن الرائب، أو الخبز والتين[5]، وهذا دليل على وجود تراتب اجتماعي حتى عند سكان الريف بين الفلاحين الأثرياء والفلاحين الفقراء.

وبعد المنتوجات الزراعية؛ تأتي المنتوجات الحيوانية(لحوم، إدام، ألبان...)، في الدرجة الثانية من حيث الأهمية بالنسبة لسكان ريف المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة، كون الريف كان من أهم مناطق إنتاج المواشي كما يعد أيضا ضمن المجتمعات الرعوية الثرية بمنتوجاتها الحيوانية.

أمام هذه الوفرة، فقد باتت اللحوم مادة أساسية في مأكولاتهم لإكسابها المزيد من الطعم الطيب، وتعددت طريقة طهيها ما بين الطهي مع المرق[6]، أو الشواء بالجمر في المناسبات وإكرام الضيوف[7]، كما كان لحم البقر يدخل في كثير من وجبات أهل الأرياف والبوادي[8].

---

[1] _ المالكي: **رياض النفوس**، 1/ 193، عياض: **ترتيب المدارك**، 5/ 144.

[2] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 330.

[3] _ **فتوى السيوري**: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 2/ 100.

[4] _ الدباغ: **معالم الإيمان**، **2**/ 322، عياض: **ترتيب المدارك**، 3/ 68.

[5] _ التادلي: **التشوف**، ص: 302.

[6] _ أبو زكريا: **السير**، ص: 168.

[7] _ النويري: **نهاية الأرب**، 24/ 84_ 85.

[8] _ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 202.

وكان لوفرة اللحوم أيضا أن قام سكان الريف بتخزين اللحوم على غرار تخزين الحبوب ومختلف الأطعمة، عن طريق إضافة الملح وتجفيفها حتى تصبح **قديدا**، وتستخدم خاصة مع المرق ويطلق على هذه الأكلة اسم **مرق القديد**[1].

وربما احتاج سكان الريف لطبخ مأكولاتهم بالأزبال وعظام الميتة، إن لم يتوفر الحطب خاصة في الشتاء، فقد قال أبو عمران بعدم أكله، أما ابن رشد فأجاز ذلك لكونه غير نجس[2]، ويضاف إلى الأطعمة المطبوخة أنواع أخرى من المأكولات التي لا تطهى والتي اشتهر بها ريف المغرب الأوسط مثل اللبن والحليب والزيتون والعسل، وما أكثر هذه المأكولات، وقد أشرت إلى ثراء الأرياف بها في الفصل الأول، والتي كانت تدخل في كثير من غذاء سكان الريف[3].

أما الفواكه فقد تنوعت هي الأخرى، وذكرتها في الفصل الثاني من دراستي هذه، وتتمثل أساسا في العنب والتين والجوز والسفرجل والتمر والتفاح والعنب والتوت،...إلخ، وبدون شك أنهم قد أبدعوا في صنع العصائر وتفننوا فيها، على غرار تفننهم في صنع الأكلات، فصنعوا من هذه الفاكهة مختلف العصائر.

هذا وقد حرص سكان الريف على حفظ أطعمتهم[4] في الأماكن المناسبة، والملاحظ أن الكثير من هذه الأطعمة كانت معرضة لمختلف الجراثيم والحشرات[5]، لكن أهل الريف حرصوا على عدم أكلها أو غسلها، واستفتاء الفقهاء عند الضرورة[6].

لعل هذا العرض البسيط والمختصر عن الغذاء بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م، يتضح أن سكان الأرياف قد تفننوا في صنع مختلف المأكولات، والتي كانت سمتها التنوع والثراء في القيمة الغذائية، وهذا ما يفنّد ما قاله البعض عن تفنن أهل

---

[1] _ الونشريسي: **المعيار**، 3/ 307.

[2] _ البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 162.

[3] _ التادلي: **التشوف**، ص: 331.

[4] _ البرزلي: **المصدر السابق**، 1/ 151.

[5] _ **المصدر نفسه**، ص: 174.

[6] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها، **أنظر أيضا** الجزء الثالث، ص: 236.

الحواضر فقط وتنوع أكلهم، واقتصار أهل البوادي على القليل من الأكل الخالي من الأدم[1]، وهذا الأمر لا أساس له من الصحة، والشاهد على هذا ما تمت الإشارة إليه في الفصل الثاني، وهذا العنصر من الفصل الثالث.

المطلب الثاني: السكن والمرافق الريفية بالمغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لقد توفرت القرى الريفية في المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، على جملة من المرافق الريفية والتي كانت جد مهمة ولا يمكن للإنسان الريفي المستقر أن يستغني عنها في حياته اليومية، وتتمثل هذه المرافق في بيوت الفلاحين(الدور)، والمساجد.

1_ بيـــــوت الفــلاحيــــن

إن التراتب في المستوى المعيشي للفلاحين، يؤدي حتما إلى الاختلاف في أنماط المساكن، وهذا التراتب جعل البعض يتخذ منازل من "**الحجارة ومن الخوص ومن الشعر والوبر**"[2]، لكن السمة الغالبة على هذه البيوت هو بساطة النمط العمراني السائد بها، والملاحظ أن السكان هيأوا بهذه البيوت بعض الأدوات لتسهيل الإقامة بها، والتأقلم مع البيئة الطبيعية والجو السائد بتلك المناطق، كما كان بناء الدور والبيوت في الريف يخضع لقواعد تنظيمية مثل بنائها في الأراضي المملوكة لأصحابها، أو بإذن أصحابها[3].

لقد كان المغاربة يقومون ببناء بيوتهم (دورهم)، بكثير من المواد مثل الطابية أو الآجر، وبالجص والرخام أو بالحجارة عند انعدام التراب[4]، وكانت هذه البيوت الريفية ذات أشكال مربعة، وبها مدخل واحد تتصل بغرفة تحاذيها ثلاث غرف داخلية في باقي الواجهات الداخلية، ويوجد درج يؤدي إلى الطابق الأول الذي هو صورة طبق الأصل للطابق السفلي[5].

---

[1] _ ابن خلدون: **المقدمة**، ص: 97.

[2] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 116.

[3] _ الفرسطائي: **القسمة وأصول الأراضين**، 4/ 195.

[4] _ يحي أبو المعاطي: **الملكيات الزراعية**، 2/ 853.

[5] _ **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

وكانت هذه البيوت تحتوي على بعض الأثاث، وكان السكان يستخدمون في فصل الشتاء الحطب للتدفئة، كما يستعملون للإضاءة السراج[1]، كما كانت في كل دار مطمورة[2] أو مطمورتان وثلاثة وأربعة منقورة في الحجر[3]، ومن الأدلة الواضحة على تملك سكان الريف للدور والبيوت[4] هو حريتهم المطلقة في بيعها[5]، أو كرائها، أو هبتها[6]، أو تحبيسها، أو توريثها[7]، أو رهنها[8].

من المرجح أن هذه البيوت الريفية كانت للفلاحين من ذوي المستوى المعيشي الجيد، أما المناطق الريفية البعيدة حيث يعيش الفلاحون الفقراء، فقد كانت تسودها الأكواخ والأخصاص، فقد كان موضع بجاية قبل تخطيط المدينة عبارة عن"**أبيات من البربر قليلة**"[9]، كما كانت بزانة ناس ساكنون من البربر متخذين الخوص والأكواخ في وسط غابة واسعة الأطراف[10]، والملاحظ أن نمط العيش قد يتأثر حسب الظروف أو حسب طبيعة القبيلة، ثم إن الانتقال يتم شيئا فشيئا إلى الزراعة وخدمة الأرض، جزئيا ثم كليا، فيحل الكوخ أحيانا محل الخيمة[11].

والواقع أن الاستقرار في الأرياف الجبلية واتخاذ الأكواخ هي ظاهرة مارسها السكان منذ القدم، وبعد زحف القبائل الهلالية هجر الناس أكواخهم في البداية، وأصبحت السهول مغطاة بالخيام قبل أن تحصل التسوية بين الطرفين[12]، ونتيجة لسيطرة هذه القبائل على فضاءات

---

1 _ المقري: **المصدر السابق**، 3/ 489.

2 _ المازوني: **الدرر**، ورقة 21و.

3 _ الهادي روجي إدرسي: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 211.

4 _ التادلي: **التشوف**، ص: 302، المازوني: **المصدر السابق**، ورقة 12ظ..

5 _ **المصدر نفسه**، ورقة 38ظ، **فتوى السيوري**: الونشريسي: **المعيار**، 8/ 271.

6 _ ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: 48.

7 _ **المصدر نفسه**، ص: 47.

8 _ **فتوى المازري**: البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 4/ 280.

9 _ الحموي: **معجم البلدان**، 1/ 403.

10 _ البكري: **المغرب**، ص: 54.

11 _ برنشفيك: **تاريخ إفريقية**، 2/ 108.

12 _ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 213.

ريفية واسعة، الأمر الذي أدى إلى بروز تجمعات عمرانية محصنة معروفة باسم القصور[1]، والتي عرفت بأسماء من اختطها أو جددها بعد طرد العناصر الزناتية والمكناسية منها[2].

2_ المسجـــــد

يعتبر المسجد من أهم المرافق العمرانية في الريف والمدينة على السواء، وقد أوجب الشرع على بناء المسجد للجماعة وللجمعة في كل قرية[3]، والملاحظ أن هناك من القرى من كانت تشترك في مسجد واحد، بسبب قربها من بعضها البعض، أو تنشأ في كل قرية مسجد أو عدد من المساجد نتيجة للنمو السكاني[4].

والملاحظ على بعض مناطق ريف المغرب الأوسط، من كان لصلحائها مسجد خاص به، فقد كان لأبي زكريا يحي بن عبد الله الهواري المغيلي مسجدا به داره[5]، هذا وقد كانت المساجد في الريف تؤدي الكثير من المهام ؛ زيادة على الصلاة مثل التدريس[6] والفصل في بعض القضايا التي تهم الفلاحين وفقا لأحكام الشرع الإسلامي، ولعل ذكرنا في بعض الصفحات من هذه المذكرة لتعليم الفقهاء، والنظر في حل النزاعات الأسرية، وسائر الفتاوى التي تعرض على فقهاء الريف، خير دليل على هذا.

ومن الأدلة الواضحة على عناية سكان الريف ببناء المساجد هو تحبيس الأراضي خصيصا لهذا الغرض[7]، كما حرص هؤلاء السكان على تأجير الإمام سواء لصلاة التراويح، أو الجمعة[8]، بالإضافة إلى قيام سكان الريف بتجديد المساجد أثناء تعرضها للتخريب[9]، سواء من السيول أو الحروب،...إلخ.

---

[1] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 132.

[2] _ **المصدر نفسه**، 7/ 64.

[3] _ العقباني: **تحفة الناظر**، ص: 57، الدرعي: **الأجوبة الناصرية**، 43 و.

[4] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 1/ 1009.

[5] _ التادلي: **التشوف**، ص: 302.

[6] _ النويري: **نهاية الأرب**، ص: 153، ابن أبي زرع: **روض القرطاس**، ص: 173.

[7] **_ فتوى عياض**: الونشريسي: **المعيار**، 7/ 62.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص ص: 153_ 154.

[9] _ ابن رشد: **الفتاوى**، 1/ 223.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن النوازل التي عرضت بشأن اختيار أماكن المساجد وإقامتها في القرى من جهة، واهتمام أهل الأرياف والبوادي بالمحافظة على دينهم واتباع سنة نبيهم بشأن الوضوء، النوافل، الصلاة، الطهارة،...إلخ[1]، خير دليل على ذلك، وبالرغم من أن كتب الجغرافيا والرحلات لم تقدم لنا أية إشارة على وجود المساجد في قرى ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، غير أنها كانت موجودة بكثرة وربما لأن الجغرافيين نظروا إليها بأنها عادية بسيطة جدا فلا داعي إلى ذكرها أصلا.

المطلب الثالث: الملابس بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

لا توجد لدينا المعلومات الكافية عن طبيعة اللباس الذي كان يرتديه سكان ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م، والملاحظ أنه كان لباسا بسيطا يتلاءم مع بساطة العيش التي كان يحياها أغلب سكان الأرياف، كما أن المستوى المعيشي يلعب دورا كبيرا في نوع اللباس وكذلك البيئة الطبيعية، فسكان المناطق الجبلية يحتاجون إلى ملابس صوفية تقيهم قرّ البرد، أما سكان الواحات والتخوم الشمالية ذات الحرارة المرتفعة فيرتدون الألبسة الخفيفة.

ونظرا لثراء ريف المغرب الأوسط بمختلف المواد الأولية، من صوف وجلود وكتان وقطن، فبدون شك أن الإنسان الريفي قد استخدمها في صنع ألبسته خلال هذه الفترة، فقد كان أهل برشك يشتغل معظمهم بحياكة الأقمشة، وتنتج باديتها الكثير من الكتان[2]، وبدون شك أن هذا الأمر قد أسهم في توفير الملابس الكتانية.

وكان أهل هنين في القديم يعملون في القطن والمنسوجات[3]، وكذلك أهل ندرومة[4]، كما كان أهل جبل زواوة صناعا ينسجون القماش، ويعيشون في الجبال والتلال[5]، وإن كانت هذه

---

[1] _ الدرعي: **المصدر السابق**، 43 و.

[2] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 2/ 32.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 14.

[4] _ **المصدر نفسه**، ص: 13، مارمول: **إفريقيا**، 2/ 295.

[5] _ الوزان: **وصف إفريقيا**، 1/ 93.

الفترة التي يتحدث عنها الوزان متأخرة بعض الشيء، إلا أن البيئة الطبيعية والمناخ لم يتغيرا كثيرا، فالراجح أن هذا النوع من الألبسة كانت متوفرة خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

والملاحظ أن تواجد القبائل العربية في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، قد أثّرت على البربر في طريقة لباسهم ونوعيته[1]، وكانت ملابس هؤلاء تشبه ملابس أهل البادية في العصر الحديث[2].

يذكر ابن خلدون بأن أكثر لباس العامة من الصوف، ويفرغون عليها البرانس الكحل[3]، والمرجح أن هذا في الشتاء لأنه من المستحيل ارتداء ثياب الصوف في الصيف، لذلك فقد كان سكان الريف يرتدون في فصل الصيف "**الكساء**"[4]، وعموما فملابس أهل الريف كانت متميزة، فيذكر مقديش بأنهم كانوا يرتدون ثياب الصوف ويضعون جلموسا غليظا على الرأس، وحزاما تلمسانيا وعمامات بيضاء[5]، بالرغم من أن ابن خلدون ذكر بأن العامة كانت رؤوسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق[6].

ومن الطبيعي أن يختلف الرجال في لباسهم عن النساء، في الأرياف والمدن على السواء، فبالنسبة للباس **المرأة الريفية؛** فبالرغم من قلة الإشارة إليه ولا حتى للزينة التي كانت ترتديها، ماعدا بعض النوازل الفقهية التي أشارت إليها بشأن المرأة المغربية عموما، ولا شك أن تشابه البيئات والاحتكاك، يرجح أن المرأة الريفية قد ارتدتها.

لقد ارتدت المرأة الريفية؛ القميص والسروال والعباءة، وكذلك القطيفة في الفترات الباردة[7]، بالإضافة إلى الأحذية والجوارب الصوفية[8]، ومن المؤكد أنها ارتدت كذلك الألبسة

---

[1] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 116، أبو الضيف: **القبائل العربية**، ص: 242.

[2] _ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 209.

[3] _ **العبر**، 6/ 116.

[4] _ الونشريسي: **المعيار**، 5/ 167.

[5] _ مقديش: **المرجع السابق**، 1/ 11.

[6] _ **المصدر السابق**، الصفحة نفسها.

[7] _ الونشريسي: **المعيار**، 3/ 100، 116، 249، 406.

[8] _ **المصدر نفسه**، 6/ 420.

القطنية والكتانية وحتى الحريرية، وكن في الغالب سافرات الوجوه[1]، نتيجة لطبيعة الحياة اليومية الريفية التي كانت تقتضي عليها ذلك.

وبالنسبة للمرأة الصوفية؛ فعلى غرار جميع المتصوفة فقد كانت ترتدي الألبسة الصوفية، فهذه أمية بنت يغروسن التي تابت على يد عبد السلام التونسي، كانت تلبس خمار صوف وجبة صوف بتلمسان[2].

أما **الرجال؛** فكانوا يرتدون في العادة الجبة[3] التي تلبس عادة تحت الجلابية والعباءة[4]، والكساء وقلنسوة صوف[5]، كما ارتدى الرجل المغربي كذلك الغفارة والمحشو والقميص والسراويلات[6]، كما ارتدى سكان البوادي أيضا العمامة[7].

إن هذا التنوع في الألبسة التي كان يرتديها سكان ريف المغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، يفنّد ما قاله الهادي روجي إدريس؛ بأن أهل الأرياف والبوادي كانوا يجهلون الملابس المصنوعة، ويقصرون على قطعة قماش غليظة تسمى تليس[8]، لأنه من غير الممكن أن تكون هذه المجتمعات المنظمة تنظيما اقتصاديا واجتماعيا، وقد تناولتها سابقا وهي لا تعرف الألبسة أو لا تتفنن في صنعها.

- **وسائــــل الزينـــــة**

بدون شك أن سكان ريف المغرب الأوسط قد استعملوا وسائل ومواد للزينة، سواء من قبل المرأة أو الرجل، فبالنسبة **للمرأة** فقد كانت تتزين بأنواع من الحلي الذهبية والفضية، لا سيما في المناسبات وتمثلت هذه الحلي في العقود والأساور والأقراط والخلاخل[9]، **أما الرجال**

[1] _ الونشريسي: **المصدر السابق،** 11/ 193.
[2] _ التادلي: **التشوف،** ص: 112.
[3] _ الونشريسي: **المصدر السابق،** 10/ 258، 11/ 27.
[4] _ بوتشيش: **المغرب والأندلس،** ص: 106.
[5] _ الدباغ: **معالم الإيمان،** 1/ 195.
[6] _ الونشريسي: **المصدر السابق،** 3/ 122، 10/ 258، البرزلي: **جامع مسائل الأحكام،** 2/ 233.
[7] _ البرزلي: **المصدر السابق،** 2/ 233.
[8] _ **الدولة الصنهاجية،** 2/ 209.
[9] _ الونشريسي: **المصدر السابق،** 6/ 330.

فربما حرصوا في بعض الأحيان، على تخضيب اللحية البيضاء بالحناء الحمراء أو الصفراء[1].

وفي إطار العلاقة المتبادلة والدائمة بين المدينة والريف، واستمرار التأثير والتأثر بين الطرفين، فمن الممكن أن يكون هناك تشابه في اللباس إلى حد بعيد، ما بين سكان المدن والأرياف خصوصا الطبقة الميسورة من أهل الريف، لكن هذا لا ينفي وجود خصوصيات في اللباس، تميز بها سكان الريف عن غيرهم.

خلاصة القول، فإن سكان ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، قد ارتدوا ثيابا مختلفة بما يتوافق وطبيعة بلادهم الباردة والحارة، إلا أنها لم تختلف كثيرا عن اللباس الذي كان يرتديه معظم سكان المغرب الإسلامي.

المطلب الرابع: الوضع الصحي بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

يعتبر الوضع الصحي من المؤشرات الهامة لمعرفة المستوى المعيشي للسكان في أية بقعة من الأرض، سواء كانت مدينة أو ريف وبالرغم من أننا لا نملك معلومات كثيرة عن الوضع الصحي بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، لشح المادة العلمية في هذا الموضوع، إلا أننا حولنا استخلاص بعض الشذرات من هذا المصدر وذاك.

والواقع أن الوضع الصحي لأية منطقة له علاقة وطيدة بطبيعة هوائها من جهة، وكذلك بالأغذية التي يتناولها السكان، بالإضافة إلى أسباب أخرى كالحشرات والحيوانات السامة والمجاعات والأوبئة، وإن كانت هذه الأخيرة في الغالب مؤقتة وإن طالت مدتها، وقد عالجنا هذه النقطة الأخيرة في المبحث الخاص بالعوامل المؤثرة على المجتمع الريفي.

---

[1] _ عياض: **ترتيب المدارك**، 3/ 93، 100، جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص:56.

يعتبر الهواء من بين الأسباب الهامة التي كانت تؤثر على سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، فيذكر البكري[1] بشأن مرسى الخرز بأنها "**فاسدة الهواء يمتاز أهلها من غيرهم بصفرة ألوانهم**"، وكذلك بونة "**يصح بها السودان ويسقم البيضان**"[2]، ومن المناطق التي اشتهرت بهوائها الفاسد كذلك نجد تنس التي كانت وبيّة "**ومن يدخلها لا يسلم من المرض، وكثيرا ما يموت بها الغرباء**"[3].

وبالرغم من أن هذه الإشارات مقترنة بالمدن، لكن الهواء ليس شيئا ثابتا، وإنما ينتقل من منطقة الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض، فبدون شك أن المناطق الريفية القريبة من هذه المدن كانت هي الأخرى رديئة وتؤثر على السكان فيصابون بالأمراض، وكثيرا ما نجد الهواء الرديء يؤثر بدوره على عناصر الحياة الأخرى التي لا تقل أهمية عن الهواء، ولعل أهمها هو الماء إذ يذكر القزويني[4] عن تنس أن "**هواءها وبي وماءها ردي**" وكذلك كانت بلاد أريغ "**رديئة الهواء وقلة طيب الماء**"، لذلك كان الشيخ أبو عبد الله يخرج بتلاميذه إلى وادي مزاب لتقوية أجسادهم و استصحاحها[5].

لقد شكلت الأمراض وكيفية علاجها والتعامل مع المريض، من انشغالات الفقهاء في نوازلهم[6]، والسكان على السواء ولعل إشارة المصادر لكيفية استخدام بعض الأعشاب من قبل سكان الريف خلال هذه الفترة، دليل واضح على أن هؤلاء قد بلغوا درجة لا بأس بها في علاج المرض آنذاك، وكانت هذه الأعشاب تنمو في المناطق الجبلية للمغرب الأوسط والتي مصدرها الريف بالأساس.

يذكر الإدريسي أنه ببلاد القلعة؛ جبل يسمى **تاقربست،** به الكثير من نبات **القوليون الحرافي،** وكان السكان يشربون هذه النبتة للتحصن من لسع العقارب السود القاتلة[7]، كما

---

[1] _ **المغرب**، ص: 55.

[2] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[3] _ مجهول: **الإستبصار**، ص: 133، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 138.

[4] _ **المصدر السابق**، ص: 173.

[5] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 1/ 184.

[6] _ **فتوى ابن أبي زيد**: الونشريسي: **المعيار**، 1/ 302.

[7] _ **نزهة المشتاق**، ص: 156، أنظر أيضا: الحميري: **المصدر السابق**، ص: 169.

كان بجبل ميسون بشمال بجاية، به جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب، مثل شجر **الحضض**، **والسقولوفندوريون والبارباريس والقنطاريون الكبير والزراوند**، **والقسطون والأفسنتين** أيضا، وغير ذلك من الحشائش[1]، ومن المؤكد أن سكان الريف كانوا يعرفون تصنيع الأدوية من مستخلصات هذه النباتات.

ومن جهته صاحب كتاب الاستبصار[2] يذكر بأن:<<**مليانة قريبة من أشير وهي حصينة، في سفح جبل نكار وشعراء هذا الجبل كلها ريحان**>>، كما كانت بالطريق الرابطة بين أشير ومرسى الدجاج تمر قربه شعبة، ثم من فج يمتد خلفه سهل فسيح تلتقط في أرضه جذور الغرديب، وهي مادة مخدرة تصدر إلى بعيد[3]، وربما هي الكافورية التي ينتفع بجذورها[4]، ونجد أن الحلفاء أيضا كانت تستعمل لعلاج بعض الأمراض[5]، كما استعمل المغاربة النبق لمداواة الإسهال الشديد والذي يعرف بمرض **الزرب**[6].

هذا وقد زخرت المناطق الريفية بأعشاب طبية أخرى مثل النبات المسمى "**آطربلال**"، المتواجد بأعمال بجاية بالمغرب الأوسط، وكان يستعمل لعلاج البهق[7]، أما بزر هذه الحشيشة فتستعمل في علاج البرص[8]، أما نبات **الأرجنقة** والمسمى عند الصباغين **بالأرجيقن**، وكان ينبت بأحواز بجاية وسطيف، وكانت هذه النبتة تذهب اليرقان مطبوخا بالزبيب والعسل[9].

ومن النباتات الطبية أيضا نجد **تاكوت**، وأهل المغرب يسمونه حب الأثل وكان متواجدا

---

[1] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص ص: 160_ 161، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 80.

[2] _ مجهول: ص: 176.

[3] _ الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية**، 2/ 96.

[4] _ محمد الطمار: **المرجع السابق**، ص: 153.

[5] _ جودت عبد الكريم: **المرجع السابق**، ص: 55.

[6] _ ابن قنفذ: **أنس الفقير**، ص: 133.

[7] _ ابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية**، 1/ 6.

[8] _ **المصدر نفسه**، ص: 7.

[9] _ **المصدر نفسه**، ص: 9.

بالمغرب الأوسط[1]، و**تامساورت** ويسمى **بالمو** أو **كمون الجبل**، كان متواجدا ببجاية[2]، وكما أشرنا في المبحث الخاص بالحرف عن تواجد معدن اللازورد والإثمد بالريف، وكان أهل المغرب يكتحلون بحجر اللازورد، وهو يسقط الثآليل حملا وحكا[3].

كما كان حجر الإثمد وهو الكحل الأسود، وينفع العين اكتحالا ويقوي أعصابها ويمنع عنها الكثير من الآفات والأوجاع، سيما الشيوخ والعجائز، وينفع من حرق النار ويقطع النزف ويمنع الرهاف[4]، وهذا العرض العام يؤكد مرة أخرى على أن سكان ريف المغرب الأوسط كانوا على درجة كبيرة من التطور والرقي، وكانوا يغطون حاجاتهم الذاتية بمنتجات الريف وبما تجود به الطبيعة من مختلف المنتوجات.

المبحث الخامس: العادات والتقاليد بريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المطلب الأول: الأخلاق والطبائع.

لقد تمخض عن طبيعة الحياة التي كانت تعيشها المجتمعات الريفية في قمم الجبال وبعض الواحات الصحراوية، بروز مجموعة من القيم والأعراف القبلية التي تتلاءم وطبائع هؤلاء السكان، ولا مناص أن للبيئة الطبيعية الدور الكبير في تحديد هذه القيم، والحديث عن العادات والتقاليد في هذا المبحث سيتم في إطار الامتزاج بين الجنسين العربي والبربري، بالرغم من حدوث التنافر بين الطرفين في البداية، ومن بين الأخلاق والعوائد التي جبل عليها سكان ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، نجد:

---

1 _ **المصدر نفسه**، ص: 183.

2 _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها .

3 _ ابن الوردي: **خريدة الغرائب**، ص: 90.

4 _ **المصدر نفسه**، ص: 91.

1_ رفض الخضوع لسيطرة الأجنبي:

يمتاز سكان ريف المغرب الأوسط بحبهم للحرية، ولعل حبهم الشديد للحرية هو الذي جعلهم يأبون الخضوع للاحتلال الأجنبي (الرومان، الوندال، البيزنطيون والعرب الفاتحون في البداية)، ولعل حبهم للحرية جعل البعض يخيل إليه أن تاريخ البربر هو تاريخ القسوة والدم والخيانة[1].

والملاحظ أن طبيعة التضاريس هي التي غذت النزعة الاستقلالية لسكان هذه البلاد، فبلاد القبائل والأوراس مثلا ساعدتها التضاريس الوعرة على تكوين مجموعات بشرية لها خصائصها الذاتية وحبها للحرية والاستقلال، وكانت غيورة دائما على تلك الحرية الخالصة، التي جعلتها دائما تتمتع بالاستقلال الذاتي في تسيير شؤونها الداخلية، سواء تعلق الأمر بالقبائل البربرية أو العربية بعد الهجرة الهلالية[2].

2_ الخشونـــــة والقســـــوة

الواقع أن شيوع الحياة العشائرية في الجبال الريفية للمغرب الأوسط، جعل العلاقات الاجتماعية تتصف بالخشونة والقسوة، وتتميز بالعداء والتناحر، وهذه الصفات ذكرها الحجاج الكتاميون للداعي الشيعي حين قالوا:<<**يحارب بعضنا بعضا ثم نصطلح بعد القتال**>>[3]، وكذلك كان حال باقي القبائل الريفية المتواجدة في كل من حصن بني زندوي[4]، والملاحظ أن هذه الشدة والخشونة تعبر عن الشجاعة والنخوة وحب الحرية.

وقد تضمن الخطاب الذي بعث به أبو يعقوب المنصور بن عبد المؤمن، إلى القبائل العربية ببلاد إفريقية لمعاونته على الجهاد في الأندلس، واصفا إياهم بالشهامة والزعامة،

---

[1] _ عويس: **الدولة الحمادية**، ص: 29.

[2] _ سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي، المنصور الموحدي(580_ 595هـ/ 1184_ 1199م)**، منشأة المعارف جلال حزي وشركاه، الإسكندرية، د_ت، 7/ 148.

[3] _ القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص: 37.

[4] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 168.

وأنهم السيف الماضي في نصر الدين وحمايته[1]، كما ساندت القبائل البربرية أيضا الدعوة الإسلامية، ولعل بروز عواهل عظام من هذه البلاد خير دليل على هذا.

3_ الأنفة ورفض الظلم ودفع المغارم

الملاحظ أن للبيئة الطبيعية ووعورة التضاريس أيضا، الدور الكبير في تغلغل قيم العزة والكرامة، بالإضافة إلى الأنفة ورفض الظلم، التي غرست في نفوس سكان ريف المغرب الأوسط ليس فقط خلال الفترة قيد الدراسة، وإنما عبر جميع الفترات التاريخية، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى تحلي سكان ريف المغرب الأوسط بالأنفة ورفض الظلم ودفع المغارم، مثل أهل جزائر بني مزغناي الذين كانت لهم "**حرمة مانعة**"[2]، وكذلك أهل بني زندوي وحصن بلزمة كانوا في منعة وتحصن، ولهم خلاف كثير على الولاة بسبب منعة جبلهم[3]، والملاحظ أن هذه التضاريس هي التي جعلتهم جفاة عصاة لا يؤدون الغرائم إلى الدولة، إلا تحت التهديد والإرغام.

كما نجد هذه الصفات متغلغلة أيضا لدى سكان جبال الرحمن[4]، وجبال كتامة[5]، وجبال الأوراس[6]، وأهل جبل العنصل[7]، كما كان من أهل وهران " **دهاقنة وعزة أنفس ونخوة** "[8]، وكانوا موصوفين كذلك بعظم الخلق والقامة والإباء والشدة[9]، وهذه الإشارات جميعا دليل على أن معظم الأرياف كانت شبه مستقلة أو تامة الاستقلال عن السلطة المركزية.

4_ العصبيـــة والإجـــــارة

للعصبية دور كبير في تماسك المجتمع الريفي والبدوي، والتي كانت تتقوى أكثر كلما ازدادت البداوة، والملاحظ على القبائل البربرية والعربية أنها كانت تستند كثيرا إلى روح

---

[1] _ ابن صاحب الصلاة: **المصدر السابق**، ص: 411.

[2] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 159.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص، ص: 168، 170، الحميري: **الروض المعطار**، ص، ص: 169، 103.

[4] _ ابن سعيد: **كتاب الجغرافيا**، ص: 142.

[5] _ ابن خلدون: **العبر**، 6/ 148.

[6] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص، ص: 165، 178، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 65.

[7] _ مجهول: **الاستبصار**، ص: 166.

[8] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 153.

[9] _ مجهول: **الاستبصار**، ص: 135، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 613.

العصبية، التي تسيطر على عقليتهم وحركاتهم والتاريخ السياسي لقبائل المغرب عامة، والأوسط على الخصوص لا تحيد عن هذه القاعدة[1].

والملاحظ أن الأسطغرافيا التاريخية تشهد على تكتل القبائل والسكان الريفيين من إجارة من تعصب إليهم، فيذكر البكري أنه:<<**إذا كانت الحرب بين العرب والمولدين، استمد العرب بعرب تهودة وسطيف، واستمد المولدون بأهل بسكرة وما والاها**>>[2]، وكذلك عندما <<**حاصرت بعض القبائل وهران،...فخرج بنو مسقن ليلا واستجاروا بأزداجة، وأجاروهم وتغلبوا على أهل مدينة وهران** >>[3].

كما نجد تعصب القبائل مع بعضها البعض ضد أي غزو خارجي، فلما زحف عبد المؤمن بن علي إلى بجاية وفرّ يحي بن العزيز بالله الصنهاجي، إلى صقلية جمعت صنهاجة جموعها وحشودها من القبائل المجاورة (كتامة ولواتة)، واتجهت إلى حرب عبد المؤمن ولكنهم هزموا[4].

والملاحظ على سكان ريف المغرب الأوسط، كانوا يتولون حماية من يجيرهم ولو على أنفسهم؛ فلما لجأ أبو الفهم إلى بني إبراهيم، وهم ناس من كتامة رفضوا تسليمه إلى المنصور[5]، وهذا دليل واضح عن مدى تشبثهم بحماية الأجير مهما كان الثمن في حمايته.

5_ التحالـــــف

لقد كان للأوضاع السياسية والعسكرية المتأزمة، التي عاشتها أرياف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، والتي كانت غالبيتها نتيجة للصراعات القبلية إلى تحالف

---

1 _ محمد الطمار: **المرجع السابق**، ص ص: 44_ 45.

2 _ **المغرب**، ص: 51.

3 _ **المصدر نفسه**، ص: 70.

4 _ عبد الله علي علام: **المرجع السابق**، ص: 205.

5 _ النويري: **نهاية الأرب**، ص: 301.

القبائل مع بعضها البعض ضد السلطة الحاكمة تارة، وضد بعضها البعض تارة أخرى، وضد القبائل العربية أحيانا وحتى مع القبائل العربية ضد القبائل البربرية أحيانا أخرى[1].

ولعل هذا يؤكد خوف هذه القبائل وتلك على مصالحها، خصوصا إذا علمنا أن هذه الأرياف كانت مسرحا لهذه الصراعات، وهذه التحالفات كثيرا ما كانت تقوي شوكة القبائل وسطوتها، خاصة في فترات ضعف السلط الحاكمة ونقص مجالات سيطرتها على الأرياف.

6_ الفروسيـــــة والشجاعـــة

كانت الفروسية والشجاعة من القيم البارزة لدى سكان المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وكانت هذه القيم لها علاقة وطيدة بظروف الحياة الريفية القاسية، لذلك فقد كانت ضرورية لتأمين معيشة هذه القبائل، كما كان لها الأثر البعيد في حروب العصبيات من جهة، وانتصار عصبية على أخرى من جهة ثانية، مثل انتصار عصبية صنهاجة على عصبية كتامة، وانتصار عصبية زناتة على عصبية صنهاجة فيما بعد.

لقد اشتهرت الكثير من قبائل ريف المغرب الأوسط بحبها للخيل، وامتطائها لها مثل قبيلة كتامة[2]، وكذلك قبيلة زناتة التي كانت غالبيتها تمتطي الخيل[3]، ولعل إشارتنا في المبحث الخاص بالثروة الحيوانية، لثراء معظم المناطق الريفية بالخيول، خير دليل على هذا.

7_ الكـــــرم والضيـــافـــة

لقد عمّت ظاهرة الكرم كامل بلاد المغرب، حتى قيل إن أهل البربر من سجلماسة إلى سوس وأغمات وفاس إلى نواحي بونة وقسنطينة وكتامة وسطيف ومسيلة، يضيفون المارة ويطعمون الطعام[4]، وهذه الشهادة دليل على تغلغل هذه القيمة الكريمة في أوساط المجتمعات الريفية المغاربية جميعا.

كما اشتهر سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بكرم الضيافة، والملاحظ أن من المناطق من بلغت المغالاة في إكرام الضيف، فلأهل كتامة كرم وبذل طعام لمن

---

[1] _ للتفصيل حول هذا الموضوع أكثر، انظر **الفصل التمهيدي**، العنصر **الخاص بالعوامل العسكرية** (الحروب)، المؤثرة على المجتمع الريفي خلال هذه الفترة، ص ص: 41_47.

[2] _ القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص ص: 35_ 36.

[3] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 158.

[4] _ ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص: 91.

قصدهم، أو نزل بأحدهم وهم أكرم الرجال للأضياف النازلين بهم، ولا تتم عندهم الكرامة البالغة إلا بمبيت أبنائهم مع الأضياف[1]، وبالرغم من هذا العمل الذميم ومحاربة الملوك لهم قصد الإقلاع عنه إلا أنهم لم يمتنعوا عن هذا الفعل المشين.

هذا وتذكرنا ملالة بمبدأي كرم الضيافة وحماية اللاجئ، الذين امتاز بهما سكان هذه الناحية، لأنها القرية التي نزل بها محمد بن تومرت، وقام بضيافته وحمايته من السلطان الحمادي المنصور بن الناصر؛ بنو ورياكل[2]، وبالرغم من أن المتصوفة والصلحاء كانوا يأكلون الطعام البسيط، إلا أنهم كانوا يكرمون الضيوف بطيب الطعام وأحسنه[3].

وتظل المناطق الصحراوية هي الرائدة في إكرام الضيوف بامتياز، فيختارون أجود الأغنام وأحسنها لإكرام الضيوف[4]، بل إن هناك من كان يعرف بكثرة ضيوفه من خلال جلود الشياه المنثورة، ولفائف القطن من كثرة الذبائح[5]، وهذ الإشارات جميعا دليل واضح على كرم الضيافة الذي امتاز به سكان ريف وبادية المغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

8_ الشـــرف وصـــون العـــرض

كان الشرف وحماية العرض وصونه من أجمل الطبائع التي جبل عليها سكان ريف المغرب الأوسط، ولعل إقدام تلك المرأة الريفية القادمة من نواحي باغاي، التي تعرضت للسبي إلى قتل نفسها لحماية شرفها وسمعة أسرتها[6]، خير دليل على اهتمام جداتنا بصون أعراضهن وشرفهن الذي يمثل تاج رؤوسهن الحقيقي.

وهذه الإشارة تفند ما قاله البعض بشأن فجور الفتيات قبل الزواج في بعض القبائل الرعوية البربرية التي يتغلغل فيها الإسلام، وكانت النساء في الحالات البالغة هن اللائي

---

[1] _ ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص: 92، الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 169، الحميري: **الروض المعطار**، ص ص: 71_ 72، القزويني: **المصدر السابق**، ص: 163.

[2] _ المراكشي: **المعجب**، ص: 248، النويري: **نهاية الأرب**، 24/ 153.

[3] _ التادلي: **التشوف**، ص: 331.

[4] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 1/ 198، أبو زكريا: **السير**، ص: 178.

[5] _ الدرجيني: **المصدر السابق**، ص: 188.

[6] _ البكري: **المغرب**، ص: ، مجهول: **الاستبصار**، ص ص: 169_ 170، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 77.

يذهبن مع بعضهن، متوسلات للدفاع عن مصالح القبيلة في الخارج[1]، لأن هذا الأمر يتنافى مع أخلاق القبائل وتعاليم الدين الإسلامي.

كما تحلى سكان الريف أيضا **بأخلاق كريمة أخرى**، مثل **العدل**؛ فقد كان سكان ترنانا من قبائل البرير ومطغرة، وهم أعدل من هناك من البربر[2]، وكان لأهل إفريقية(وهي كانت تشمل جزءا من المناطق الشرقية للجزائر)، لطف وأخلاق وهم من خفة روح وحلاوة نادرة، وهم أهل الطباع وكرم طباع[3]، وكان أهل تلمسان موسومين بالخير[4]، ومن الفضائل الإنسانية الكثيرة التي تحلى بها سكان أرياف المغرب الأوسط في هذه الفترة، الوفاء بالعهد والصبر على المكاره، والثبات في الشدائد، وبر الكبير وتوقير أهل العلم وبيع النفوس من أجل الله ونصرة دينه[5].

من هنا لست أدري كيف يقبل عاقل ما ذكره بعض الجغرافيين من أن كتامة "لا تتم عندهم الكرامة البالغة إلا بمبيت أبنائهم مع الأضياف"، فهذه من خيالات بعض الجغرافيين أو من الصراع القبلي الذي استقاه الجغرافي من القبيلة المعادية لكتامة.

خلاصة القول إن الأخلاق التي جبل عليها سكان أريافنا خلال الفترة قيد الدراسة كانت نتيجة لطبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية السائدة آنذاك، وكأية بقعة على سطح الأرض فهناك أخلاق كريمة وأخرى دنيئة(مع التحفظ بشأن هذا اللفظ بالذات)، لكن المؤكد أن الأخلاق السامية خصوصا بعد اندماج سكان الريف بالحياة الإسلامية وتغلغل هذا الدين الحنيف في جميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية...إلخ، قد أضفى خصوصية على السكان في تلك الفترة.

---

[1] _ برنشفيك: **تاريخ إفريقية**، 2/ 178_ 180.

[2] _ مجهول: **الاستبصار**، ص: 135.

[3] _ العمري: **مسالك الأبصار**، ص: 101.

[4] _الزهري: **كتاب الجغرافيا**، ص: 114. يحي بن خلدون: **المصدر السابق**، ص: 91، القلصادي، **رحلة**، ص: 95.

[5] _ عويس: **المرجع السابق**، ص: 31.

المطلب الثاني: العادات والتقاليد

لا توجد لدينا معلومات وفيرة حول العادات والتقاليد في ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، ولعل هذا النقص يعود إلى عزوف المصادر الجغرافية والمنقبية وكتب النوازل بمدنا بالمعلومات الكافية، إلا في القليل النادر جدا وما تمّت الإشارة إليه، فالغريب أنه كان متعلقا بالمدن أكثر من الأرياف والبوادي.

ويمكن حصر العادات التي اشتهر بها سكان ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6هـ/11و12م في:

1_ الميل إلى المغيبات وتصديق السحر والخرافات

يمتاز سكان ريف المغرب الأوسط بميلهم واعتقادهم بالمغيبات والسحر والكهانة، وعادة مثل هذه العقلية تكون سريعة الانقياد للزعماء والقادة الذين يعرفون استغلال هذا الضعف، مثل ثورة الكاهنة، دعوة أبي عبد الله الشيعي، دعوة محمد بن تومرت،...إلخ.

والملاحظ أن هذه المعتقدات الغيبية كثير ما كانت لها خلفية سوسيو_اقتصادية، ونسيج ثقافي ومناخ سياسي، إذ كانت هذه الخوارق وعمليات السحر، تعبر عن مواقف لتجاوز المشاكل والأزمات التي كانت تسود ذلك العصر[1]، ومن الأدلة على ميل سكان المغرب الأوسط وتصديقهم للكهانة والمغيبات أن أهل زناتة كانت لهم معرفة بالغة وحذق وكياسة، ويد جيدة في علم الكف، ولا توجد أمم أعلم منها في هذا الشأن[2].

كما كان أهل مرسى الخرز يمتازون بصفرة ألوانهم، ولا تكاد تخلو عنق أحد منهم من تميمة[3]، والمرجح أنهم وضعوا تلك التميمة من خلفية تصديقهم بوجود لعنة من مرض ما نزل بتلك البلاد.

إن ورود الكثير من الخرافات الطريفة التي نُسبت لسكان المغرب الأوسط، في المصادر التاريخية وخاصة الجغرافية منها؛ لأنها الأكثر احتكاكا بالعامة من الناس والتساؤل عنهم

---

[1] _ بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص: 111.

[2] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 158.

[3] _ البكري: **المغرب**، ص: 55.

وعن خوارقهم وعاداتهم وهذا شأن الجغرافيين عموما، دليل واضح على أنها كانت منتشرة بينهم، وصدّقها هؤلاء السكان أولا ومن نقل عنهم ثانيا، وإلا لما ذُكرت في تلك المصادر.

ومن هذه القصص الخرافية الطريفة؛ قصة الرجل المقتول في الطريق المؤدي إلى بسكرة في الجبل المعروف بـ"**زيغيزي**"، في وسط كهف ولايزال يقطر دما ، بالرغم من أنه قتل منذ زمن بعيد[1]، وعلى مقربة من تبسة جبل يعرف بـ"**الكتف**"، وفي أعلاه مغارة لا يقدر الوصول إليها لا من فوق الجبل ولا من تحته، ويقال إن فيها مالا عظيما وأن الطير إذا نزلت في تلك المغارة وطارت وسقطت منها دنانير كبار، من الذهب وهذا متعارف عليه في تلك البلاد[2].

والملاحظ أن هذه الخرافات كانت مستوحاة من حالة الفقر والفاقة التي كانت تعيشها بعض المناطق الريفية، خاصة أثناء الأزمات، ولعل الأمل والانتظار والرغبة في تحسين وضعهم الذي كان يدفع بهم إلى تصديق الخرافات أو حتى اختراعها ونشرها بين الناس.

ومن الخرافات أيضا أنه كان ببونة جبل به مسجد لا ينزل عليه من ذلك الثلج وإن عم الجبل كله[3]، ويوجد بين جيجل وبجاية موضع يسمى المنصورية عليه جبل عظيم ينبعث منه ماء في "**كل وقت من الأوقات المعهودة بالصلوات الخمس، ينبعث الماء هكذا ليلا ونهارا في أوقات الصلاة**"[4]، وهذه القصص جميعا تدل على سذاجة التفكير وبساطته لدى سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وهي ظاهرة عامة لأغلب بلاد المغرب والمشرق وغيرها من البلدان لما يستشري الجهل ويبتعد الناس عن العلم.

2_ حب الأولياء والإيمان بخوارقهم

من الصفات التي تميز بها سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، هي تعظيمهم للأولياء والإيمان بخوارقهم وإنشاء مزارات لهؤلاء والتبرك بهم، فقد كان ببجاية عدد لابأس به من الأولياء الصالحين والمتكلمين، حتى عرفت باسم مكة الصغيرة[5]، ومن الأدلة

---

[1] _ **المصدر نفسه**، ص: 53، مجهول: **الاستبصار**، ص: 178، الحميري: **الروض المعطار**، ص: 114.

[2] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 163، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 130.

[3] _ **المصدر نفسه**، ص: 115.

[4] _ مجهول: **المصدر السابق**، ص: 128، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 185.

[5] _ عويس: **المرجع السابق**، ص: 242.

على تصديق سكان الريف بخوارق الأولياء، كان بوادي ماسين بشمالي ندرومة حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به، وإذا سرق أحد فيه وأتى بفاحشة لم تتأخر عقوبته[1].

كما كان بناحية شرشال رباطات يجتمع إليها في كل عام خلق كثير[2]، وبتلمسان مسجد يقال له **مسجد الجدار** يقصده الناس للزيارة[3]، وبعد وفاة أبي مدين شعيب بالعباد أثناء توجهه إلى مراكش، أصبح هذا الموضع قبلة ومزارا[4]، بعدما دفن به هذا الولي الصالح مع انتشار ظاهرة التبرك بالصلحاء والأولياء إما رجاء في الاستشفاء أو لقضاء أغراض دنيوية أو التماسا للدعاء منهم[5].

ولم تخل المناطق الجنوبية هي الأخرى من تصديق الأولياء والصالحين وخوارقهم، فكان يُنسب للشيخ أبي عبد الله الكثير من الخوارق، مثل الزوبعة التي هبت بالكبش من البادية لإكرام ضيوفه[6]، وعودة البغلة إليه بعدما نفرت منه إلى بلاد أريغ[7]، واندفاع الجراد من ضيعته بعدما دعا عليه[8].

مما تقدم نخلص إلى أن الثقافة البسيطة، وانتشار الأمية وشيوعها، والحاجة والفاقة، في أوساط السكان الريفيين، جعلهم يلتفون حول الأولياء والصلحاء أحيانا، وحتى حول الكهان والمشعوذين، لأنهم كانوا ينتظرون منهم الخلاص ويرجون فيهم الملاذ الأخير من الظلم الجبائي المسلط عليهم، ثم لأنهم المناهضون الأقوياء للسلطة الحاكمة، والمنقذون في فترات القحط والجفاف في اعتقادهم.

---

[1] _ البكري: **المغرب**، ص: 80، مجهول: **المصدر السابق**، ص: 135، الحميري: **المصدر السابق**، ص: 576.

[2] _ البكري: **المصدر السابق**، ص: 82.

[3] _ القزويني: **المصدر السابق**، ص: 172.

[4] _ ابن قنفذ: **المصدر السابق**، ص ص: 101_ 103، البلوي: **تاج المفرق**، ص: 6.

[5] _ بوتشيش: **المغرب والأندلس**، ص: 113.

[6] _ الدرجيني: **طبقات المشايخ**، 2/ 198.

[7] _ **المصدر نفسه**، ص: 205.

[8] _ **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

3_ الأعياد

من المعروف أن المجتمع الريفي للمغرب الأوسط، هو مجتمع إسلامي وبالتالي أصبحت أغلب عاداته وتقاليده مستوحاة من هذا الدين، فإذا ثبت الهلال عند إحدى القرى خصوصا هلال رمضان أو شوال يبادر أهلها بإبقاء النار مشتعلة لإعلام القرى المجاورة بثبوت رؤية الهلال، غير أن أهل الفتوى من المغاربة لم يجيزوا ذلك، إلا بالاعتماد على عدلين محققين أو أكثر[1].

كما اهتم أهل القرى الريفية بصلاة العيدين، واختيار الأضحية المناسبة للذبح[2]، وحرصوا أيضا على الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، رغم عدم إجازة الفقهاء لذلك[3]، ربما لأنه من أعياد الشيعة، إلا أن العامة استمرت على الاحتفال به وغلبت الفقهاء في البقاء على ذلك الاحتفال حتى أيامنا هذه.

وبدون شك أن أهل الريف كانوا يحتفلون بميلاد الأطفال، وكانوا يقيمون العقيقة على شرفهم ويُطعم منها الأقارب والفقراء[4]، ومن الاحتفالات ختان الأولاد[5]، ومن المرجح أن هذه الاحتفالات مثلما هي اليوم تختلف باختلاف المستوى المعيشي للسكان ومكانتهم الاجتماعية.

ومن العادات التي اهتم بها سكان ريف المغرب الأوسط هي سابع الولادة[6] وسابع الميت حيث كانوا يصنعون الطعام للفقراء والأقارب، بالرغم من نبذ الفقهاء لهذه العادة واعتبارها من البدع[7]، والملاحظ أن إقامة الوليمة على روح الميت لا تزال إلى اليوم، ليس في السابع فحسب وإنما تقام في اليوم الأول والأسبوع الأول والثاني، وحتى يوم الأربعين، وتقوم نساء الميت بالخروج إلى المقبرة برفقة الجارات[8].

[1] _ الونشريسي: **المعيار**، 1/ 410_ 412.

[2] _ ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، 4/ 314_ 318، الونشريسي: **المصدر السابق**، 2/ 36_ 40، البرزلي: **جامع مسائل الأحكام**، 1/ 605، 610_ 611.

[3] _ **المصدر نفسه**، 11/ 278_ 279، 12/ 48_ 49.

[4] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 1/ 22.

[5] _ **المصدر نفسه**، 6/ 146_ 147.

[6] _ **المصدر نفسه**، 2/ 45، الدرعي: **الأجوبة الناصرية**، ورقة 64 و.

[7] _ الونشريسي: **المصدر السابق**، 1/ 317.

[8] _ **المصدر نفسه**، 6/ 420.

ومما اعتاده أهل المغرب الأوسط أيضا، هو إعطاء المعلمين شموعا في المولد[1]، وكذلك كان الفقراء يقومون بالتصفيق والرقص في الزوايا، وهو من الأمور التي طالما نهى عنها الفقهاء[2].

هذا وقد امتاز سكان الريف أيضا بمجموعة من العادات مثل تفضيل الذكور وتهميش الإناث خصوصا فيما يتعلق بالميراث[3]، بالإضافة إلى إلزام العرف للمرأة على الزواج من رجل لا تريده، وغصبها على البقاء معه وإن كان شيخا كبيرا وهي فتاة شابة[4]، كما يذكر البكري أنه من عادات بني ورسيقان من البربر، إذا أرادوا الحرب يقومون بذبح بقرة للشماريخ، وهم الشياطين اعتقادا منهم أنها ستقوم بنصرتهم في الحرب[5]، وهذا دليل واضح على تصديقهم بالسحر والشعوذة، ومن عادات أهل حصن بني زندوي أيضا أن صغيرهم وكبيرهم، كان لا يمشي من موضعه إلى موضع غيره، إلا وهو شاهر السلاح بالسيف والرمح والدرقة اللمطية[6].

المطلب الثالث: التسلية

لم تكن الحياة الريفية بالمغرب الأوسط خلال الفترة قيد الدراسة، تخل من مظاهر التسلية التي كان السكان يروّحون بها عن أنفسهم، ويخففون بها آلامهم في هذه الحياة، مثل المنتزهات التي يخرجون إليها للترفيه عن أنفسهم[7]، دون أن ننسى بأن الريف في حد ذاته هو منتزه كبير، بسبب وفرة الخضرة والجداول والوديان، فالسياحة في ربوعه وتبادل الزيارات بين العائلات خاصة العنصر النسوي منها من أنواع الترفيه.

---

[1] _ **المصدر نفسه**، 8/ 254_ 255.

[2] _ **المصدر نفسه**، 11/ 34.

[3] _ الونشريسي: **المعيار**، 154/9، 297/11.

[4] _ البكري: **المغرب**، ص ص: 183_184، الونشريسي: **المصدر السابق**، 46/2.

[5] _ **المصدر السابق**، ص: 189.

[6] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص: 168.

[7] _ الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ص، ص: 161، 192، الزهري: **الجغرافيا**، ص ص: 113_ 114، العمري: **المصدر السابق**، ص: 91، البلوي: **المصدر السابق**، ص ص: 9_ 12.

ومن المناظر التي كان السكان يروحون بها عن أنفسهم أيضا هي الورود والأزهار بمختلف أنواعها مثل الرياحين، والآس والورد والياسمين والنرجس والبنفسج[1]، كما تجدر الإشارة إلى أن سكان أرياف المغرب الأوسط كانوا يعرفون الفروسية[2]، والصيد بحكم أن الريف كان يزخر بمختلف أنواع الحيوانات مثل طيور الكركي والغرنوق والغزال والنعام،...إلخ، وقد تناولتها في الفصل الأول من هذه الدراسة.

أما فيما يتعلق بأطفال ريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 1و12م، فبدون شك فهم لم يختلفوا عن أطفال اليوم، فبحكم فطرة البراءة التي كان ولا يزال يتمتع بها كل طفل، سواء في الريف أو المدينة، فقد كانوا يفضلون اللعب والجري والمرح، وتقليد الكبار والجو العام السائد في مجتمعهم من خلال اللعب، ولعل ركوب أطفال صنهاجة على العيدان تشبها بالعساكر[3] خير دليل على ذلك.

كانت هذه نظرة عامة عن الحياة الريفية بالمغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، وبالرغم من قلة المادة الخبرية المتعلقة بها، إلا أن التشابه في البيئة الطبيعية، وحتى العادات والتقاليد لعموم المغرب الإسلامي؛ هو الذي جعلني أعمم بعض الحقائق بالرغم من بعض الخصوصيات التي تميزت بها كل منطقة وهو ما أشرت إليه في بعض المواضع من هذه المذكرة.

---

[1] _ العمري: **المصدر السابق**، ص: 88.

[2] _ الإدريسي: **المصدر السابق**، ص: 158، النويري: **نهاية الأرب**، ص: 88.

[3] _ النويري: **المصدر السابق**، ص: 87.

الخاتمة

أخيرا وبعد أن استقام عنوان هذا البحث وخطته مذكرة مقروءة، وبالرغم من قلة المادة الخبرية المتعلقة بريف المغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، في القرنين5و6ه/11و12م، خصوصا في الجانب الاجتماعي منه، إلا أنني توصلت إلى جملة من النتائج يمكن إبرازها فيما يلي:

كان لتضاريس ومناخ المغرب الأوسط الدور الكبير في التحكم في طبيعة النشاط الاقتصادي والاستقرار البشري، وبصفة أدق كانت هناك ازدواجية في نمط المعيشة بين بدو رحل ومزارعين مستقرين، وقد ركزت في هذه الدراسة بالذات على الحياة الريفية المرادفة للاستقرار في القرى، وممارسة النشاط الزراعي كنشاط أساسي إلى جانب ممارسة الرعي كنشاط مرتبط ومكمل للنشاط الأول.

وبالرغم من تقلب الحياة الاقتصادية في ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، نتيجة للظروف الطبيعية، والسياسية/العسكرية إلا أنه يمكن القول إن ريف المغرب الأوسط، قد عاش فترات رخاء وازدهار زراعي خصوصا في فترات الاستقرار، وبالضبط أثناء العهد الحمادي (عهد حماد والقائد وبلكين)، والموحدي (عهد عبد المؤمن بن علي والمنصور الموحدي).

ويظهر من كتب الجغرافيا والرحلات؛ أن اقتصاد ريف المغرب الأوسط قد عرف تطورا وتنوعا وازدهارا، في إنتاج المحاصيل الزراعية: قمح، تمور، زيتون،...إلخ، وكذلك من حيث الثروة الحيوانية: أبقار، أغنام، خيول ، ولعل هذا كان نتيجة لخصوبة التربة ووفرة المياه خاصة في المناطق الشمالية لبلادنا، وكذلك نتيجة للسياسة الرشيدة لبعض الحكام الذين أولوا عناية كبيرة بالريف وأهله.

هذه الوفرة في الحاصلات الزراعية ورؤوس المواشي، كانت المواد الأولية لقيام مجموعة من الحرف اليدوية والصناعات المرتبطة أساسا بهذه المواد، حيث تفنن فيها الإنسان الريفي خلال هذه الفترة، والتي لم يكن ليستغني عنها في حياته اليومية، فساهمت هذه الحرف إلى جانب المحاصيل والمنتوجات، في تنشيط الأسواق الريفية خصوصا في فترات الهدوء والاستقرار، لكن في فترات الاضطراب والفوضى، كثيرا ما شهدت الأرياف

تراجع النشاط التجاري الريفي، وظهر ذلك جليا بعد الهجرة الهلالية، مع ما صاحبه من إثقال كاهل السكان بالضرائب واشتطاطهم في فرضها عليهم.

والملاحظ أن القبيلة في المغرب الأوسط، قد شكلت تكتلا اقتصاديا واجتماعيا ونظمت العلاقات بين مختلف الأفراد، على المستوى الداخلي والخارجي، كما شكلت القاعدة الشعبية، ومصدر الطاقة البشرية المتجددة بريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12.

هذا وقد أضافت القبائل العربية لأرياف المغرب الأوسط، عناصر اجتماعية جديدة كانت نتاجا لاندماج العنصرين البربري والعربي، والتي أسهمت في تشكيل خارطة اجتماعية ريفية، وتنظيم النسيج الاجتماعي لأريافنا خلال هذه الفترة، كانت الأسرة هي نواة هذا التنظيم.

وبالرغم من تأثر المجتمع الريفي بمجموعة من العوامل الطبيعية كالقحط والجفاف، والبشرية كالحروب، والتي كانت تؤدي إلى حدوث المجاعات والأوبئة، ولجوء الناس إلى الهجرة خصوصا في فترات الاضرابات والقلاقل والفتن، غير أن الريف في هذين القرنين قد شهد استقرارا بشريا في كثير من المناطق الجبلية والسهلية، اتخذ سكانه أنماطا عدة لهذا الاستقرار، كانت أبرزها وأهمها القرى مع الاختلاف في حجمها بين الكبر والصغر، فكان السكان يقطنون بها في بيوت مبنية من الطين والحجارة، وكذلك من الخوص والشجر.

عاش سكان الريف في القرنين5و6هـ/11و12م، حياة عائلية سعيدة ومنظمة كان أساسها الأب والأم، نال خلالها الأبناء الحب والحنان وتلقوا التربية بما يتلاءم مع الشريعة الإسلامية السمحاء، والأعراف السائدة في المجتمعات القبلية، وكانت المرأة محورا أساسيا في بناء الأسرة والمجتمع الريفي آنذاك.

لقد كان سكان ريف المغرب الأوسط، حريصين على دينهم الإسلامي بدليل إقامة المساجد في معظم المناطق الريفية، إضافة إلى النفوذ والتوقير الذي كان يتمتع به الفقهاء وعلماء الدين عموما في الأوساط الريفية.

كما كان للثقافة الدينية البسيطة للسكان دورها في الالتفاف حول الأولياء والمتصوفة، الذين كانوا ذوي نفود يفوق حتى نفوذ الفقهاء أنفسهم، وما ساعدهم على ذلك هو الأوضاع

الاقتصادية المتردية التي عاشتها سكان الريف في بعض الفترات، إضافة إلى مناهضتهم للسلطة الحاكمة وهو ما عزز مكانتهم في الأوساط العامة من سكان الريف.

وبالنظر إلى الوضع الاقتصادي الذي عاشه ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، يمكن القول إن المستوى المعيشي لسكان الريف(تغذية، مسكن، لباس)، إضافة إلى الوضع الصحي، كانت كلها رهينة هذا الوضع الاقتصادي وتحسن الظروف الطبيعية والأوضاع السياسية/العسكرية، فعند استقرار هذه الأوضاع جميعا يتحسن المستوى المعيشي للسكان والعكس صحيح.

إن هذه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها سكان ريف المغرب الأوسط في القرنين5و6هـ/11و12م، إلى جانب تأثير البيئة الجغرافية، هي التي تحكمت في طبائع وأخلاق سكان الريف، والتي تراوحت بين قيم نبيلة: كالكرم والضيافة، صون العرض، حماية المستجير...إلخ، وقيم تسودها الخشونة والقسوة كالتحالف والعصبية والخشونة والقسوة،...إلخ.

إن بساطة العيش التي جبل عليها هؤلاء السكان هي التي جعلتهم يميلون إلى الغيبيات وتصديق الخوارق، وتبجيل الأولياء والتبرك بالمزارات، وأمام هذه الطبائع وتلك الحياة الريفية البسيطة، في طابعها الاقتصادي والاجتماعي؛ سادت في أوساط سكان ريف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة مجموعة من العادات والتقاليد كالاحتفال بالمناسبات الدينية (رمضان، عيد الفطر، عيد الأضحى، المولد النبوي الشريف)، وكذلك ختان الأطفال وإقامة الولائم والاحتفال مع الأقارب والجيران.

وللخروج من الحياة اليومية الرتيبة المملة، كثيرا ما كان أهل الريف يلجؤون إلى التسلية والتزاور، وتبادل أطراف الحديث بين الأقارب والأصدقاء والأحباب، وكذلك اللعب و التنزه.

هكذا بدا لي مجتمع ريف المغرب الأوسط في الفترة التي اخترتها لهذه الدراسة، وإني لأرجو أن يكون عملي هذا لبنة في إعادة بناء تاريخ المغرب الأوسط بالاعتماد على تاريخه الريفي الذي يشكل سكانه العمق الحقيقي للمجتمع ويشكل عملهم البعد الحقيقي للثروة في البلاد، والتي تمرغ فيها غيرهم وأعطت للمغرب الأوسط ذلك التألق الاقتصادي أو ذلك التدهورالاجتماعي.

الملاحق

ملحق رقم 01: أهم الأزمات التي عرفها المغرب الأوسط وإفريقية خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

408هـ/ 1017م: ارتفاع الأسعار بسبب الجراد والحروب.

411هـ/ 1020م: تدمير المحاصيل الزراعية بسبب الأعاصير.

413هـ/ 1022م، 425هـ/ 1033م، 430هـ/ 1038م، 483هـ/ 1090م: أعوام المجاعة بسبب الجفاف.

434هـ/ 1042م: الجفاف الذي عرفته المنطقة تسبب في أزمة اقتصادية واجتماعية.

447هـ/ 1055م: المجاعة والوباء الذين ظهرا بسبب الجفاف والحروب الصنهاجية.

469هـ/ 1076م، 491هـ/ 1097م، 512هـ/ 118م، 536هـ/ 1141م: أعوام لمجاعات وأوبئة حصدت الملايين من الضحايا.

537/ 1142م، 541هـ/ 1146م، 542هـ/ 1147م، 543هـ/ 1148م: أعوام لأزمات اقتصادية حادة دفعت بالسكان إلى الهروب والفرار إلى مناطق عديدة مثل صقلية.

(Allaoua Ammara: Retour à la problematique, P: 9).

ملحق رقم 02: جدول لأهم القرى الريفية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/ 11م، انطلاقا من البكري.

اسم القرية	الصفة	الموقع	الصفحة
قرية مسكيانة	/	على الطريق من القيروان إلى قلعة أبي الطويل، وهي على نهر.	50
حصن بلزمة لمزاتة	كثير القرى	على نفس الطريق.	50
قرية ملشون	/	إحدى قرى بسكرة.	52
قرى النهريين	قرى كثيرة في	على طريق الجناح الأخضر من بلاد كتامة	54

	فحص عريض في بساط من الأرض		
قرية الفهمين	بها سوق جامعة	بالقرب من جزيرة أبي حمامة، على خمسة مراحل من بونة.	54
قرية طربلة	أولية لا تعدل بها قرية	بشرقي مدينة الغدير، وهي على الطريق الرابط بين قلعة أبي طويل وتنس.	60
قرية سوق هوارة	/	على مرحلة من أشير	60
قرية سوق كرام	/	على نهر شلف بالقرب من مليانة	61
قرية مغيلة دلول	/	في أعلى جبل بالقرب من الغزة، وهو ساحل تاهرت.	69
قلعة هوارة(قلعة تاسقدالت)	لها ثمار ومزارع	قلعة في جبل وهي بالقرب من مستغانم، يجري تحتها نهر سيرات.	69
قرية بعمل وهران	/	قرب وهران	71
قرية تانسالمت (قرية لأزداجة)	بها سوق	على الطريق الرابط بين وهران والقيروان.	72
قرى بنطيوس	/	قرب بنطيوس	72
قرى تهودة	أزيد من 20 قرية	حول تهودة.	73
قلعة ابن الجاهل	قلعة منيعة، كثيرة الثمار والأنهار	جنوب تلمسان	77
قصر ابن سنان	/	على مرحلة من مدينة آسلن، على الطريق الرابط بين أرشقول والقيروان.	79

حصن ابن زينبي	/	على 6 أميال من إفكان.	80
حصن هنين	أكثر الحصون بساتين وضروب الثمر.	13 ميلا عن ندرومة.	80
حصن تاونت	حصن منيع، به بساتين وشجر كثير	على ساحل ترنانا.	80
قرية بير النثرة	/	بالقرب من مرسى بونة	83
7 قرى على وادي مقرة، منها قرية يكسم	/	بشرق المسيلة.	144

ملحق رقم 03: جدول لأهم القرى الريفية في المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/ 12م، انطلاقا من الإدريسي.

اسم القرية	الصفة	الموقع	الصفحة
قرية العلويين	كبيرة وعامرة	على الطريق من تلمسان وتنس، وهي على نهر.	151
قرية بابلوت	جليلة، كثيرة الأهل.	بالقرب من قرية العلويين، وهي على نهر أيضا.	151
قرية سني	/	بالقرب من قرية بابلوت، وهي على نهر.	151
رحل الصفاصف	عامر بأهله.	على نهر يأتي إفكان من جهة الشرق.	151

قرية المعسكر	قرية عظيمة	على مرحلة من إفكان.	152
قرية تانيت	/	على مرحلة من وهران.	153
قرية بنو وازلفن	قرية كبيرة	على مرحلة من تنس.	154
حصن كزناية	حصن أزلي	على مرحلة من مليانة.	155
قرية ريغة	لها أرض متسعة.	على مرحلة من سوق كزناية.	155
قرية ماورغة	قرية حسنة	على مرحلة من قرية ريغة.	155
حصن أشير	حصن حسن	على مرحلتين من قرية ماورغة.	155
قرية تادرة	/	في حضيض جبل، وهي على الطريق الرابط بين تلمسان والمسيلة.	157
قرية ندّاي	قرية صغيرة	على مرحلة من قرية تادرة.	157
قرية أعبر	قرية صغيرة	على مرحلة من تاهرت.	157
قرية دارست	قرية صغيرة	على مرحلة من قرية أعبر.	157
قرية ابن مجبر	قرية كبيرة	على مرحلة من مدينة ماما.	157
قرية سطيت	/	على مرحلة من أشير.	157
قرية هاز	مخربة	في فحص رمل على مرحلة من المسيلة.	157
حصن تاكلات	حصن منيع	على وادي بجاية.	163
حصن بكر	حصن حصين	يجري بجنوبه الوادي الكبير، وهو على الطريق الرابط بين بجاية والقلعة.	163
قرية القصر	/	على مرحلة من حصن وافو(وارفو).	163
قرية تاورت	قرية كبيرة وعامرة	على نهر ملح، بجنوب وادي بجاية.	163
قرية سوق الخميس	حصن في أعلى جبل.	على مرحلة من حصن الناظور، وهي على الطريق الرابط بين القلعة وبجاية.	163
قرية سوق الإثنين	قصرحصين	على الطريق بين القلعة وبجاية.	164

حصن تافلكنت	حصن صغير	بالقرب من القلعة.	164
حصن دار ملول	/	بينه وبين طبنة مرحلة كبيرة.	164
حصن بسكرة	حصن منيع	على مرحلتين من نقاوس.	165
حصن بادس	حصن عامر	على 4 أميال من المسيلة.	165
قرية بني خلف	/	على الطريق بين قسنطينة وبجاية.	167
حصن كلديس	/	على جرف مطل على نهر قسنطينة.	167
قرية سوق يوسف	/	على وادي شال، وهي على الطريق الرابط بين قسنطينة وبجاية.	168
حصن بني زندوي	بسيط، قليل الحصانة.	على مرحلة من قرية سوق يوسف.	168
حصن تالة	مخرب	على مرحلة من حصن بني زندوي.	168
قرية متوسة	قرية عامرة	على 12 ميلا من بجاية.	169
قرية القل	قرية عامرة	70 ميلا عن جيجل.	169
حصن سطيف	كبير وكثير الخلق.	جنوب بجاية.	169
حصن بلزمة	حصن لطيف.	بالقرب من قسنطينة.	170
حصن بشر	قلعة عامرة	من أعمال بسكرة، وهو على 4 أيام من بجاية.	171
قرية أرزاو	قرية كبيرة	على مسافة 32 ميلا من وهران.	171
قرية على حوض فروخ.	قرية عامرة	24 ميلا من مستغانم.	172
قرية هوز	قرية صغيرة	18 ميلا عن جزائر بني مزغناي.	173
قرية مسكيانة	قرية عامرة	على مرحلة من مجانة، وهي على الطريق	195

		الرابط بين القيروان وتاهرت.	
قرية البرذوان	قرية كبيرة	على مرحلة من قرية أزكو.	196
قرية النهريين	/	على مرحلة من قرية البرذوان.	196
قرية أوسحنت	/	على مرحلة من قرية النهريين.	196

ملحق رقم 04: جدول لأهم المحاصيل الزراعية لريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م.

المحاصيل الزراعية	مكان تواجدها	الكمية	المصدر
الحنطة	تامديت	/	البكري: المغرب، ص: 53.
	تنس	ممكنة جدا.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:153.
	المسيلة	/	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:156.
	القلعة	وفيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:156.
	أقاليم ماما	كثيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:157.
	برشك	كثيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:158.
	شرشال	ما تزيد عن الحاجة	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:159.

	الجزائر	/	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:159.
	مرسى الدجاج	مباركة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:159.
	بجاية	موجودة بكثرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص ص: 161_ 162.
	طبنة	/	الإدريسي: نزهة المشتاق،ص: 164.
	قسنطينة	/	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:166.
	بونة	كثيرة جدا.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:192.
	قصر الإفريقي	إصابات جمة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:196.
التمور	طبنة	كثيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:164.
	بسكرة	كثيرة، منها كل غريبة وطريفة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:165، مجهول: الاستبصار، ص:178.
	تهودة	كثيرة	مجهول: الاستبصار، ص: 179.

	أرض فجيج	كثيرة.	مجهول: الاستبصار، ص: 179.
	بادس	كثيرة.	مجهول: الاستبصار، ص: 180.
العنب	قرية بنو وازلفن، على نهر شلف.	وفيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:154.
	الخضراء	/	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:154.
	شرشال	/	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:159.
	القل	كثيرة	مجهول: الاستبصار، ص: 127.
	جيجل	كثيرة.	مجهول: الاستبصار، ص: 128.
	جبل العنصل	كثيرة.	مجهول: الاستبصار، ص: 166.
	قلعة هوارة	كثيرة.	مجهول: الاستبصار، ص: 177.

التين	إقليم مدينة باجة على مرحلة من سوق إبراهيم.	كثيرة جدا.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص: 152.
	مرسى الدجاج	وفيرة جدا.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص: 160.
	بجاية	تكفي لكثير من البلاد.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص: 161.
السفرجل	تنس	وفيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:153.
	الخضراء	وفيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:154.
	شرشال	وفيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:159.
	جبل العنصل	كثيرة، وسفرجلها جليل.	مجهول: الاستبصار، ص: 166.
	تاهرت	كثيرة.	مجهول: الاستبصار، ص: 177.
الجوز	تبسة	كبيرة.	البكري: المغرب، ص: 145، مجهول: الاستبصار، ص:

			.163
	نقاوس	كبيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص: 165، مجهول: الاستبصار، ص: 177.
	حصن سطيف	كبيرة.	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص:169.
	تلمسان	كثيرة.	مجهول: الاستبصار، ص: 181.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانيا: المصار المخطوطة

1_ الدرعي محمد بن ناصر: الأجوبة الناصرية في بعض مسائل البادية، جمعها عنه محمد بن قاسم الصنهاجي، مخطوط ضمن مجموع أوله مناقب أبو العباس أحمد بن جعفر السبتي الأندلسي، مكتبة جامع الملك سعود " قسم المخطوطات"، الرقم 7633 ف 1602/ 1، إسم الناسخ: أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن يعزى، عدد الأوراق 222 ورقة.

2_ القرافي بدر الدين المالكي بن أبي حمزة: توالي المنح في أسماء ثمار النخل ورتبه البلح، عدد الأوراق 3 ، الخزانة الحسينية الملكية، الرباط، ضمن مجموع رقم 7248.

3_ المازوني أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى المغيلي التلمساني(ت883هـ/1429م): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الجزائر، المجلد 2، الرقم 1336.

ثالثا: المصادر المطبوعة

1_ ابن أبي دينار أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت 1092هـ/ 1681م): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، نشر المكتبة العتيقة، تونس، 1961م.

2_ ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان(ت386هـ): النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، دار الغرب الإسلامي، د_ت، 14ج.

3_ ابن أبي زرع علي الفاسي(كان حيا سنة 729هـ/ 1328م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1973م.

4_ ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن أبي المكارم الجزري الشيباني(ت630هـ/ 1232م): الكامل في التاريخ، راجعه وحققه محمد يوسف الدقاق، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/ 1987م، ج5، ج6، ج7.

5_ الأدفوي كمال الدين أبو الفضل جعفر بن تغلب المصري(ت748هـ): الموفى لمعرفة التصوف والصوفي، حققه وقدم له وعلق عليه محمد عيسى صالحية، ط1، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/ 1988م.
6_ إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفا الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
7_ الإدريسي أبو عبد الله الشريف(ت548هـ/ 1154م): القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، د، م، ج، الجزائر، 1983م.
8_ الأصبحي أبو عبد الله مالك بن أنس(93_179هـ/ 711_ 795م): الموطأ، رواية يحي الليثي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1405هـ/ 1984م.
9_ الأصطخري أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(توفي بعد 340هـ/ 951م): مسالك والممالك، وهو معول كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي، مطبعة بريل، ليدن، 1927م.
10_ البرزلي أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت 841هـ/ 1483م): جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2002م، 7ج.
11_ ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي(ت779هـ/ 1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، تحقيق عبد الهادي التازي، ط1، المطبعة الأزهرية، مصر، 1346هـ/ 1928م، 2ج.
12_ البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي(ت487هـ/ 1404م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د_ت.
13_ البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى الغرناطي(ق8هـ/ 14 م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق _ **نسخة إلكترونية** _

14_ ابن البيطار ضياء الدين بن عبد الله بن أحمد المالقي(ت646هـ/ 1248م): الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ج1، ج2.
15_ البلاذري أبو الحسن أحمد بن جابر البغدادي(ت 279هـ/ 892م): فتوح البلدان، حققه وشرحه عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1957م.
16_ التادلي أبو يعقوب يوسف بن يحي المعروف بابن الزيات(ت617هـ/ 1220م): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط2، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1997م.
17_ تأليف جماعي: مجموع رسائل موحدية من كتاب الدولة المؤمنية، تحقيق ليفي برفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، رباط الفتح، الرباط، 1941م، ج10.
18_ ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن(ت874هـ): النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، القسم لخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق حسن نصار، مطبعة دار الكتب، 1970م.
19_ التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد (توفي حوالي 717هـ/ 1317م): رحلة التيجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981م.
20_ ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد(ولد سنة 540هـ/ 1145م): رحلة ابن جبير، ط2، مطبعة بريل، ليدن، 1907م.
21_ ابن الحاج النميري إبراهيم بن عبد الله الغرناطي(توفي بعد 774هـ/ 1372م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
22_ ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي(ت456هـ/ 1064م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، د_ت.
23_ ابن حماد أبو عبد الله بن علي الصنهاجي(ق6هـ/ 12م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول أحمد البدوي، م، و،وك، الجزائر، 1984م.

24_ الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت626هـ/ 1228م): معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ/ 1990م، 7ج.

25_ الحميري محمد بن عبد المنعم الصنهاجي(ق8هـ/ 14م): الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، ط1، 1975م، ط2، 1984م، مكتبة لبنان، بيروت.

26_ ابن حوقل أبو القاسم النصيبي(ت367هـ/ 977م): كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

27_ ابن الخطيب لسان الدين السلماني الغرناطي(ت776هـ/ 1374م): أعمال الأعلام (القسم المغربي)، طبع باسم: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

_ الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق البشير الفورتي، ط1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1320هـ/ 1911م.

29_ ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت808هـ/ 1405م): كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبطه خليل شحادة، راجعه سهيل زكار، دار الفكر لط، ن، ت، 1421هـ/ 2001م.

_ مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، د_ت، ج1.

_ شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق محمد مطيع الحافظ، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، دمشق، سورية، 1417هـ/ 1996م.

32_ ابن خلدون أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي الإشبيلي(ت780هـ/ 1378م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1400هـ/ 1980م، ج1.

33_ ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت681هـ/ 1282م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د_ت، 8ج.

34_ الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي(ت696هـ/1296م): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي(ت 839هـ): تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، محمد ماضور، مكتبة الخانجي، مصر، المكتبة العتيقة، تونس، 4ج، د_ت.
35_ الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد(توفي حوالي 670هـ/ 1272م): طبقات المشايخ بالمغرب، حققه وقام بطبعه الشيخ إبراهيم محمد طلاي، مكتبة التراث، الجزائر، د_ت.
36_ الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ/ 1347م): العبر في خبر من غبر، حققه وضبطه على مخطوطتين أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1405هـ/ 1985م، ج2، ج3.
37_ ابن رشد الجد أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي(ت520هـ/ 1126م): فتاوى بن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، 3ج.
38_ الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم(ت284هـ/ 897م): تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.
39_ الزركشي أبو عبد الله محمد بن إبراهيم(ق9هـ/ 15م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.
40_ الزهري أبو عبد الله بن أبي بكر(توفي أواسط ق6هـ/ 12م): كتاب الجغرافيا، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، الظاهر، د_ت.
41_ ابن سباهي زادة: أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرواخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2006م.
42_ سحنون بن سعيد التنوخي(ت290هـ/ 902م): المدونة الكبرى، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/ 1994م، 4ج.

43_ ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي المغربي(ت685هـ/ 1286م): كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي، ط1، منشورات المكتب التجاري لط، ن، ت، بيروت، 1970.

44_ السقطي أبو عبد الله محمد بن محمد المالقي(ت631هـ/ 1234م): كتاب في آداب الحسبة، نشر ليفي بروفنسال، جيم كولان، المطبعة الدولية، باريس، 1931م.

45_ ابن سهل أبو الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسري الجياني(ت486هـ): ديوان الأحكام الكبرى، أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام، تحقيق يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ/ 2007م.

46_ ابن صاحب الصلاة عبد الملك(ت594هـ/1197م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، حققه عبد الهادي التازي، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، 1383هـ/ 1964م، السفر الثاني.

47_ ابن الصغير المالكي(كان حيا أواخر ق 3هـ/ 9م): أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق إبراهيم بكير بحاز، محمد ناصر، دار الفنون الجميلة، الجزائر، 1985م.

48_ ابن عبدون محمد بن أحمد التجيبي(من أهل القرن 5هـ/ 11م): ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، اعتنى بتحقيقه ودراسته الفنية واللغوية والتاريخية والاجتماعية؛ ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، مج 2، د_ت.

49_ ابن عبد الحكم(ت257هـ/871م): فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د_ت،ج1.

50_ ابن عذاري أبو عبد الله محمد المراكشي(توفي بعد 712هـ/ 1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج، س، كولان، ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ج1، ج2، ج3.

_ الجزء 4: تحقيق إحسان عباس، ط3، بيروت، دار الثقافة، 1983م.

_ قسم الموحدين: تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، ط1، دار الثقافة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، 1406هـ/ 1985م.

53_ العقباني محمد بن أحمد بن قاسم التلمساني(ت860هـ/ 1455م): تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، Extrait du bulletin d' ètudes orientales de l' institut français de DAMAS, tome 19, 1967.

54_ علي الجزنائي(ت1350هـ/ 1931م): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ/ 1991م.

55_ ابن العوام أبو زكريا يحي بن أحمد الإشبيلي(ت 539هـ/ 1146م): كتاب الفلاحة، مدريد، 1802م.

56_ العمري شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله (ت749هـ/ 1349م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار والمعروف باسم الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقيا، تحقيق محمد عبد القادر خرساب وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، إ، ع، م، 2001م، السفر الرابع.

57_ الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد البجائي(ت704هـ/ 1304م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م.

58_ أبو الفدا الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد صاحب حماه(ت732هـ): تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود والبارون ديسلان ماك كوكين، دار صادر بيروت، دار الطباعة السلطانية، 1830م.

59_ أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي(ت320هـ/ 932م): كتاب الخراج، بغداد، مكتبة المثنى، د_ ت.

60_ الفرسطائي أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر النفوسي(ق5هـ/ 11م): القسمة وأصول الأراضين، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق وتقديم محمد صالح ناصر، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، ط1، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1414هـ/ 1993م، جمعية التراث، الجزائر، د_ت.

61_ القاضي عياض بن موسى السبتي(ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك، **الجزء 1و2**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي،

الجزء 3، تحقيق عبد القادر الصحراوي، **الجزء 5_ 8**، تحقيق محمد بن شريفة، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط، د_ ت.

62_ القاضي النعمان أبو حنيفة بن عبد الله بن حيون(ت363هـ/ 973م): كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، ط2، د، م، ج، الجزائر، د_ت.

63_ القرشي يحي بن آدم(ت203هـ): كتاب الخراج، حققه حسين مؤنس، دار الشروق، د_ت.

64_ القزويني زكريا بن محمد بن محمود(ت682هـ/ 1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

65_ ابن القطان أبو محمد حسن بن علي بن محمد الكتامي المراكشي(ق7هـ/ 13م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990م.

66_ القلصادي أبو الحسن علي القرشي السطي(ت891هـ/ 1486م): تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب، طبعه باسم رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1978م.

67_ القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي(ت821هـ/ 1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، دار المكتبة المصرية، القاهرة، 1340هـ/ 1922م، ج5.

68_ ابن قنفذ أبو العباس أحمد الخطيب(ت810هـ/ 1407م): أنس الفقير وعز الحقير، اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي، أدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965م.

69_ ابن الكلبي هشام أبو المنذر بن محمد بن السائب(ت204هـ): جمهرة النسب، تحقيق محمود فردوس العظيم، قدم له سهيل زكار، ط2، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، سورية، د_ت.

70_ مارمول كربخال(ق10هـ/ 16م): إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، د_ت، 3ج.

71_ الماوردي أبو الحسن بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(ت450هـ/ 1058م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/ 1989م.

72_ المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد(ت453هـ/ 1061م): رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، ط1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1403هـ/ 1983م، 1414هـ/ 1994م، 2ج.

73_ مجهول(ق4هـ/ 10م): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تحقيق يوسف الهادي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1419هـ/ 1999م.

74_ مجهول(كان حيا أواخر ق6هـ/12م): كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار(وصف مكة والمدينة، ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتعليق عبد الحميد سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، د_ت.

75_ مجهول(ق8هـ/ 14م): مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005م.

76_ المراكشي عبد الواحد(ت647هـ/ 1346م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، 1383هـ/ 1963م.

_ وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997م.

78_ المقري أبو العباس أحمد القرشي التلمساني(ت1041هـ/ 1631م): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1408هـ/ 1988م.

79_ المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت380هـ/ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة برلين، لندن، 1877م.

80_ المنذري زكي الدين عبد العظيم(ت261هـ): مختصر صحيح مسلم، ط1، دار ابن حزم، لط، ن، ت، بيروت، لبنان، 1464هـ/ 2003م.

81_ النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت732هـ/ 1332م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1464هـ/ 2004م، ج24.

82_ الورجلاني أبو زكريا يحي بن أبي بكر(ت471هـ/ 1073م): كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1399هـ/ 1979م.

83_ ابن الوردي سراج الدين أبو حفص عمر: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، الجامع لما هو لطرف الدهر حور ولجيد الزمان، مطبعة الهمام ، القاهرة، مصر، 1303هـ.

84_ الوزان الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي(توفي بعد 957هـ/ 1559م): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ج3.

85_ الوسياني أبو الربيع سليمان عبد السلام(ق6هـ/ 12م): سير مشايخ المغرب، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي، د، م، ج، الجزائر، 1985م.

86_ الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي(ت914هـ/ 1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف محمد حجي وآخرون، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/ 1981م، 13ج.

87_ اليعقوبي أحمد بن أبي واضح(ت284هـ/ 897م): كتاب البلدان، مطبعة بريل ليدن، 1860م.

88_ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم(ت 182هـ/ 798م): كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د_ت.

رابعا: المــــــــــراجع

1_ المراجع باللغة العربية

1_ بن أحمد حوالة يوسف: الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى، منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن 5هـ/ 90_ 450م)، ط1، جامعة أم القرى، 1421هـ/ 2000م، ج1.

2_ أحمد طه جمال: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للغرب الإسلامي، ط1، دار الوفا لدنيا الطباعة والنشر، 2008م.

3_ أعوشت بكير بن سعيد: وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية(دينيا، تاريخيا واجتماعيا)، المطبعة العربية، غرداية، د_ت.

4_ بن عميرة محمد: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، م، و، ك، الجزائر، 1984م.

5_ بن قربة صالح: عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب، سحب للطباعة الشعبية للجيش، 2007م.

6_ بن قربة صالح وآخرون: تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 2007م.

7_ بلحاج معروف، بودواية مبخوت: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، رئيس المشروع عبد الحميد حاجيات، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، د_ت.

8_ بنسالم وآخرون: الأنثربولوجيا والتاريخ(حالة المغرب العربي)، ترجمة عبد الأحد السبتي وعبد اللطيف القلق، ط2، دار توبقال للنشر، 2007م.

9_ بن نصر الله سعدون عباس: دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1985م.

10_ بوتشيش إبراهيم القادري: المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع، الذهنيات، الأولياء، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م.

_ مباحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1998م.

_ إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2002م.

13_ بوتنفوشت مصطفى: العائلة الجزائرية، التطور والخصائص الحديثة، ترجمة أحمد دمري، د، م، ج، الجزائر، 1984م.

14_ بورويبة رشيد: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د، م، ج، الجزائر، 1397هـ/1977م.

15_ بوطالب محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2002م.

16_ بولقطيب الحسين: جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د_ت.

17_ بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7هـ/ 12و13م(نشأته، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي واللفكري والسياسي)، شركة دار الهدى لط، ن، ت، عين مليلة.

18_ بونار رابح: المغرب العربي، تاريخه وثقافته، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م.

19_ جاد الله منال عبد المنعم: التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف بالإسكندرية، د_ت.

20_ جغلول عبد القادر: مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، ترجمة فضيلة الحكيم، ط2، دار الحداثة لط، ن، ت، بيروت، لبنان، 1988م.

21_ الجيدي عمر: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، 1993م.

22_ الجيلالي عبد الرحمان بن محمد: تاريخ الجزائر العام، د، م، ج، الجزائر، 1415هـ/ 1994م، ج1، ج2.

23_ حركات إبراهيم: المجتمع الإسلامي والسلطة في العصر الوسيط، إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 1998م.

24_ الحريري محمد عيسى: الدولة الرستمية في بلاد المغرب، حضارتها، علاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس، ط3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/ 1978م.

25_ حسن محمد: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، 1999م، ج1.

_ الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن 1هـ إلى القرن 9هـ، فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004م.

27_ حسن حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

28_ حليمي عبد القادر علي: جغرافية الجزائر، الطبيعية، البشرية والاقتصادية، ط1، الجزائر، 1968م.

29_ حمدي عبد المنعم محمد حسين: التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2008م.

30_ خالدي عبد الحميد: الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، دار هومة لط، ن، ت، الجزائر، 2007م.

31_ دنون طه عبد الواحد وآخرون: تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، طرابلس، 2004م.

32_ أبو رميلة هشام: علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية في الأندلس، ط1، دار الفرقان، عمان ، الأردن، 1984م.

33_ الزاهد أحمد: الغزو العربي لشمال إفريقيا بين نبالة النص ودناءة الممارسة، مؤسسة ثاوالت تامفناست، المغرب، د_ت.

34_ سالم سيد عبد العزيز: تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة لـ ن، ت، الإسكندرية، 1982م.

35_ سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي(الفاطميون وبنو زيري الصنهاجيون إلى قيام المرابطين)، منشأة المعارف بالإسكندرية، ج3، د_ت.

_ تاريخ المغرب العربي، المنصور الموحدي(580هـ_ 595هـ/ 1184_ 1199م)، منشأة المعارف جلال جزي وشركاه، الإسكندرية، ج7، د_ت.

37_ سعيدوني ناصر الدين: دراسات تاريخية في الملكية والجباية والوقف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001م.

38_ السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري، محمد الناصري، ط1، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ج2.

39_ شنيتي محمد البشير: التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني، م، و، ك، الجزائر، 1984م.

40_ الصغير ابن عمار: التفكير العلمي عند ابن خلدون، ش، و، ن، ت، الجزائر، د_ت.

41_ أبو صوة محمود: مقدمة في تاريخ المغرب الاجتماعيب والاقتصادي، منشورات ELGA ، 1997م.

42_ أبو الضيف مصطفى أحمد عمر: القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، د، م، ج، الجزائر، د_ت.

43_ الطمار محمد: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، د، م، ج، الجزائر، 2010م.

44_ العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 1425هـ/ 2005م.

45_ العبده محمد: البداوة والحضارة، نصوص من مقدمة ابن خلدون، المنتدى الإسلامي، ط1، لندن، 1413هـ/ 1993م.

46_ العربي إسماعيل: دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1980م.

47_ العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، ط5، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1996م.

_ مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، ط4، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005م.

49_ الفقي عصام الدين عبد الرؤوف: تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة النشر، القاهرة، د_ت.

50_ علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، سحب للطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

51_ عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، القسم الثاني، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، ط1، القاهرة، 1384هـ/ 1964م.

52_ عيبش يوسف: الاحتلال البيزنطي لبلاد المغرب، دراسة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010م.

53_ عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، د، م، ج، الجزائر، 2008م.

54_ عويس عبد الحليم: دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1411ه/ 1991م.

55_ العيدروس محمد حسن: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، 1430ه/ 2009م.

56_ غرميني عبد السلام: المدارس الصوفية المغربية والأندلسية في القرن 6ه، ط1، دار الرشاد الحديثة، 1420ه/ 2000م.

57_ فتحة محمد: النوازل الفقهية والمجتمع، أبحاث ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي من القرن 6ه إلى القرن 9ه/ 12_ 15م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999م.

58_ أبو كاريوس يوحنا أجندي: قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، بيروت، 1885م.

59_ كواتي مسعود: اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، ط2، دار هومة، 2000م.

60_ لقبال موسى: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5ه، سلسلة الدراسات الكبرى، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1979م.

_ المغرب الإسلامي، ط2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م.

62_ مؤنس حسين: فتح العرب للمغرب، دار الثقافة الدينية، مصر، د_ت.

_ تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ط1، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1412ه/ 1992م، ج2.

64_ مجاني بوبة: من قضايا التاريخ الفاطي في دوره المغربي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م.

65_ محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي من منتصف القرن 4هـ، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1406هـ/ 1985م.
66_ محمود حسن أحمد: قيام دولة المرابطين، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، ط2، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1416هـ/ 1996م.
67_ مزيان عبد المجيد: النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي، دراسة فلسفية واجتماعية، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1981م.
68_ أبو مصطفى كمال: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.
69_ مقديش محمود: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، 2ج.
70_ موسى عز الدين أحمد: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار الشرق، بيروت، 1403هـ/ 1983م.
71_ الميلي مبارك بن محمد الهلالي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ط1، م، و، ك، 3ج.
72_ يوسف جودت عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين 3و4هـ/ 9و10م، د، م، ج، الجزائر، د_ت.

2_ المراجع المعربة

1_ إدريس الهادي روجي: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من ق 10 إلى ق12م، نقله إلى العربية حمادي ساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، 2ج.
2_ أرتسيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية، دار المعارف، بيروت، د_ت.
3_ أندري نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة رابح استنبولي، د، م، ج، الجزائر، 1984م.
4_ برنشفيك روبير: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من ق 13 إلى نهاية ق 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1988م، 2ج.

5_ جوليان شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية(تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م)، تعريب محمد مزالي، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1969م.

6_ مارسييه جورج: بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي عبر العصور، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، راجعه واستخرج نصوصه مصطفى أبو الضيف، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية، 1991م.

3_ المراجع باللغة الأجنبية

1_ Camps Gabriel: Massinissa aux débuts de l' histoire, tome 8, Lybica, Septembre,1960.

2_ Gsell Stephane: Histoire ancienne de l'afrique du nord, hachette, Paris, 1928, Vol 1.

3_ L'algérie, histoire et sosiété et culture, Ouvrage collectif sous la coordination de: Hassan Reinaoum, casbah édition, hydra, Alger.

4_ الرسائل الجامعية

1_ بن الذيب عيسى: التجارة في عصر المرابطين(430_ 450هـ/ 1056_ 1045م)، مذكرة ماجستير، جامعة مصر، 1990م.

2_ عابد يوسف: الموحدون في بلاد المغرب(515_ 595هـ/ 1120_ 1199م)، دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، أطروحة دكتوراه دولة، 2006_ 2007م، 2ج.

3_ عمري الطاهر: دور بني المجتمع في مقاومة الاستعمار(1830_ 1900م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسنطينة، 1998/ 1999م.

4_ مناع مدار خليفة: المزارعة والمساقاة في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير، دار الرسالة للطباعة، بغداد، 1395هـ/ 1975م.

5_ أبو المعاطي يحي محمد عباسي: الملكيات الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس، 238_ 488هـ/ 852_ 1095م، أطروحة دكتراه، 1421هـ/ 2000م.

5_ المجلات والدوريات وأعمال الملتقيات

أ_ بالعربية

1_ البارودي رضوان: أضواء على المسيحية والمسيحيين في المغرب في العصر الإسلامي، مقال ضمن: **دراسات وبحوث في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**، مركز الإسكندرية للكتاب، 2007م.

2_ باقة رشيد: أهمية البحر المتوسط في استراتيجية الصراع بين الشرق والغرب منذ العهود القديمة إلى نهاية العصور الوسطى، مقال ضمن: دراسات وبحوث مغربية، أعمال مهداة لـ أ.د موسى لقبال، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارات المغرب الإسلامي، جامعة منتوري، ط1، دار بهاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2008م.

_ الأقليات الدينية في بلاد المغرب ومدى مساهمتها في ازدهار الحياة الاقتصادية من الفتح إلى العهد الموحدي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، لجامعة الأمير عبد القادر، المطبعة العربية، غرداية، العدد 4، 1425هـ/ 2004م.

4_ بلحميسي مولاي: بجاية في حدائق الكتب، نصوص عربية وفرنسية، مجلة الأصالة، مكتبة البعث، قسنطينة، العدد 19، 1394هـ/ 1974م.

5_ بوتشيش إبراهيم القادري: ظاهرة التسول في الغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، مقال ضمن ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، جامعة قسنطينة، 2001م، منشورات المخبر.

6_ بوخالفة نور الهدى: استقرار العرب وإنشاء المدن والقرى في المغرب الوسيط، مقال ضمن ملتقى التغيرات.

7_ بن عميرة محمد: توصيل المياه وتخزينها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط الموحدين، مجلة دراسات تراثية يصدرها مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط(الجزائر)، معهد الآثار، الجزائر، العدد 2، 2008م.

8_ بوعبدلي المهدي: تراجم بعض مشاهير علماء زواوة، مجلة الأصالة، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، العدد 14_ 15، 1393هـ/ 1973م.

9_ جعفري أحمد: نظام الفقارة وآلية توزيع الماء في منطقة توات(ولاية أدرار)، وأثره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الإقليم، مجلة دراسات تراثية، جامعة الجزائر، العدد1، 2007م.

10_ الجنحاني الحبيب: الخوارج في المغرب العربي في العصر الوسيط، مجلة الأصالة، العدد 14_ 15، مكتبة البعث، قسنطينة الجزائر، 1393هـ/ 1973م.

11_ حسن محمد: الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط، مدخل لدراسته من خلال نوازل الونشريسي، مقال ضمن ملتقى: Le monde rural magribin, communautés et stratificatins sociale(Oran 26, 27, 28), Novembre 1983, tome 1, O, P, U, Alger.

12_ خلفات مفتاح: علماء زواوة والإرث الثقافي القلعي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة العربية، غرداية، العدد 10، 1430هـ/ 2009م.

13_ دحماني سهام: العائلة الصوفية بين القدسية والتفكك، قراءة في تاريخ العائلة الصوفية المغربية في الفترة الممتدة من القرن 6هـ/ 12م إلى القرن 9هـ/ 15م، مقال ضمن كتاب المرأة والخطاب الصوفي، منشورات مخبر البحوث التاريخية بجامعة منتوري، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2010م.

13_ شنيتي محمد البشير: نظيرة على الوضع الديمغرافي والاجتماعي في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، مقال ضمن ملتقى: Le monde rural.

14_ الصباغ ليلى: عنابة بين اسمها، موقعها، علاقاتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي، مجلة الأصالة، العدد 34_ 35، 1396هـ/ 1976.

15_ العربي إسماعيل: العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، مجلة الأصالة، العدد 19، 1394هـ/ 1974م.

_ بجاية من خلال النصوص العربية، مجلة الأصالة، العدد 19، 1394هـ/ 1974م.

17_ عمارة علاوة: إنتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط(الجزائر)، قراءة سوسيو_تاريخية، مقال ضمن كتاب دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، د، م، ج، الجزائر، 2008م.

18_ غراب سعد: موقف الفقهاء المغاربة من المجموعات الريفية خاصة من خلال نوازل البرزلي، مقال ضمن ملتقى"Le monde rural".

19_ الفهري عبد المجيد: البربر الجبالية في المغرب في العصور الوسطى، مقال ضمن ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية.

20_ فيلالي عبد العزيز: قلعة بني حماد، الحاضرة الاقتصادية والثقافية للمغرب الأوسط خلال القرن 5هـ/ 11م، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة العربية، غرداية، العدد 7، 1427هـ/ 2006م.

21_ الكعاك عثمان: تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، مجلة الأصالة، العدد 26.

22_ لقبال موسى: طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، العدد 60_ 61، مكتبة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1391هـ/ 1971م.

_ ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة تاريخ المغرب الأوسط في العصور الوسطى، مجلة الأصالة، العدد 19، 1394هـ/ 1974م.

_ البتر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الإسلام، مجلة الأصالة، العدد 24، 1975م.

25_ نشاط مصطفى، إسنيتو محمد: الديمغرافيا التاريخية في أدب الرحلة، مجلة كنانيش، مجلة متخصصة في الديمغرافيا التاريخية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، العدد 3، صيف، خريف، 2001م.

26_ الوهراني قدور: جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة تاهرت من خلال كتاب ابن الصغير المالكي، مجلة التراث العربي، العدد 106، نيسان 2007م.

ب_ باللغة الأجنبية

1_ Ammara Allaoua: **Retour à la problematique du déclin économique du monde musulman médival, le cas du magreb hammadide(11_ 12° siécles)**, The magreb réview, printed on long life paper, Vol 281 ,2003 .

2_ Boukhabza Mohamed: **Quelques problémes méthodologiques**

que pose la collecte d' information on vue d'une recherche sosio_économique, article dans la roncontre: **Méthode d'approche du monde rural**, Office des publications universitaires, Alger, 1984.

3_ Champagne Patrick: **L' éspace et les groupes**, article dans le roncontre: **Méthode d'apprpche**.

4_ Nadir Ahmed: Le murabutisme, supertitio on révolution, article dans la rencontre: Méthodes d' approche.

5_ Leveau Philipe: Paysans maures et villes romaines en maurétanie çésarénne centrale(la résistance des populations indégénes de romanisation dans l'arriére pays de çesaria de mauritanie, Annales économiques, sociétés, civilisation , Année 1975, Vol: 87_ n=° 87_2.

_ Les paysannereries antiques du Magreb, annales économiques et société, civilisation, Année 1978.

7_ Sarni Amir: Les aspects méthodologiques du milieu rural à travers l'étude du rèseau de commercialisation des produuit agricoles dans l'agglomiration algéroise: **Méthodes d'approche** .

8_ Thovenot Raymond: L'afrique romaine aux 3 premier siécles, journal des savants, annales économie, société, civilisation, anneé 1964, vol 3, n=°3.

9_ Vanacker Claudette: Géographie économique de l' afrique du nord, selon les auteurs arabes du 9 siécles aux millieu du 12 siécles, Annales èconomies, sosiétés, civilisations, Année 1973, Vol 28, N=°3.

6_ المعاجـــــم والموسوعــــات

1_ قلعجي محمد بوراس، قنيبي حامد صادق: معجم لغة الفقهاء، عربي_ إنجليزي، دار النفائس، د_ت.

2_ عمارة محمد: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1413هـ/ 1993م.

3_ الغنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ، ط1، دار الشرق، القاهرة، 1403هـ/ 1983م.

4_ ابن منظور جمال الدين محمد بن الإمام جلال الدين أبو العز بن مكرم الأنصاري الخزرجي(ت 711هـ/ 1311م): لسان العرب، ط1، المطبعة الميرية، مصر، 1304هـ/ 1891م.

فهارس عامة

• فهرس الأعلام.

﴿ حرف الصاد﴾

﴿ حرف العين﴾

﴿ حرف الفاء﴾

﴿ حرف القاف﴾

﴿ حرف الميم﴾

• فهرس القبائل.

﴿ حرف الباء﴾

﴿ حرف التاء﴾

﴿ حرف الثاء﴾

﴿ حرف الجيم﴾

• فهرس الأماكن.

﴿ حرف التاء﴾

﴿ حرف الجيم﴾

﴿ حرف الحاء﴾

﴿ حرف الخاء﴾

﴿ حرف الدال﴾

﴿ حرف الراء﴾

﴿ حرف الزاي﴾

﴿ حرف السين﴾

﴿ حرف الكاف﴾

﴿ حرف الميم﴾

﴿ حرف النون﴾

- **فهرس الجبال.**

فهرس الموضوعات

ملخـــص الرسالـــة

ملخص الرسالة

هذه الدراسة هي بحث اقتصادي واجتماعي ضمن رؤيا تاريخية، وضحنا من خلالها الوضع الاقتصادي والاجتماعي لريف المغرب الأوسط(الجزائر حاليا) خلال القرنين 5و6هـ/ 11و12م، وبالضبط في الفترة الزمنية الممتدة من 405هـ/ 1014م إلى 595هـ/ 1199م، حاولنا من خلالها اظهار أهمية الأرياف خلال هذه الفترة، وأنها كانت مركزا للثقل الاجتماعي وخزانا بشريا لا يستهان به، وكانت مرتكزة على اقتصاد قوي اعتمدت عليه كلا من الأرياف والحواضر على حد سواء.

لم تكن هذه الدراسة مجرد وصف للحالة الاقتصادية والاجتماعية، ولا عرضا كرونولوجيا للأحداث التي شهدتها أرياف المغرب الأوسط خلال هذه الفترة؛ وإنما كانت عرضا لمختلف الأدوار التي قامت بها مختلف طبقات المجتمع الريفي ضمن حراك اقتصادي، كثيرا ما كان متأثرا بالظروف المحيطة به على الصعيد السياسي/ العسكري، والطبيعي؛ خصوصا إذا علمنا أن المجتمعات الريفية خلال هذه الفترة، كانت تعتمد على ما تجود به الطبيعة في فترات الخصب والرخاء.

لقد عاش ريف المغرب الأوسط اقتصادا قويا، بشهادة الرحالة والجغرافيين المعاصرين لهذه الفترة، وأن الاقتصاد لم يشهد انهيارا حضاريا ولا انحطاطا بسبب الهجرة الهلالية، على حد قول كثير من المؤرخين؛ بدليل وفرة الإنتاج الزراعي والحيواني والحرفي في الريف، مع استمرار حركية هذا الاقتصاد حتى في الفترات التي تلت القرنين 5و6هـ/ 11و12م، بشهادة النصوص النوازلية والجغرافية بالرغم بعض الاستثناءات والتي لم تكن تخرج عن هذه الفترة أو تلك، طيلة تاريخ البشرية وليس العصر الوسيط فحسب.

لقد كان المجتمع الريفي للمغرب الأوسط يعيش خلال هذه الفترة في إطار منظم، ومرتب ترتيبا لا يخلو من تغلب عنصر على آخر، كانت القبيلة هي الإطار العام الذي ينظم الأرياف، وأساسه الأسرة التي شكلت نواة هذا المجتمع الذي طالما تأثر بالظروف المحيطة به من حروب وأوبئة ومجاعات، ليلقي هذا المجتمع بثقله وتناقضاته على صلحاء الريف الذين كانت ترى فيهم الملاذ الأخير ومصدر الخلاص الروحي والمادي لتجاوز مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية.

لقد كانت تنظم هذا المجتمع مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف، امتد بعضها إلى فترات موغلة في القدم بحكم بساطة التفكير السائد في المجتمع الريفي، والبعض الآخر كان متأثرا بتعاليم الدين الإسلامي، بالرغم من بعض التجاوزات التي طالما شغلت نوازل الفقهاء (كالهجرة، الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، التعامل مع المرأة،...إلخ)، ولجأ السكان للترويح عن أنفسهم عن طريق التسلية للخروج من الحياة الروتينية اليومية.

إن اقتصاد ومجتمع ريف المغرب الأوسط، هو ظاهرة حضارية قوية كان لها بالغ الأثر في تنظيم السيرورة الحضارية ضمن الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد المغرب الأوسط ككل، وقد شكل هذين الجانبين مصدرا للحراك وعاملا قويا في استمرار علاقة الريف بالمدينة، ذلك أن هذه الأخيرة كانت ولا تزال وستبقى تعتمد على ما تجود به الأرياف من منتوجات وقيم وأعراف، وأن ثراءها من ثراء الريف وتراجعها من تراجع الريف.

Le résumé de la thèse

Cette ètude une recherche économique et sociale dans une vision historique, par le trochement de laquelle nous avons éxplique la sitauation économique et sociale de la campagne du Magreb central (Algérie actuellement), durant les deux siècles 5^{e} et 6^{e}de l'higére/11 et12 de j.c, et plus précisement durant la péride allant du 405h/1014 j.c , essayant de montrer l'importance de la campagne au cours de cette période où elle était un centre de gravité social et un réservoir humain un négligeable, fondée sur une économie forte adaptée au méme titre tant par les ruraux que pour les urbains.

Cette étude ne constitue pas une simple déscription de létat économique et social, ni un exposé chronologique des évènements qu'a connus les campagnes du Maghreb central en cette péris de mais était un exposé des différents roles joués par les diverses classes de la société rurale dans le cadre d'une mobilité économique tant influencée par les conditions qui l'entourent tant au plan militaro_ politique qu'au plan naturel en sachant particulierèment que les sociétés rurales durant cette période, étaient dependantes de la générosité et de la prospérité de la nature.

La campagne du Maghreb central a vécu une économie fort selon les témoinages des pérégrinateurs ou voyageurs et géographes contomparains de l'époque, et que cette économie n'a pas connu déffondrement civilisationnel en raison de l'immégration hilalliennes selon les dires de nombreux historiens, pour preuve la profusion de la production agricole, animale et artisanale à la campagne avec la dynamique continue de cette économie, même dans les périodes qu'on suivi les deux siécles 5^{e}et 6^{e}h/11^{e}et 12^{e}j.c, comme en témoignent les textes cataclysmaux et géographiques, malgré certaines éxeptions qui ne sont pas sorties de cette periode et telle autre durant l'histore humaine et pas uniquement le moyen àge.

La communauté rural du Magreb central vit durant cette période dans un cadre stracturé organisé sans qu'elle soit déporvue de l'hégemonie d'un élément sur un autre, la tribu était le cadre général qui organise les campagnes, et son fondement était la famille qui constituait le noyon de cette communauté qui à longtemps été influncée par les circonstances qui l'entaurent telles que les guerres, les épidemies et les famines si bien qu'lle se jetta de tout son poids et ses contradictions entre les moins de notables de la campagne, qui étaient le dernier recours et la source du salut spirituel et matériel

pour le dépassement de differents problémes économiques et sociaux.

L'organisation de la société était érigée par un ensemble d'habitudes, de traditions et mœurs dont certaines remontent à une période très ancienne, en vertu de la simple penséé dominante dans la communauté rurale, l'autre partie de la communauté était sous l'influence des précepts de la rélugion musulmane malgré certains depassement qui ont longtemps occupé les cataelysmes juristes comme(l'immigration, le célébration du moulad annaboui , la relation ou traitement de la femme etc….) de habitants recoururent pour se récréer et sortir de la routine quotidienne a divers loisirs et divertissements l'économie de la commun aurte rurale du Maghreb central est un fort phénoméne civilisationnel qui avait un grand impact sur le processur civilisationnel dans le cadre geohistorique du pays du Maghreb central.

The summary

This study is an economical and a social research inside a historical view. We explained from it the economical and social situation of the rural central Maghrep < Algeria now > in the 5^{th} and 6^{th} hidjra centuries /11^{th} and 12^{th} centuries. Exactly in the period going on between 405 hidjri /1014 century to 595 hidjri /1199 century, in which we have tried to explain the importance of the countryside in this period. That it was the core of the social life and an important human reservoir based on the strong economy for the city or the countryside.

This study was not just a description of the social and economical stat, nor a chronological show of the events that the central Maghreb countryside has seen in this period, but a view of the different role that countryside social classes have played in the economical movement, which has been affected by the circumstances around it, on the political, military and natural level. Even it we now that the countryside society in this period was based on the nature gifts.

The central Maghreb countryside was strong economically with the affirmation of geographians and that the economy didn't

collapsed because of the hilalian move, on the speech of many historians, because of the agricultural and animal products in the country.still the 5^{th} and 6^{th} centuries $/11^{th}$ and 12th ones. With the affirmation of geographical texts, despite some exceptions.

The central Maghreb society was living in an organized cadre, in which the tribe was the one that organized the countryside in general, with the family that was the core of the society. This society which was affected by wars, hunger and illnesses, and the countryside was the final economical and social survival.

This society was ruled by some traditions, and some of it go on in different periods, old ones because of the simplicity of thinking in the rural society,some others were affected by the islam way of thinking, religion exactly. Despite some problems in the thought of some religious men (elhidgra, elmawlid, women….) and the citizens were trying to entertain themselves.

The economy and society of the central Maghreb was a strong civilization that affected in the geographical and historic cadre all the arounds. And this was the way in which the city and the country go on together in history although when the city is still based on the countryside food, traditions and its development is from the country development.